BOBST LIBRARY
3 1142 01570 1595

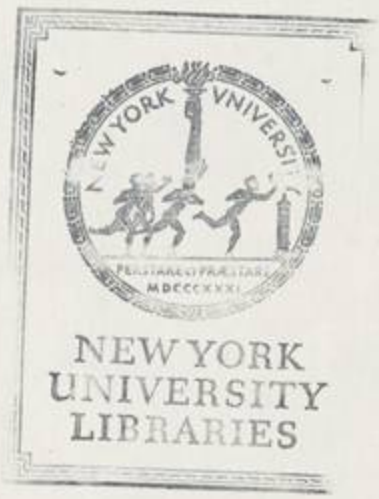

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE
DATE DUE
BOBST LIBRARY
DUE DATE
RETURNED
MAR 13 2009
BOBST LIBRARY
CIRCULATION
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
CIRC
MAR - 4 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
CIRC
MAR 2 6 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY
CIRC
JUL 23 1992
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

Faraj, Fu'ād.
al-Qāhirah . . . . .

المدن المصرية

وتطوراتها مع العصور

مجموعة فنية تاريخية

المجلد الخامس

القاهرة

٣

(3)

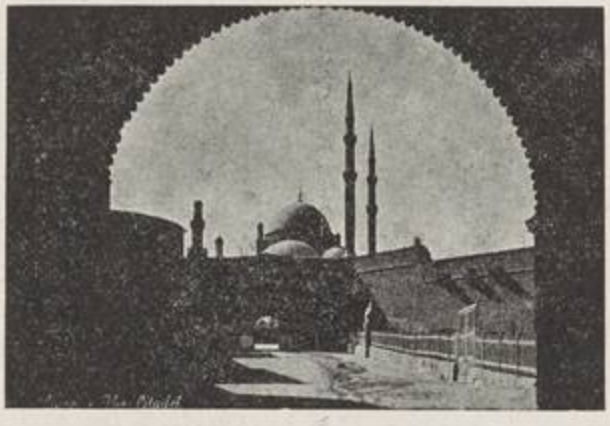

مدينة المآذن والرشاقة والجمال

تاريخ المدينة القديمة ودليل المدينة الحديثة

١٩٤٦

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

فؤاد فرج
المهندس

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف
بمصر

7821 - 10-3

Near East
DT.
143
.F3
v.3
c.1

بسم الله العلى الكبير أفتتح كتابى الخامس

القاهرة

٣

مقدمة الجزء الثالث

هذا هو الجزء الثالث من كتاب « القاهرة » وهو فى الوقت نفسه الحلقة الثامنة من سلسلة كتب « المدن المصرية » التى ظهرت حتى الآن فى خمسة مجلدات درسنا فيها المدن والمناطق التالية : القاهرة والاسكندرية ومنطقة قنال السويس ومدن القنال : بورسعيد والسويس والاسماعيلية وشبه جزيرة سيناء وسواها . وتمثل هذه المدن والمناطق معظم محافظات القطر المصرى ، وسنبدأ بعد ذلك إن شاء الله فى دراسة المديريات وعواصمها .

أما هذا الجزء الثالث من كتاب « القاهرة » فيشتمل على تاريخ هذه المدينة وتطوراتها فى حقبة من الزمن طولها ألف عام تقريباً منذ أسسها جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) إلى الآن . كما أنه ينتظم كالجزأين السابقين دراسات ممتعة عن جغرافية القاهرة التاريخية .

ومن المعلوم أن دراسة جغرافية القاهرة التاريخية توجه الأنظار إلى استغلال الظاهرات الطبيعية المحيطة بهذه المدينة بعد معرفة كنهها وأصل نشأتها وما تصلح له اقتصادياً وعمرانياً . فما مشروعى الخاص بانشاء مدينة فوق جبل المقطم ، وهو المشروع الذى نشر بالجزء الثانى من هذا الكتاب ، وبحث فى مؤتمر المهندسين الأول المنعقد بمدينة الاسكندرية من ١٥ إلى ١٨ مارس سنة ١٩٤٥ ، ونال تقديراً إجماعياً فى كافة الأوساط المالية والفنية إلا مجرد نتيجة لهذه الدراسة .

وهناك أيضاً مشروع آخر هدتنى إليه دراستى لجغرافية القاهرة التاريخية ، وهو مشروع تمهيد تلال القاهرة واستغلالها . فقد اتضح أنه فى قلب هذه العاصمة وبالقرب من أحيائها المزدحمة جداً بالسكان . خلف الأزهر والسيدة زينب يوجد ما يقرب من ٩٠٠ فدان من التلال وهى المعروفة بتل قطع المرأة وتلال زينهم وعين الصيرة . وقد ثبت لدينا أن أراضى هذه التلال صالحة للبناء بمجرد تمهيدها

وتشبيعها بمياه النيل . ويقدر ثمنها بعد هذه العمليات السهلة بحوالى أربعة ملايين من الجنيهات .

وأمر تمهيد هذه التلال واستغلال أراضيها وغنم ملايين الجنيهات منها من أسهل ما يمكن أن يتصوره العقل . فليس أسهل من تسوية سطوح هذه التلال وتوصيلها بالشوارع المحيطة بها بميول سهلة جداً ثم نقل ما يزيد بعد ذلك من أتربة وقمامة وأنقاض إلى الأراضى المنخفضة القريبة منها مثل ناحية البساتين أو دير الطين وسواها . ويكفى لتحويل هذه التلال إلى أرض صلبة صالحة للبناء ، أن تشبع بمياه النيل الغنية بالأملاح الكلسية لأن هذه الأملاح تتفاعل مع التربة وينتج عن هذا التفاعل تصلب التربة وتجمدها وتحولها إلى أرض متماسكة صالحة للبناء . وأمامنا جزيرة الزمالك وجزيرة الروضة وجزيرة الوراق وجزيرة القراطين وجزيرة الشعير وكلها جزائر رسوبية تكونت وسط النيل وأرضها مركبة من الرمال والطمى ولكن تفاعل هذه الرمال مع أملاح مياه النيل جعل من أرضها تربة صلبة صالحة للبناء كما هو مشاهد اليوم . فتطبيق نظرية تصلب وتماسك أرض هذه الجزائر بفعل أملاح مياه النيل على التلال يصل بنا إلى حل معضلة تلال القاهرة .

وهناك أيضاً دراسة ثالثة خاصة بضواحى القاهرة ، فقد اتضح بكل جلاء من دراسة الجغرافية التاريخية لهذه الضواحى ، أنه مهما قيل فى حلوان وفى مياهها المعدنية فلن تحيا هذه الضاحية ولن تنافس مصر الجديدة فى عمرانها وتقدمها إلا إذا كهرب خط حلوان الحالى وربطت حلوان بضاحية أخرى فى أقصى الشمال الشرقى للقاهرة وهى ضاحية المرج وذلك لأن عدد الركاب السنوى على خط المرج أكبر منه على خط حلوان والكثافة الكيلومترية للركاب المنقولة يومياً على خط المرج تبلغ ثلاثة أضعاف مثيلتها على خط حلوان . فهذه الأسباب تحتم ربط الضاحتين ببعضهما حتى يتيسر استغلال الخط الكهربائى المقترح بطريقة مضمونة النجاح من الناحيه الاقتصادية . على أن المهم فى الموضوع هو زيادة عدد قطارات هذا الخط زيادة عظيمة وجعل سرعتها بحيث يتيسر لها قطع المسافة بين حلوان والمرج فى مدة لا تزيد عن ٤٧ دقيقة فقط . ولأجل السير بهذه السرعة بدون عائق يجب أن يمر الخط الجديد فى خندق مفتوح فى المسافة الواقعة بين محطة فم الخليج ومحطة باب اللوق ثم يمر فى نفق تحت شوارع القاهرة الرئيسية فى المسافة الواقعة بين باب اللوق ومحطة مصر .

وهذا مشروع اقتصادى هائل يحتاج لآلاف من الأيدى المصرية المتعامة ولملايين من رؤوس الأموال المصرية الحائرة ! !

ثم هناك مشروع تعمير الصحراء المحيطة بالقاهرة واستغلالها فى الزراعة وفى إنشاء المدن بدلاً من تحويل الأراضى الزراعية إلى أراضى للبناء بينما المدينة أحوج ما تكون إليها لتتنفس عن نفسها فهى لها بمثابة الرئتين للانسان .

وهناك النهر فى نطاق القاهرة وطرق استغلاله بإنشاء كورنيش من حلوان إلى شبرا البلد .

وهناك مشروع جامعة عين شمس أقدم جامعة عرفتها المدنية فى العالم وضرورة إعادة إحياء ذكراها . ثم مشروع كشف الآثار الإسلامية وأزالة ما حولها من مبانى وخرائب .

كل هذه وسواها مشروعات تبدو ظاهرة ملموسة بمجرد دراسة القاهرة وجغرافيتها التاريخية .

فإلى متى تظل هذه المادة غير مقررة فى التعليم بمدارسنا .

إلى متى يظل شبابنا المتعلم محروماً من لفت أنظاره الحائرة إلى هذه الأعمال الحرة المثمرة ! !

إنى أرجو وزارة المعارف العمومية أن تعير هذه المادة ما تستحق من عناية وكفانا الشكوى من اهمال الماضى ومما ترتب على هذه الحال من التهافت على الوظيفة مع حقارتها وصغر شأنها وترك الأعمال الحرة المثمرة فى يد سوانا .

ثم هناك ناحية أخرى تستحق منا وقفة طويلة .

يقول المستر الفريد بوسوم وهو من أقطاب مهندسى العالم :

« ليس على المصريين كى يبنوا مجد مستقبلهم إلا أن يؤمنوا بعظمتهم وتاريخهم ، وأن يلتزموا هدى عبقريتهم الخاصة ويبتعدوا عن تقليد سواهم » .

فانظر الآن ما نحن فيه . أمامنا القاهرة الحديثة التى اتسعت فى السنوات الأخيرة بسرعة لم تبلغها أية مدينة فى العالم . وأصبح بها أبنية فاخرة فخمة مثل دار المحكمة المختلطة بشارع فؤاد الأول وما يحيط بها من عمارات شامخة هائلة .

فهذه المبانى يمكن أن تفخر بروعتها وفخامتها أية أمة فى الغرب . ولكن ليس هذا هو الفن القاهرى الذى نود أن تنفرد به العاصمة دون سواها من بلاد العالم .

يوجد فى باريس ولندن وبرلين وواشنطن مثل هذه المبانى . ونحن نريد لو استنبطنا لبلادنا فناً جديداً يعتمد فى أساسه على الفن المصرى العتيد والفن العربى الجميل .

إن عندنا الأهرامات والمآذن وهى أشياء خاصة بنا ، فنريد أيضاً أن يكون فننا خاصاً بنا . حتى إذا ما هبط الأجنبى القاهرة أحس أنه يزور أرضاً ورثت حضارة الفراعنة ومجد العرب .

نريد لقاهرة المستقبل تخطيطاً مناسباً لعظمتها وتاريخها تراعى فيه القواعد الصحية ومقتضيات الراحة العصرية .

نريد أحياء سكنية خاصة وأحياء صناعية خاصة وأحياء تجارية خاصة بينها تناسق وتربطها ببعضها مواصلات سريعة وطرق جميلة ممهدة .

نريد استغلال ضفاف النيل ومرتفعات المقطم وهضاب الصحراء .

نريد إزالة التلال والانقاض والكيمان المتربة التى تشوه منظر هذه العاصمة وتذهب بجمال آثارها الإسلامية الرائعة وتعطى فكرة سيئة جداً عن القاهرة ونظافتها وتنسيقها . وبالجملة نريد قاهرة تليق بعصر الفاروق المعظم .

فإذا ما تحقق من مباحثى هذه تسهيل الوصول إلى هذه النتيجة الموموقة ، أكون قد أديت رسالتى . وقمت بواجبى نحو بلادى ومليكى .

والله الموفق والسلام ؟

المؤلف

مراجع كتاب « القاهرة »

نشرنا مراجع هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة فى الصفحات من ٢١٩ الى ٢٢٣ (بالجزء الثانى) فنلفت إليها الأنظار

القاهرة

٣

الفصل الأول

العصر الفاطمى

من سنة ٣٥٨ إلى ٥٦٧ هـ (سنة ٩٦٩ — ١١٧١ م)

درسنا فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب تطورات عواصم الإسلام الأولى : الفسطاط والعسكر والقطائع منذ ٢٠ سنة هـ (٦٤١ م) تاريخ الفتح الإسلامى لغاية سقوط دولة الأخشيديين واستسلام مصر لجيوش الفاطميين فى يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٦ يوليو سنة ٩٦٩ م .

وها نحن نصل فى مباحثنا إلى هذا العصر الفاطمى الرائع . وطبيعى أننا إذا تكلمنا عن القاهرة فى هذا العصر الفاطمى فانما سنتكلم عن المنطقة التى يتوسطها شارع المعز لدين الله وتحد بين مبانى القاهرة الحالية بباب الفتوح وباب النصر شمالا وبباب زويلة جنوباً وبجبل المقطم شرقاً وبشارع الخليج المصرى غرباً . هذه هى القاهرة الفاطمية التى سندرسها فى هذا الفصل ولنبدأ دراستنا ببيان موجز عن الفاطميين .

الفاطميون :

ذكر الفاطميون أنهم من نسل السيدة فاطمة بنت النبى وزوج الإمام على رضى الله عنهما . وأنهم عرفوا باسم الفاطميين نسبة إليها . غير أن صحة نسبهم كانت موضع شك ومحل طعن كثير من المسلمين .

من المعلوم أنه لما قتل الإمام على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين وزوج السيدة فاطمة ، انقسم المسلمون إلى فريقين : شايع الفريق الأول عليا ورأى وجوب بقاء الخلافة فى أولاده ونسلهم . وهؤلاء عرفوا باسم « الشيعة » . وناصر الفريق الثانى معاوية بن أبى سفيان حاكم بلاد الشام ورأى مبايعته بالخلافة ، وحرمان أبناء على منها . وهؤلاء عرفوا باسم « أهل السنة » . فلما فاز معاوية بالخلافة ، وأسس الدولة الأموية ، سعى

الفريق الأول سراً لإعادة الخلافة إلى بيت على ، وظلوا يعملون طول عهد هذه الدولة ولكنهم أخفقوا وكانوا موضع اضطهاد شديد ، إلا أنهم مع ذلك كانوا من العوامل القوية التى ساعدت على سقوط دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين.

وكان من المنظور إذ ذاك أن يكافئهم العباسيون على ولائهم لقضيتهم ، ولكن حصل ما ليس فى الحسبان ، فقد انقلب العباسيون على هؤلاء « الشيعة » وأوسعوهم مقاومة وتعذيباً . وعند ذلك قرر زعيمهم أبو عبيد الله المهدى ترك بلاد العرب ورحل فى قوم من أنصاره إلى مصر أولاً ، ومنها إلى تونس فى شمال أفريقيا . وهناك انتزع تونس من يد الوالى العباسى بالقوة وأنشأ الدولة العبيدية الفاطمية .

وكانت هذه هى الخطوة الأولى فى تاريخ قيام هذه الدولة العجيبة ، وفجأة فى سنة ٨٩٣ م وثبت هذه الدولة الناشئة فى بلاد المغرب واجتاحت ملك الأغالبة ، وهم من الولاة العباسيين بشمال أفريقيا ، ثم زحفت قواتها الفتية شرقاً وغرباً لتسحق دعوة بنى العباس ولتقيم مكانها دعوة « الشيعة » الإمامية أو دعوة آل البيت التى كانت تحمل شعارها ولواءها .

وظلت هذه الدولة فى فتوحاتها المتتالية بشمال أفريقيا وجزائر صقلية وسردينيا وسواها من جزائر البحر الأبيض المتوسط ، حتى كانت سنة ٩٦٩ م ، وقد مضى على قيامها ٧٦ سنة كاملة ، حين تهيأت لها أخيراً الفرصة لغزو مصر والفوز بأعظم مملكة كانت ترنو إليها منذ قيامها .

فى يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٦ يوليو سنة ٩٦٩ م استسلمت مصر لجيوش الفاطميين بعد أن صدتهم عن حماها مرتين فى خلال الأربعين سنة السابقة .

ودخل جوهر الصقلى ، قائد جيش الخليفة المعز ، رابع ملوك هؤلاء الفاطميين ، مدينة الفسطاط ، وشق شوارعها على رأس جنده ، ثم عسكر فى الفضاء الواقع تجاهها نحو الشمال الشرقى .

نشأة القاهرة :

وفى نفس هذا الموقع وفى نفس هذا اليوم ، بدأ جوهر فى حفر أساسات ضاحية ملكية محصنة قدّر لها أن تكون نواة العاصمة التاسعة عشرة لمصر[1] وهى آخر عاصمة عرفتها هذه البلاد منذ فجر التاريخ إلى اليوم ، وأعنى بها « القاهرة » سيدة المدائن ، وحاضرة الاسلام ، وقبلة الشرق العربى .

والواقع كان يبدو فى انتخاب موقع هذه الضاحية الملكية ، ثم فى تخطيط شوارعها وميادينها ، وفى انتخاب مواقع القصور الملكية ، وفى طريقة بنائها ، وفى توزيع الحارات أو الأحياء الجديدة على وحدات الجيش الفاطمى المختلفة

(١) راجع تاريخ العواصم المصرية بالجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٣ .

الأجناس والمشارب ، وفى انتخاب موقع جامع القاهرة الذى سمى فيما بعد الجامع الأزهر إلى جوار مقر الحاكم — كان يبدو فى هذا كله أن جوهر الصقلى لم يكن مجرد قائد عسكرى وحسب ، بل كان فوق ذلك مهندساً مبدعاً بفطرته وفناناً اجتماعياً بطبيعته .

فاذا عرفنا أن الدم الرومانى كان يجرى فى عروق هذا القائد البارع ، إذا عرفنا أن أصله من سكان جزيرة صقلية ، التى كانت فى ذاك الوقت تحت حكم المسلمين ، وأنه نشأ وترعرع مملوكا فى وسط قصور الملوك بالمهدية [1] عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب ، إذا عرفنا أنه تعلم فنون الحرب ، وشاهد فى فتوحاته العسكرية طرق تخطيط المدن الرومانية القديمة بشمال أفريقيا . ثم أتيحت له الفرصة بعد ذلك لمشاهدة مدن مصر الفرعونية ، ومدن الشام البيزنطية — إذا عرفنا كل ذلك ، لا نستغرب منه أن يضع تصميم الضاحية الملكية الحديثة ، ثم ينفذه بهذا النظام البديع ، وهذا الفن الرشيق .

ولما كان الغرض الأول من إنشاء هذه الضاحية التى أطلق عليها جوهر فى أول الأمر اسم « المنصورية » نسبة إلى المنصور والد المعز ، هو أن تكون مقر سكن الخليفة وحريمه وأمرائه وحاشيته وعبيده ورجال حكومته ، فقد بذل جوهر فى سبيل تنسيقها وتجميلها مجهوداً جباراً محسوساً لتروق فى نظر سيده .

فلما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب إلى هذا المقر الملكى فى يوم ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ الموافق ١٥ يونيو سنة ٩٧٣ م بعد رحلة طويلة شاقة ونزل فى القصر الكبير الشرقى ، ثم جال بنظره فى أنحاء هذه الضاحية البديعة ، ظهرت أمام أعينه كأتم ما تكون مدينة ملكية حسناً ورونقاً من فرط اتساعها وجمالها وعظمتها مع أنه لم يكن قد مضى على تأسيسها بعد أربع سنوات كاملة .

فكر المعز ملياً — وهو العالم المتبحر فى التاريخ واللغات — واستعاد فى ذاكرته ما سمعه وما درسه عن تاريخ مصر الطويل وعن تاريخ مدينة « منف » « قاهرة الجبرين » ثم أصدر أمراً بتسمية هذا المكان مدينة « القاهرة » لا مدينة « المنصورية » واعتبار هذه المدينة الناشئة عاصمة الدولة ومقر الحكومة .

وهذه الوقائع تنفى بالطبع ما زعمه بعض المؤرخين سبباً فى تسمية هذه الضاحية « بالقاهرة » وهو حادثة نزول غراب على جبال مشدودة حول حدودها علقت بها أجراس فدقت هذه الأجراس ورميت أساسات هذه المدينة . وكان الكوكب الذى ظهر فى السماء إذ ذاك هو « القاهر » . وذلك لأن « القاهرة » لم تعرف بهذا الإسم إلا بعد حضور المعز إلى مصر ومرور أربع سنوات على تاريخ تأسيسها . وجدير بوزارة المعارف العمومية تصحيح هذه

(١) بتونس الآن

الحوادث المزعومة وحذفها من كتب التاريخ التى تدرس لأبنائنا بمدارسها كما فعلت مشكورة فيما يختص بأسطورة عروس النيل . .

أما القاهرة فقد غدت من ذاك الحين عاصمة الدولة الفاطمية بدلا من رقادة والمهدية وأصبحت مصر منزل الخلافة الفاطمية بدلاً من المغرب وأصبحت ملاذ الدعوة الشيعية ومعقلها الحصين حتى انقراض الدولة الفاطمية فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) بعد حكم دام أكثر من قرنين .

فاذا كانت قصور هذه المدينة الرشيقة قد تلاشت عقب سقوط الدولة الفاطمية ، وإذا كانت معالم هذه المدينة الملكية قد انقرضت قبل الأوان ضحية للتعنت السياسى والمذهبى ، فاننا سنحاول هنا تصوير ما كان وتوضيح ما اندثر من هذه المعالم الفريدة مستندين إلى كل المراجع والمباحث التى عملت عنها ، مستلهمين الوحى مما تخلف من آثارها والله الموفق المعين

انتخاب موقع الضاحية التى أنشأها جوهر :

قلنا إن جوهر شرع فى نفس اليوم الذى دخل فيه مدينة مصر (الفسطاط) فى حفر أساسات ضاحية ملكية محصنة لتكون مقراً للخليفة المعز وحريمه وأمرائه ورجال حكومته وحرسه وعبيده وحاشيته وسماها « المنصورية » قياساً على ما فعله الخليفة المنصور والد المعز من إطلاقه اسم المنصورية على الضاحية الملكية التى أمر بإنشائها خارج مدينة القيروان بالمغرب (بتونس الآن) . وكانت ضاحية جوهر الجديدة تقع تجاه الفسطاط نحو الشمال الشرقى .

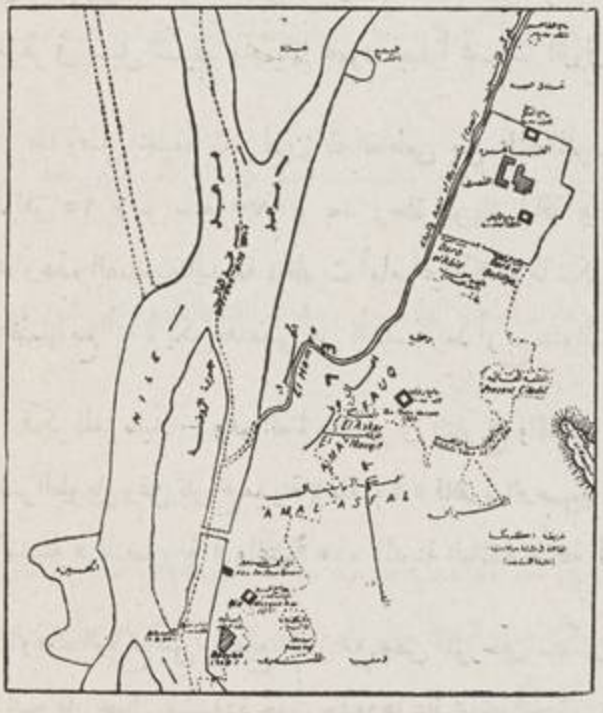

الموقع الذى انتخبه جوهر لإقامة ضاحيته على الشاطىء الأيمن للخليج المصرى وترى فى الرسم السور الثانى الذى بناه بدر الجمالى فى عهد الخليفة المستنصر

وكانت المسافة بين هذه الضاحية الجديدة ومدينة مصر (الفسطاط) تقدر بنحو أربعة كيلومترات ، وكانت هذه المسافة مغطاة بالبساتين وبها منازل الضواحى وتغمرها مياه النيل أثناء الفيضان فتبدو كالبحر اللجب . وقد عرفت هذه المسافة فى العصر الفاطمى باسم ظاهر القاهرة من جهة الجنوب .

أما موضع القاهرة نفسه فكان قبل عصر الفاطميين رملة يمر بها الناس فى طريقهم بين الفسطاط وعين شمس على الشاطىء الأيمن للخليج . ولم يكن بهذا الموضع بناء سوى أماكن خمسة :

أولها — بستان الأخشيد وكان عند الخرنفش مطلا على الخليج المصرى ، أنشأه الأخشيد أبو بكر بن طغج أمير مصر ، ثم قيل له بستان كافور وخرب بعد ذلك . فلما جاء جوهر الصقلى عمره .

وكان هذا البستان واقعاً فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى ، ومن الغرب بشارع الخليج المصرى ، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة ، ومن الشرق بشارع المعز لدين الله (الخردجية و بين القصرين والنحاسين سابقاً) وكانت مساحته حوالى ٥٠ فداناً . ويخرج من هذا التحديد الجزء الذى كان يشغله دير كبير للنصارى مكان جزء منه اليوم كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة . وكانت مساحة الدير وحدائقه وملحقاته وحدها حوالى عشرة فدادين .

وثانيها — دير جرجيوس للنصارى وقد عرف بدير بئر العظام . ويقوم مكانه الآن الجامع الأقمر بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقاً) . وقد هدمه جوهر و بقيت بئره عند الجامع المذكور . وتعرف هذه البئر الآن باسم بئر العظمة ، وكانت إذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل أن جوهر نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق الذى عمره بظاهر الضاحية الجديدة من شمالها عوضاً عن الدير الذى هدمه .

ومكان دير الخندق الآن يشمل كنيسة الملاك البحرى بشارع الملك بحدائق القبة ويمتد من هناك إلى دير أنبا رويس بشارع الملكة نازلى حيث توجد كنيسة بطرس باشا غالى .

وثالثها — حصن يعرف باسم قصر الشوك كان ينزله بنو عذرة فى الجاهلية وصار موضعه هذا عند بناء الضاحية الجديدة يعرف بقصر الشوك من جملة قصور الخلفاء الفاطميين . وهو معروف إلى اليوم .

ورابعها — دير العذراء للنصارى وهو المذكور سابقاً ومكانه اليوم بحارة زويلة بقسم الجمالية. وقد اختطت قبيلة زويلة مساكنها حول الكنيسة الرئيسية لهذا الدير وهى كنيسة العذراء عند تأسيس المدينة الجديدة . وقد ذكر المقريزى أن هذه الكنيسة أنشئت فى القرن الرابع الميلادى أى قبل إنشاء قاهرة جوهر بستة قرون تقريباً .

وخامسها — دير آخر للنصارى يعرف باسم دير الأمير تادرس ، ومكانه اليوم بحارة الروم بقسم الدرب الأحمر . وقد اختط الروم مساكنهم حول الكنيسة الرئيسية لهذا الدير عند تأسيس المدينة ، وتعرف هذه الكنيسة اليوم باسم كنيسة العذراء ومار جرجس بحارة الروم . وقد ذكر المقريزى أن هذه الكنيسة أنشئت فى القرن السادس الميلادى أى قبل إنشاء قاهرة جوهر بأربعة قرون تقريباً .

فى هذا المكان إذن نزل جوهر بعسكره ، وكأنه كان يقصد مكاناً معيناً بالذات ، تدل جميع الدلائل على أنه كان قديماً عامراً مأهولاً .

تخطيط المدينة :

يبدو لأول وهلة من دراسة ضاحية جوهر ، أن هذا القائد البارع كان قد أعد العدة لمشروعه الخطير ، وكان قد وضع جميع الترتيبات اللازمة لتنفيذ ضاحيته الملكية لإسكان مولاه المعز ، ولإسكان جيوشه وحرسه وكل من ينتمى إليه من أمراء وخواص وعبيد ، وكل ما يلزمه من دواوين حكومية وخزائن للمال والسلاح وسواها .

وقد روعيت فى تخطيط هذه المدينة القواعد المقررة لتخطيط المدن التى وضعت فى القرن الخامس قبل الميلاد ، والتى عمل بها اليونان والرومان فى امبراطوريتهم القديمة المترامية الأطراف ، وترجع كلها فى الأصل إلى نماذج مأخوذة عن المدن المصرية الفرعونية القديمة وعن المدن الأشورية .

قلنا سابقاً إن جوهر شاهد فى فتوحاته العسكرية طرق تخطيط المدن الرومانية القديمة بشمال أفريقيا ، ثم أتيحت له الفرصة بعد ذلك لمشاهدة مدن مصر الفرعونية ومدن الشام البيزنطية .

والواقع لم يكن تخطيط ضاحية جوهر إلا اقتباساً ظاهراً من تخطيط مدينة تمجاد الرومانية فى أفريقيا الشمالية من حيث وجود شارع رئيسى يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب منتهياً إلى طرق المواصلات الرئيسية المؤدية للاتجاهين القبلى والبحرى وماراً بالميادين الوسطى التى بها سراى الحاكم وخدمه وحراسه وجنده ومتقاطعاً مع الشوارع العرضية على زوايا قائمة .

فشارع « قصبة القاهرة »[1] كان يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب ، ويمر بميدان بين القصرين وينتهى فى الشمال بباب النصر وباب الفتوح حيث تبدأ طرق القوافل الرئيسية المؤدية إلى السويس من جهة وإلى دمياط ومدن الوجه البحرى من جهة أخرى ، كما كان ينتهى فى الجنوب بباب زويلة حيث يبدأ الطريق المؤدى إلى الفسطاط ومدن الوجه القبلى . وكان هذا الطريق يعرف إذ ذاك باسم درب الجماميز لكثرة أشجار الجميز على جوانبه ولم يزل شارع درب الجماميز الحالى يمر مكان جزء من هذا الطريق القديم .

أما الشوارع العرضية فكانت تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ، وتتقاطع مع شارع « قصبة القاهرة » على زوايا قائمة .

وكانت وظيفة هذه الشوارع فى العصر الفاطمى هى فصل الحارات المختلفة عن بعضها فقط ، لأن كل

---

(١) ومكانه شارع المعز لدين الله الآن .

حارة من الحارات كان لها مدخل وحيد أو مدخلان على الأكثر يفتحان على هذه الشوارع الرئيسية . أما أبواب المنازل فكانت تفتح على حوار وأزقة داخلية تنتهى كلها إلى ميادين داخلية مقفلة ومسدودة . وبهذه الطريقة كانت الحارات المختلفة تحتفظ بشخصيتها وكان لا يدخلها إلا سكانها فقط حتى إذا قفل بابها الخارجى ليلا تعذر دخولها وسهل الدفاع عنها إذا هوجمت .

وإلى هذا النظام البديع يحاول التخطيط الحديث أن يرجع الآن فى مدن العمال و بيوت الفلاحين وماشاكلها .

ولم يبق لشوارع ضاحية جوهر أثر يذكر الآن اللهم إلا إذا قلت إن شارع المعز لدين الله الممتد بين باب الفتوح و باب زويلة يمر اليوم مكان شارع « قصبة القاهرة » فى العصر الفاطمى .

أما الشوارع الأخرى التى كانت تمر بين أبواب المدينة الشرقية والغربية فخليق بالهيئة المشرفة على تخطيط المدينة الحديثة أن تفكر فى إعادة شق أحد هذه الشوارع فيما بين ميدان باب الخلق [1] ماراً شمال محكمة الاستئناف ومنتهياً إلى باب درب المحروق ليتسنى لجزء كبير من مساكن قسم الدرب الأحمر المكدسة تكديساً أن تتنفس قليلا ولتتحسن حالة المرور فى هذه المنطقة المزدحمة ازدحاماً فوق الطاقة .

وكم يكون جميلا لو أمكن إرجاع فتح جميع هذه الشوارع العرضية الأصلية إلى ما كانت عليه سابقاً فى المدينة القديمة المزدحمة .

سور جوهر :

أقام جوهر حول ضاحيته الجديدة سوراً من اللبن لحمايتها من هجمات اعداء الفاطميين الأقوياء وهم القرامطة . ويمكننا الآن تعيين موقع هذا السور بالتقريب بين مبانى القاهرة الحالية لو رجعنا إلى المباحث العديدة التى قام بها المؤرخون ورجال الآثار قديماً وحديثاً عن أحياء القاهرة المعزية وأبوابها وأسوارها وما حدث من المبانى بين أسوارها المتتالية ويتضح من هذه المباحث أن الضلع الشمالى من هذا السور كان يبدأ من نقطة تقع مقابل جامع حسن الزركشى عند النهاية الغربية لشارع بين السيارج ثم يساير هذا الشارع شرقاً حتى تقابله مع شارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) حيث كان باب القوس الأول الذى كان بداخل باب الفتوح ، ويمتد من هناك إلى باب القوس الثانى الذى كان بداخل باب النصر ومكانه بشارع باب النصر إلى شمال جامع الشهداء ، المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون، ثم يمتد ضلع السور الشمالى بخط يمر بسكة العطوف وينتهى إلى حارة الوسايمة عند رأس هذه الحارة من جهتها الشرقية . وطول هذا الضلع ٩٢٥ متراً تقريباً .

---

(١) ميدان أحمد ماهر باشا الآن .

أما الضلع الشرقى لهذا السور فكان يبدأ من رأس حارة الوسايمة من جهتها الشرقية ويتجه جنوباً حتى باب البرقية وموقعه الآن فى نهاية شارع الدراسة عند نقطة تقابل هذا الشارع بتلال البرقية، ثم يمتد من هناك جنوباً حتى درب المحروق عند نقطة تقع على بعد خمسين ذراعاً غربى الباب المحروق حيث كان باب القراطين سابقا. وطول هذا الضلع ١١٧٥ متراً تقريباً.

أما الضلع الجنوبى فكان يبدأ من باب القراطين ويتجه غرباً إلى بابى زويلة الأصليين حيث زاوية سام بن نوح بشارع المعز لدين الله (شارع المناخلية سابقاً). ثم يمتد من هناك مسايراً شارع المنجلة من الجهة القبلية إلى باب سعادة حيث مبنى محكمة الاستئناف الأهلية الآن بميدان باب الخلق «ميدان أحمد ماهر باشا» وطول هذا الضلع ٩٧٥ متراً تقريباً.

أما الضلع الغربى فكان يبدأ من باب سعادة ويتجه شمالا إلى باب الخوخة على رأس شارع قبو الزينية مسايراً لشارع جامع البنات حتى تقابله مع شارع الأزهر الجديد. وهناك الآن جامع القاضى يحيى زين الدين. ثم يمتد من باب الخوخة إلى باب القوس الثالث الذى كان بداخل باب القنطرة (باب الشعرية الآن) مسايراً لشارع بين النهدين وشارع بين السورين وشارع الشعرانى البرانى حتى تقابله مع شارع أمير الجيوش الجوانى بالقرب من ميدان باب الشعرية الجديد حيث يتفرع الآن شارع الأمير فاروق الجديد وشارع باب الشعرية وشارع الخليج المصرى وسواها. ثم يساير ضلع السور الغربى امتداد شارع الشعرانى البرانى المعروف بشارع بين السيارج أيضاً (لأن شارع بين السيارج له فرعان على زاوية قائمة) حتى يتقابل مع ضلع السور الشمالى عند نقطة تقع مقابل جامع حسن الزركشى عند النهاية الغربية بشارع بين السيارج وهى النقطة التى ابتدأنا منها. وطول هذا الضلع ١٢٠٠ متر تقريباً.

هذا هو موقع سور جوهر بين مبانى القاهرة الحالية.

ومما يلاحظ أن جوهر أطلق اسم بابى المنصورية ضاحية مدينة القيروان بالمغرب وهما باب زويلة وباب الفتوح على بابين من أبواب القاهرة المصرية.

وقد ذكر المقريزى أنه لم يبق من آثار هذا السور شىء يذكر فى زمنه وأنه دهش لما شاهد حجم قوالب اللبن الكبيرة التى تخلفت عن هذا السور.

وطبقاً لتحديد موقع أضلاع سور جوهر المذكورة هنا يمكننا بالتقريب استخراج طول مدينة جوهر وعرضها ومساحتها. فالمسافة بين الضلع الشمالى والضلع الجنوبى من نقطة تقابل شارع بين السيارج بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) حيث كان باب الفتوح الأصلى إلى زاوية سام بن نوح بالمناخلية حيث كان بابى زويلة أصلا تبلغ الآن ١٢٠٠ متراً.

والمسافة بين الضلع الشرقى والضلع الغربى من موقع باب البرقية إلى موقع باب الخوخة على رأس شارع قبر الزينية تبلغ الآن ١٢٧٥ متراً .

وعلى ذلك تكون مساحة قاهرة جوهر حوالى ٣٥٠ فداناً فقط بينما تبلغ مساحة المدينة الحالية داخل كردون القاهرة ٤٠٫٠٠٠ فدان تقريباً . أى أكثر من مائة ضعف المساحة الأصلية . فياله من فرق شاسع !

ابواب قاهرة جوهر :

فتح جوهر فى سوره ثمانية أبواب وجعل فى كل ضلع من أضلاع هذا السور بابين . فجعل فى الضلع الشمالى بابى النصر والفتوح . وهما غير البابين الموجودين حالياً ضمن سور بدر الجمالى الذى سنتكلم عنه فيما بعد .

ويمكننا تعيين مواقع أبواب قاهرة جوهر الأصلية لو رجعنا إلى المباحث العديدة التى قام بها الباحثون ورجال الآثار قديماً وحديثاً عن هذا الموضوع .

ويتضح من هذه المباحث أن باب الفتوح الأصلى الذى بناه جوهر كان يقع عند رأس شارع بين السيارج من الجهة القبلية فى نقطة تقابل هذا الشارع بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) .

كما يتضح أن باب النصر الأصلى الذى بناه جوهر كان يقع على بعد ٢٠ متراً تقريباً إلى شمال جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون بشارع باب النصر . تجاه زاوية القاصد بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء .

فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) نقل بابى النصر والفتوح من مكانهما الأصلى إلى مكانهما الحالى . وقد ذكر المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) أنه عاين بقايا باب النصر الأصلى تجاه ركن المدرسة القاصدية الباقى منها الآن قبة صغيرة تعرف بزاوية القاصد بشارع باب النصر بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء .

هذا فى الضلع الشمالى أما فى الضلع الشرقى فقد فتح جوهر فى سوره بابى البرقية والقراطين .

أما باب البرقية وهو المنسوب إلى جنود برقة الذين حضروا مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر ، فيتبين من خريطة الحملة الفرنسية أن موقعه الآن تحت تلال البرقية مقابل شارع الدراسة .

أما باب القراطين فكان يقع بالقرب من الباب المحروق الحالى فى نهاية شارع درب المحروق بقسم الجمالية . وقد ذكر المقريزى أن الباب المحروق عرف بهذا الأسم بسبب الحريق الذى اشعله فيه المماليك سنة ٦٥٢ هـ عند علمهم بقتل الأمير أقطاى عميدهم فحاولوا الخروج من هذا الباب ليلا وكان مغلقاً كالعادة المتبعة فى ذلك العصر من غلق أبواب القاهرة ليلا ، فاوقدوا النار فى الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه . ومن ذلك الوقت عرف هذا الباب باسم الباب المحروق .

وهذه هى أبواب الضلع الشمالى والضلع الشرقى أما فى الضلع الجنوبى فقد جعل جوهر فى سوره بابى زويلة .

أما بابا زويلة هذان فقد بنتهما قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال أفريقيا ، وقد انضمت جنود هذه القبيلة إلى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر .

أما الموضع الأصلى لهذين البابين فكان عند مسجد بن البناء وعند الحجارين .

قال المرحوم محمد بك رمزى فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة .

« مسجد ابن البناء هو الذى يعرف اليوم باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله (شارع المناخلية سابقاً) وتسميها العامة زاوية سام بن نوح . وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله . وقد أزيل بابا زويلة الأصليان و بنى بدر الجمالى بدلهما باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم ، وتسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله متولى حسبة القاهرة أى متولى تحصيل ضريبة الدخولية إلى القاهرة » انتهى .

هذا ما كان فى الضلع الجنوبى ، أما فى الضلع الغربى الموازى لخليج أمير المؤمنين فقد جعل جوهر فى سوره بابى سعادة والقنطرة .

أما باب سعادة المنسوب إلى سعادة بن حيان غلام المعز وأحد قواده ، فكان موقعه على بعد عشرة أمتار شمالى الباب الغربى لمحكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق (ميدان أحمد ماهر باشا الآن) .

أما باب القنطرة فكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى . وقد عرف بهذا الإسم لأن جوهر بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصرى سنة ٣٦٠ هـ يمر فوقها بجيوشه إلى المقس لرد غارات القرامطة عن مصر .

وقد سمى العامة باب القنطرة خطأ باسم باب الشعرية ، فى حين أن باب الشعرية كان قائماً غربى الخليج بميدان العدوى بين شارعى العدوى وسوق الجراية .

وقد ذكر المقريزى أنه بالقرب من هذا المكان كانت قنطرة اسمها قنطرة باب الشعرية .

و إلى هنا انتهينا من وصف الأبواب الثمانية الأصلية لقاهرة جوهر . ولنبدأ الآن فى وصف القصور الزاهرة نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء جدة الفاطميين ، وهى القصور التى بناها جوهر لسيده المعز ثم أتمها ووسعها وأضاف إليها بقية الخلفاء الفاطميين .

القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى :

وضع جوهر أساس القصر الكبير الشرقى ليلة وضعه أساس سور القاهرة ، واستمر يعمل فيه حوالى أربع سنوات حتى قبيل وصول المعز . ويقال إن هذا القصر كان مكوناً من أربعة آلاف حجرة بها كثير من الأثاث والجواهر والحلى والأوانى والثياب والسلاح .

ولم يكن هذا القصر فى الواقع سوى مجموعة هائلة من القصور الملكية المختلفة تجمعت كلها داخل مبنى واحد .

ولما تولى العزيز بالله بن المعز الحكم بنى القصر الصغير الغربى مقابله وجعل بين القصرين ميداناً فسيحاً يسع عشرة آلاف جندى .

وقد بلغت مساحة المبانى والأحواش الداخلية والحدائق والطرقات المسقوفة والممرات السفلية وسواها المكونة للقصرين الشرقى والغربى حوالى سبعين فداناً .

وصف المقريزى هذه القصور وما ألحق بها من خزائن وقاعات و إيوانات ، كما وصفها ناصر خسرو الرحالة الفارسى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) ، وكما جاء وصفها أيضاً فيما كتبه غليوم رئيس أساقفة صور ومؤرخ الحروب الصليبية ، وفيما كتبه جوستاف شلمبرچيه ولين بول ، و يستخلص من هذه الأوصاف أن واجهات هذه القصور بنيت بالحجارة المحكمة الانطباق بعضها فوق بعض حتى ليخيل للإنسان أنها منحوتة فى صخرة واحدة وزخرفت بصور الطيور والحيوانات ، وأن القاعات حليت بالرخام والنقوش الملونة والفساقى التى تنساب فيها المياه . هذا عدا الأستار الحريرية والبسط المصورة والأرائك المطعمة بالذهب .

وكانت القصور المختلفة متصلة ببعضها بسراديب سفلية يمشى فيها أناث الحر تخدمها النساء . وقد انقرضت هذه القصور قبل الأوان نتيجة للتعنت السياسى عقب سقوط الدولة الفاطمية . وأقيم على رقعة من أرض القصر الكبير الشرقى المدارس الصالحية والظاهرية وسبيل محمد على (مدرسة النحاسين) وقصر بشتاك وقسم الجمالية وما حوله . وتطل معظم هذه المبانى الآن على شارع المعز لدين الله من الجهة الشرقية . وكم يكون جميلا لو قررت مصلحة التنظيم كشف واجهة المدرسة والقبة الصالحية بأزالة ما يحجبها من دكاكين النحاسين القذرة لارجاع شارع المعز (شارع بين القصرين الأثرى) إلى عرضه الأصلى .

أما القصر الصغير الغربى فقد تلاشى أيضاً وحل محله مجموعة المبانى العربية الفخمة التى تزين نفس هذا الشارع من الجهة الغربية وهى جامع المنصور قلاوون والناصر ابنه والظاهر برقوق والمدرسة الكاملية حتى الخرنفش .

ويمكننا الآن تصور ما كان لهذه القصور من سموق بنيان ، و براعة نقوش ، وجمال أثاث ، وحسن تنسيق ، وما كانت توحى به من عظمة ملك ، وقوة سلطان ، وفخامة ثروة ، وسطوة دولة ، و إسراف فى الترف ، و إغراق فى النعيم ، مما تخلف عنها من أخشاب محلاة بنقوش بارزة تمثل حفلات الرقص والطرب ، وحلبات الصيد ، والطيور والحيوانات . ومما عثر عليه الباحثون من ألواح رخامية بها صور ونقوش غاية فى الدقة والجمال. وربما تعطينا الصورة المنشورة مع هذا الكلام وهى أقدم صورة عثرنا عليها لمدينة القاهرة فكرة عن مبانى هذه القصور .

وكانت أهم معالم القصر الكبير الشرقى ومناظره وقاعاته وملحقاته كما يستفاد من وصف المقريزى له هى : بهو الذهب والإقبال والظفر والشجرة وقصر الشوك والزمرد والنسيم والبحر والحريم .

وفى عصر العزيز بن المعز أضيفت له قاعة الذهب والديوان الكبير .

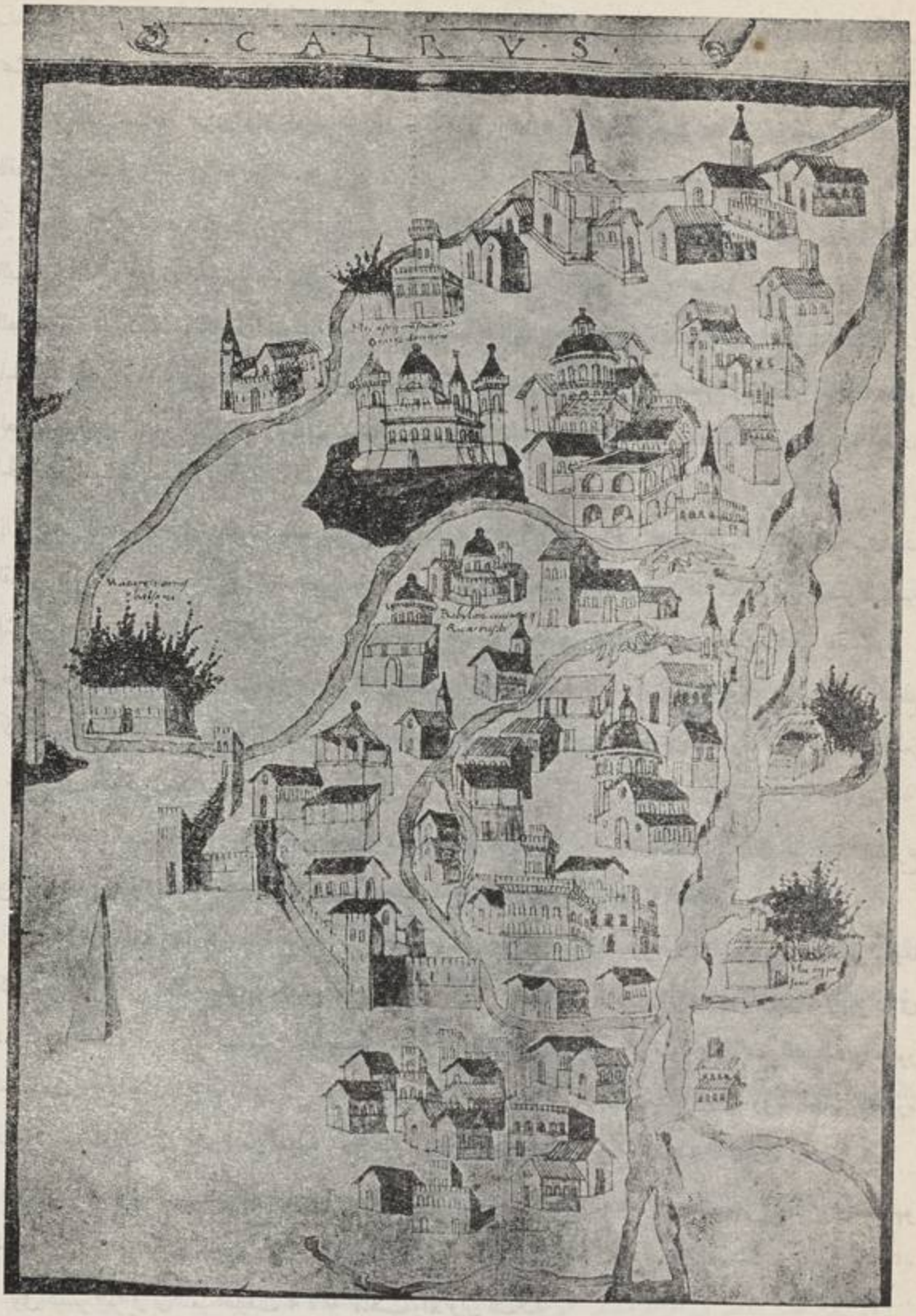

أقدم خريطة عملت لمدينة القاهرة وترى بها القصور الملكية والجامع والسور والأبواب المحصنة والخليج والقناطر والنيل
(صورة مأخوذة من نشرة باللغة اللاتينية أودعت مكتبة باريس الأهلية حوالى سنة ١٤٨٠)

كما كان لهذا القصر تسعة أبواب أهمها وأكبرها باب الذهب ثم يليه باب البحر ثم باب الريح و باب الزمرد و باب العيد و باب قصر الشوك و باب الديلم و باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة .

وكان الخليفة يستقبل رجال الدولة فى يومى الإثنين والخميس وفى أيام المحافل والأعياد والمواسم بقاعة الذهب . وكانت القوات العسكرية تدخل القصر فى هذه الأيام من باب الذهب .

وكانت الجوارى تملأن هذه القصور الزاهرة جميعها رائحات غاديات ، وكن خليطاً من روميات ، وصقلبيات ، وتركيات وجركسيات . وقد زادتهن الملابس جمالا على جمال . هذه كانت حياة القصور فى قاهرة المعز . فلننظر الآن فيما كان يحيط بها من خطط وأحياء .

أحياء القاهرة الفاطمية :

كانت القاهرة فى أول أيامها صغيرة لا يوجد بها سوى قصر الخليفة و بيوت وزرائه وقواده ، وثكنات الجنود ، ولكنها أخذت تتسع بسرعة ، فأقيمت فيها القصور الفخمة ، والأسواق العظيمة ، وشيدت بها المساجد والمدارس ، وكثرت فيها الشوارع والحارات . وقد ذكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى كتابه « سافرنامه » أحياء أو حارات القاهرة الفاطمية كما ذكرها أيضاً المقريزى ، وابن تغرى بردى ، وعلى باشا مبارك ورافيس وسواهم كثيرون .

و يستخلص من هذه المباحث أن أهم أحياء أو حارات القاهرة الفاطمية كانت :

أولا — حارة برجوان — وهى منسوبة إلى الخادم برجوان — وكانت فى المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منهما من العطف والأزقة بقسم الجمالية .

وليس المقصود « بحارة » فى قاهرة المعز الشارع الصغير الضيق كما هو مفهوم الآن ولكن المقصود بها هو الحى بأكمله بما فيه من شوارع وأزقة وميادين وأسواق ومدارس ومساجد ومرافق عامة أخرى .

ولا تزال وظيفة شيخ الحارة معروفة للآن بأقسام القاهرة وكانت تسند أصلا إلى أحد عظماء الحى ليكون مسئولا أمام الهيئات الحكومية عن الأمن وحفظ النظام فى حيه . أما الآن فقد أصبحت هذه الوظيفة حقيرة لا أهمية لها .

ثانياً — حارة زويلة — وتنسب هذه الحارة الى قبيلة زويلة وهى قبيلة من البربر سكان أفريقيا الشمالية الأصليين وقد انضم رجال هذه القبيلة إلى جيش جوهر فى الحملة الخاصة بفتح مصر . فلما شرع جوهر فى وضع خطط القاهرة ، أخذت هذه القبيلة فى بناء مساكنها فى الحارة التى عرفت باسم حارة زويلة . ولما كان عدد جنود هذه القبيلة كبيراً جداً ، فقد نشأت هذه الحارة واسعة عظيمة . وهى تقع فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الخرنفش ، ومن الغرب بشارع زويلة ودرب الكتاب ، ومن الجنوب بشارع الصقالبه ، ومن الشرق بحارة اليهود القرايين وحارة خميس العدس ، و يتخللها عدة شوارع وحارات وعطف .

وأهم معالمها اليوم هى كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة ، وقد أنشئت حسب رواية المقريزى فى القرن الرابع الميلادى أى أنها أقدم من قاهرة جوهر بستة قرون تقريبا ، فاختطت قبيلة زويلة مساكنها حولها . ويبلغ طول هذه الكنيسة الآن ٢٨ مترا وعرضها ١٩ مترا وارتفاعها ٥و١١ مترا ، وهى أوطأ بخمسة أمتار تقريبا عن مستوى الشارع .

وقد ذكر أبو المكارم أن هذه الكنيسة كانت عظيمة جدا بما فيها من الأبنية والأحجبة المطعمة بالعاج والأبنوس والتصاوير والأعمدة المرمر وغير ذلك مما يذهل الناظرين .

وقد نقلت البطريركية القبطية إلى هذه الكنيسة من دير أبى السيفين فى القرن الرابع عشر وبقيت بها إلى أن نقلها إلى حارة الروم أنبا متاووس البطريرك الثانى بعد المائة سنة ١٦٦٠ م .

ثالثا — حارة الجودرية — والجودرية طائفة تنتسب إلى جودر خادم عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب . وكان عدد رجال هذه الطائفة الذين حضروا مع جوهر ٤٠٠ رجل .

وقد اختطوا حارتهم فى المنطقة التى يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية بقسم الدرب الأحمر .

رابعا — حارة الأمراء — وكانت تقع بالقرب من باب الزهومة أحد الأبواب الغربية للقصر الكبير ، وموقعه اليوم الدكاكين الموجودة فى أول شارع خان الخليلى على يسار داخله من جهة شارع القمصانجية من شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) .

خامساً — حارة الديلم أو حارة الأتراك — وهذه الحارة منسوبة إلى الديلم الواصلين بصحبة أفتكين غلام المعز بن بويه الديلمى الذى تغلب على الشام أيام المعز الفاطمى وقاتل القائد جوهر واستنصر بالقرامطة . ثم خرج إليهم العزيز بالله بن المعز الفاطمى فأسره فى الرملة وقدم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء وأنزله هو وأصحابه بهذه الخطة وبها كانت دار الصالح طلائع بن رزيق وكان يسكنها قبل الوزارة .

وكانت حارة الديلم كبيرة جداً ، وقد نزل هؤلاء الأتراك فى المنطقة التى بها اليوم حارة الكحكيين ودرب الأتراك وحارة حوش قدم . وإلى اليوم يوجد بحارة حوش قدم بقسم الدرب الأحمر زقاق مشهور بحبس الديلم .

سادساً — حارة الروم — كان ملك الفاطميين يمتد فى شمال أفريقيا إلى المحيط الأطلسى وكان يشمل جزائر صقلية وسواها من بلاد الروم . ولذا كان عدد جنود الروم الذين أنضموا إلى جيش جوهر لفتح مصر عظيما لدرجة أنه لم يكفهم حارة واحدة من حارات قاهرة جوهر حين اختط ضاحيته الجديدة بل اضطروا إلى إقامة مساكنهم فى حارتين :

(ا) حارة الروم المعروفة الآن بقسم الدرب الأحمر وكانت تعرف قديماً باسم حارة الروم السفلى . وأهم معالمها اليوم هى كنيسة أثرية للأقباط تعرف باسم كنيسة العذراء بحارة الروم و بداخلها دير للراهبات يعرف باسم دير الأمير تادرس .

و يرجع تاريخ هذه الكنيسة إلى القرن السادس أى أنها أنشئت قبل قاهرة جوهر بأربعة قرون . فاختط الروم مساكنهم حولها ، ثم امتدت هذه المساكن إلى خارج سور جوهر لكثرتها .

أما كنيسة العذراء بحارة الروم فيبلغ طولها الآن ١٨ متراً وعرضها ١٧ متراً وارتفاعها ٩٫٥٠ أمتار . وكانت تعتبر من أهم كنائس مصر . وهى أوطأ من منسوب الشارع بمتر ونصف .

وقد نقلت إليها البطريركية القبطية من حارة زويلة فى عهد أنبا متاووس البطريرك الثانى بعد المائة سنة ١٦٦٠م ثم نقلت منها سنة ١٧٩٩ م فى عهد الحملة الفرنسية إلى مقرها الحالى بالدرب الواسع بقسم الأزبكية . وقد عدل الدرب الواسع حديثا وسمى بعد تعديله وتوسيعه شارع الكنيسة المرقسية وهو يصل ما بين شارع كلوت بك وميدان قنطرة الدكة .

(ب) أما حارة الروم الثانية ، وكانت تعرف قديماً باسم حارة الروم العليا ، فكان مكانها بقرب باب النصر ولا يزال فى مكانها إلى اليوم دير قديم غير مستعمل للروم الأرثوذكس .

سابعاً — حارة الباطلية — وتنسب إلى طائفة من المغاربة جاءوا إلى مصر مع المعز ، فلما قسم العطاء فى الناس ، جاءت هذه الطائفة تسأل العطاء فقيل : فرغ المال ، فقالوا : رحنا نحن فى الباطل ، فسموا الباطلية ، وعرفت الحارة بهم .

و يدل على موقع هذه الحارة اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية فى الجنوب الشرقى للجامع الأزهر بقسم الدرب الأحمر .

ثامناً — حارة ملوخية — وهى منسوبة إلى ملوخية أحد فراشى القصر ، وكان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ، وكانت هذه الحارة تعرف فى أول الأمر باسم حارة قائد القواد لأن حسين ابن القائد جوهر الملقب بقائد القواد كان يسكن بها فعرفت به ثم نسبت بعد ذلك إلى ملوخيه الفراش المذكور سابقا .

و يعرف مكانها اليوم باسم حارة قصر الشوك المتفرعة من شارع قصر الشوك بقسم الجمالية .

تاسعاً — حارة الكافورى — وقد بنيت فى مكان بستان كافور الأخشيدى لما خرب ، وكانت تقع فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى ، ومن الغرب بشارع الشعرانى البرانى ، ومن الجنوب بشارع الخرنفش ، ومن الشرق بحارة برجوان .

عاشراً — حارة العطوف — وهى منسوبة إلى الخادم عطوف أحد خدام القصر فى الدولة الفاطمية ، وكان أصله من خدم أم ست الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم ، وتدل على موقعها المنطقة التى تخترقها اليوم حارة العطوف وفروعها بالقرب من باب النصر بقسم الجمالية .

حادى عشر — حارة الوزيرية — وهى منسوبة إلى الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله بن المعز ، وكان هذا الوزير فى الأصل تاجراً يهوديا أفلس بالشام ففر إلى مصر وأسلم فى عهد كافور الأخشيدى والتحق بخدمته حتى أثرى فلما كثر حساده فر ثانياً إلى أفريقيا والتحق بخدمة المعز وهو يعد العدة لفتح مصر ، فعلم منه المعز كل ما أراد معرفته عن أحوال مصر ، وتأكد أنه سوف لا يلقى مشقة كبيرة فى فتحها . فلما فتحت مصر فعلاً حضر إليها يعقوب بن كلس بصحبة المعز وظل بها حتى تقلد منصب الوزارة فى عهد العزيز بالله بن المعز .

أما حارة الوزيرية فكانت فى زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة تقع في المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب ، ومن الغرب بشارع درب سعادة ، ومن الجنوب بالجزء الغربى من سكة النبوية والجزء الشمالى من حارة الجودرية ، ومن الشرق بشارع بيبرس .

ثانى عشر — حارة كتامة — وهى منسوبة إلى قبيلة كتامة أصل دولة الخلفاء الفاطميين ، نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر . وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التى تتوسطها حارة الأزهرى وعطفة الدويدارى وما يتفرع منهما من العطف والدروب الكائنة فى الجنوب الشرقى من الجامع الأزهر .

ثالث عشر — حارة البرقية — وهى منسوبة إلى أهل برقة ، وكانوا جماعة كبيرة حضروا بصحبة المعز لدين الله لما قدم من بلاد المغرب وبنوا دورهم ومساكنهم بهذه الحارة . وموضعها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع الدراسة والتى تحد من الشمال بسكة كفر الطماعين وعطفة بير العلوة ، ومن الغرب بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السويقة ، ومن الجنوب بشارع الغريب ، ومن الشرق بشارعي قرافة المجاورين وبرج الظفر .

رابع عشر — حارة المحمودية — أو حارة المصامدة وهى منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية التى قدمت أيام العزيز بالله بن المعز إلى مصر . وكانت تشغل المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع الأشراقية والنصف الشرقى من سكة النبوية بقسم الدرب الأحمر .

أهم معالم القاهرة الفاطمية الباقية إلى اليوم

الجامع الازهر :

من الظواهر المعروفة منذ القدم بمصر ، عند إنشاء العواصم الجديدة بمناسبة اعتلاء أسر جديدة عرش الفراعنة ، بناء معابد أو مساجد لنشر الدعوة للحكام الجدد . فحيثما تقوم العاصمة الجديدة يقوم فى وسطها قصر الحاكم ثم المعبد أو الجامع وتقام من حولها خطط المدينة الحديثة .

فلما قامت مدينة القاهرة الفاطمية أقيم بها مسجد القاهرة على نحو ما اتبع فى العواصم الاسلامية السابقة . بدأ جوهر القائد فى بناء المسجد الجامع فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (ابريل سنة ٩٧٠ م) إلى جانب القصر الفاطمى ، أى بعد سنة واحدة من دخول جوهر مصر ، وتم بناء الجامع فى عامين وثلاثة أشهر وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) .

وكانت الحكمة واضحة فى إنشاء المسجد الجديد فقد كان قيامه رمزاً لسيادة دعوة دينية جديدة هى الدعوة الفاطمية الشيعية ، كما كانت العاصمة الجديدة رمزاً لظفر الدولة الفاطمية وسيادتها .

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذى أقيم فيه منذ عشرة قرون وما زالت فيه بقية من أبنيته الفاطمية الأولى تحتل مكانها الأصلى داخل الصرح القائم اليوم وهى تبلغ نصف المسجد الحالى . وتدل الظواهر المعمارية على أن هذا المسجد قد أضيفت اليه زيادات كثيرة فى عهود مختلفة وتؤيد المراجع التاريخية هذه الظواهر تأييداً واضحا .

وقد بنى الجامع الأزهر بالطوب ومونة الجير وحلى بالزخارف والكتابات . أما أعمدته الرخامية فقد نقلت من مختلف الكنائس القبطية والمعابد الرومانية ، ولذلك فهى تتفاوت فى السمك وفى الارتفاع وفى تنوع تيجانها .

وتحمل بعض تيجان الأعمدة للآن بعض الصلبان المسيحية ثم رسم النسر الرومانى المشهور ناشراً جناحيه وهو من صناعة بيزنطية متأخرة .

ويمكن تحديد المسجد الفاطمى القديم الآن من الجهة الشرقية بمقصورة عبد الرحمن كتخدا ، ومن الجهة الغربية بنهاية الصحن الكبير ، ومن الجهة البحرية بالمدرسة الجوهرية ومرافق الجامع ، ومن الجهة القبلية بشارع محمد عبده (الأزهر سابقاً) .

أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد نشأت فى رمضان سنة ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) حين جلس يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله بن المعز بالجامع الأزهر وقرأ على الناس كتاباً ألفه فى الفقه الشيعى ، فهرع إلى سماعه سائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة . فكانت مجالس ابن كلس أول مجالس جامعية عقدت بالجامع الأزهر ، وكانت تمتاز

باتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية . ثم استمر هذا النظام بتعيين جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس بالجامع الأزهر . وهكذا نشأت الجامعة الأزهرية أكبر وأقدم جامعة إسلامية بقيت فى العالم حتى الآن .

العناصر المعمارية وأصولها :

يشرف المدخل الرئيسى للجامع الأزهر الآن وهو المعروف باسم « باب المزينين » الذى . أنشأه عبدالرحمن كتخدا على ميدان الأزهر الجديد، ومن هذا الميدان ترتسم أمام ناظريك مآذن هذا الجامع الرشيقة وهى مئذنتى اقبغا وقايتباى من الشمال ومئذنة الغورى من الجنوب .

فاذا نفذت إلى داخل هذا المسجد تجد أمامك نفس العناصر المعمارية الأساسية فى المعابد المصرية القديمة ، فهنا الصحن المكشوف المحاط بالأعمدة والأكتاف والأروقة وهى هى نفس صحن وأعمدة وأكتاف وأروقة المعبد المصرى القديم مع ما اقتضاه الفن الإسلامى الجديد من توجيهات حديثة ومن تعديلات وتحويرات فى نسبها وزخرفتها وكتاباتها وأوضاعها . ثم تجد المآذن والقباب والمحراب المجوف والحوائط المكسوة بالفسيفساء والمنابر الخشبية وسواها وهى هى نفس العناصر المعمارية الأساسية فى الكنائس المسيحية التى قامت بمصر فى عصور العواصم السابقة لمدينة القاهرة .

على أن هذا الأثر الواضح لحضارات العواصم المصرية القديمة فى الجامع الأزهر — وهو أهم معالم القاهرة منذ نشأتها إلى الآن — لم يمنع الفن الإسلامى من التطور والبروز وتكوين شخصيته الجذابة التى استقلت ثم نمت وترعرعت وبزت كثيراً من الفنون السابقة . وقد تجلت للعيان مميزات هذا الفن ورشاقته وبراعته فيما نراه الآن من مآذن شامخة وقباب عالية ومحاريب غاية فى الدقة والاتقان أقيمت بهذا المسجد الجامعى وسواه من جوامع القاهرة .

مشروع المدينة الأزهرية :

وضع مشروع المدينة الأزهرية حديثاً على نمط المدن الجامعية العصرية ، فخطط ميدان الأزهر الجديد وما تفرع منه من شوارع تخطيطاً بديعاً كشف كثيراً من واجهات المبانى الأثرية الجميلة المحيطة بهذا الجامع . وأقيمت فيه إدارات غاية فى الوجاهة والروعة الفنية ولا تزال هناك كليات وإدارات أخرى تحت التنفيذ وكلها غاية فى الروعة والجمال ومن المنظور أن تصل تكاليف المدينة الأزهرية بعد تمامها إلى حوالى مليون جنيه مصرى .

جامع الحاكم بأمر الله :

أسسه الخليفة العزيز بالله بن المعز سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ثم افتتحه بالصلاة قبل إتمامه فى ٢ رمضان سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) . وبعد وفاة العزيز بالله ، قام ابنه الحاكم بأمر الله باتمام هذا الجامع فأتم بناء المنارة البحرية وكتب اسمه

عليها ، كما أنشأ المنارة القبلية ، ولظهور ميل خشى معه سقوطهما ، بنى القاعدتين الهرميتين حولهما لتدعيمها ، ثم افتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فغلب على الجامع اسم الحاكم ولم ينسب إلى أبيه مؤسسه الأصلى . وقد صرف الحاكم على إتمام بناء هذا الجامع ٤٠٫٠٠٠ دينار ، وكانت الجمعة تجمع مرة فى الجامع الأزهر ومرة فى الجامع الحاكمى ، ومرة بجامع ابن طولون ، ومرة بالجامع العتيق ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .

وتصميم الجامع الحاكمى يشترك مع الجامع الطولونى فى كثير من التفاصيل المعمارية ، فهو يتفق معه فى شكل عقوده المقامة على أكتاف مبنية بالطوب خلقت بنواحيها الأربع عمداً ، وفى أروقته المحيطة بالصحن ، وفى الإفريز الجصى المكتوب بالكوفى بازار السقف غير أنه هنا بالجص وهناك بالخشب ، كما يشاركه أيضاً فى وجود زيادة به كانت فى جهته القبلية .

ويمتاز عليه بوجود ثلاث قباب بإيوانه الشرقى ، إثنتان فى طرفيه ، والثالثة فوق المحراب ، وبوجود منارتين بطرفى الواجهة الغربية ، وبالمجاز الذى يشق أروقة الإيوان الشرقى من الصحن إلى المحراب مثل مجاز الجامع الأزهر

والجامع الحاكمى ثانى جامع أنشىء فى الدولة الفاطمية بعد الأزهر . وهو جامع كبير مساحته ٢٢و١٤٧٨٤ متراً مسطحاً يتوسطه صحن فسيح مسطحه ٧٢و٥٦١٢ متراً مسطحاً .

وكما طرأ على الجامع الأزهر تغييرات كثيرة ، فقد طرأ على هذا الجامع أيضاً تغييرات كثيرة ، غير أن بقاياه الفاطمية أكثر جداً من بقايا الجامع الأزهر . وهناك الآن مشروع جليل لنزع ملكية ما حول هذا الجامع من الجهة الغربية وكشف مبانيه الأثرية الجميلة . ويشرف على هذه العملية البروفسور كريزويل العالم المشهور فى الآثار الإسلامية .

باقى المساجد الفاطمية :

هذا أما باقى المساجد الفاطمية الباقية لليوم بالقاهرة فهى : الجامع الأقمر ويقع بشارع المعز لدين الله بالنحاسين . وجامع الصالح طلائع بن رزيك ومكانه خارج أسوار القاهرة الفاطمية فى المكان الواقع اليوم على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر بشارع قصبة رضوان تجاه باب زويلة . وجامع الفكهانى ويقوم على رأس حارة حوش قدم بالغورية . وجامع الجيوشى بأعلى المقطم . وكذا مشهد أخوة يوسف الأسباط بشياخة الأباجية بقسم الخليفة . ومشهد السيدة رقية بشارع الخليفة . وكلها قطع فنية رائعة تستحق الزيارة .

سور بدر الجمالى :

ذكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى وفد على مصر فى أوائل عهد الخليفة المستنصر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨م) ليلتحق بدار الحكمة ، وكانت جامعة مدنية وفلسفية أقامها الحاكم بأمر الله فى دار ملاصقة للقصر الصغير الغربى — أن سور جوهر القديم الذى أنشىء سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩م) كان قد تهدم فى عصره ، أى بعد انشائه بنحو ٨٠ سنة

تقريباً ، ولذا لم يكن للقاهرة فى أول عهد المستنصر اسوار ، ولـكن الأمن كان مستتباً مع ذلك لدرجة أن تجار الجواهر اليهود كانوا يتركون حوانيتهم بدون حراسة . وكان الرخاء يعم البلاد . وكانت بيوت القاهرة العالية ، وكلها ملك الخليفة ، مبنية على نسق الاستحكامات وكل بيت منها أشبه شىء بقلعة صغيرة و يفصل كل بيت عن الآخر حديقة غناء .

ومن المعلوم أن الخليفة المستنصر صادف فى مدة خلافته الطويلة التى دامت ستين عاماً نعيم الحياة و بؤسها . ففى أول عهده ، فاقت القاهرة جميع العواصم المعروفة فى العالم حينئذ فى الثروة والترف ، ولـكن لما حلت «الشدة العظمى» منذ سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠م) بسبب ضعف شخصية الخليفة وانقسام جيشه واستبداد عناصره المغربية بالفلاح المصرى واغتصاب أرزاق الناس ثم تقصير النيل لمدة سبعة أعوام متتالية ، تبدل نعيم المستنصر بؤساً ، وضاعت هيبة الحكومة ، وأوشكت الدولة على الزوال ، لولا استنجاد الخليفة ببدر الجمالى صاحب سوريا الذى جمع زمام السلطة فى يده وحكم البلاد بحزم وعدل فأعاد الأمن إلى نصابه ، وقضى على عوامل الفساد ، وسرعان ما عاد الرخاء إلى البلاد .

وعند ذلك وجه بدر الجمالى همه إلى تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية وضد ثورات الجند الداخلية ، فأقام حولها السور الثانى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) بعد اندثار السور الأول الذى بناه جوهر . وكان قد مضى ١١٨ سنة ميلادية بعد تاريخ بناء هذا السور ، بقيت فيها القاهرة مدة تقرب من ٤٠ سنة بدون أسوار لأن سور جوهر كان قد تهدم وانفصلت أجزاؤه عن بعضها منذ سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) كما قلنا سابقاً .

ويمكننا الآن تعيين موقع سور بدر الجمالى بين مبانى القاهرة الحالية بواسطة بقاياه التى لم تزل تحتل مكانها الأصلى و بواسطة أبوابه البديعة وهى باب الفتوح و باب النصر فى الشمال و باب زويلة فى الجنوب وهى هى التى لم تزل منذ أنشأها بدر الجمالى فى موضعها تدهش من يراها بما فيها من أساليب الدفاع المختلفة الخفية و بفنها وجمالها ومتانتها وعقودها وزخارفها التى أدخلت على الفن الفاطمى على أيدى من هاجر من الأرمن والسوريين للعيش فى مصر تحت ظل بدر الجمالى الوزير الأرمنى الذى سلط على الأرض ومن فيها .

ويمكننا فوق ذلك تعيين الزيادات التى أضيفت لقاهرة المستنصر بين السور الأول والسور الثانى مما ذكره المقريزى وسواه من المؤرخين والباحثين ومن معالم القاهرة الحالية .

أما الضلع الشمالى من سور بدر الجمالى فلا يزال يحتل موضعه الأصلى فى المدينة ، ويمتد من البرج المعروف حالياً على خرط المساحة باسم برج نمرة ١٩ شرقاً إلى باب النصر وجامع الحاكم و باب الفتوح غرباً ، ومن هناك يسير حتى نقطة تقاطعه مع شارع فاروق الجديد حيث نهايته الحالية ، وكان أصلاً يمتد حتى الشاطىء الأيمن لخليج القاهرة حيث فم حارة المسطاحى بقسم باب الشعرية اليوم بطول ١٢٥٠ متراً تقريباً .

وبهذا الوضع أدخل بدر الجمالى جامع الحاكم بأمر الله داخل سور القاهرة بعد أن كان خارج سورها ونقل بابى

الفتوح والنصر من مكانهما القديم إلى مكانهما الحالى على جانبى هذا الجامع وعلى بعد ١٥٠ متراً تقريباً إلى شمال موقعهما الأصلى .

وكان سور بدر الجمالى مبنياً باللبن ما عدا الجزء الواقع بين بابى الفتوح والنصر فكان بالحجر . وكذلك الأجزاء الواقعة على جانبى البابين المذكورين فبنيت بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب . وقد هدمت الأجزاء التى بناها بدر الجمالى من هذا السور باللبن فأقام صلاح الدين فى مكان بعض أجزاء منها أجزاء أخرى بالحجر فى سوره الثالث .

أما الضلع الغربى من هذا السور فكان يسير موازياً للضلع الغربى من سور جوهر المذكور سابقاً وينتهى إلى موقع باب الخرق « باب الخلق » على رأس شارع تحت الربع « شارع أحمد ماهر باشا الآن » بقسم الدرب الأحمر بطول ١٦٠٠ متر تقريباً .

أما الضلع الجنوبى من هذا السور فكان يبدأ من باب الخرق ويتجه شرقاً إلى باب زويلة الحالى مسايراً شارع تحت الربع ثم يمتد من باب زويلة إلى برج نمرة ١٣ من بقايا السور الموجودة للآن والمبينة على خرائط المساحة مسايراً شارع الدرب الأحمر وحارة سعد الله . وطول هذا الضلع ١٠٠٠ متر تقريباً .

وبهذا الوضع أدخل بدر الجمالى حارة الروم داخل أسوار القاهرة ونقل باب زويلة من مكانه الأصلى إلى موقعه الحالى . وكان هذا الضلع من السور على بعد ١٥٠ متراً تقريباً إلى الجنوب مبنياً باللبن ما عدا الأجزاء الواقعة على جانبى باب زويلة فكانت بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب .

أما الضلع الشرقى من هذا السور فكان يبدأ من البرج المعروف الآن على خرط المساحة باسم برج نمرة ١٣ جنوباً ويتجه شمالا ماراً بالأبراج نمرة ١٤ و١٥ و١٦ و١٧ حيث موقع باب درب المحروق ثم يسير إلى برج نمرة ١٨ وينتهى إلى برج نمرة ١٩ بمحاذاة برج الظفر ، ولا يزال جزء كبير من هذا الضلع فى موضعه الأصلى بعد أن أعاد صلاح الدين بناءه بالحجر وطوله ١٥٠٠ متراً تقريباً .

وعلى ذلك تقدر مساحة قاهرة المستنصر بحوالى ٤١٥ فداناً بزيادة نحو ١٠٠ فدان فقط عن قاهرة المعز ، وكانت هذه الزيادة فى ظرف ١٢٠ سنة تقريباً .

أما أبواب هذا السور الباقية للآن فتحف نادرة نصفها فيما يلى :

أبواب سور بدر الجمالى بالقاهرة

باب زويلة　　باب الفتوح　　باب النصر

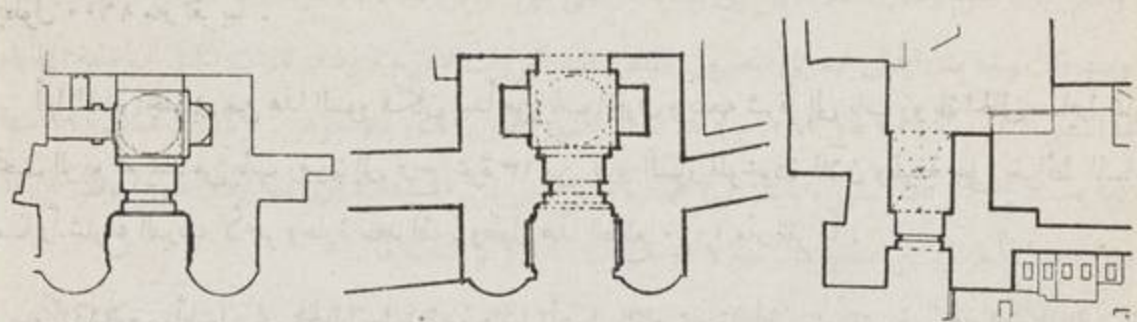

باب زويلة　　باب الفتوح　　باب النصر

باب الفتوح :

يتكون هذا الباب من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل ، وفى جانبى البرجين طاقتان كبيرتان تدور حول فتحتيهما حلية مكونة من اسطوانات صغيرة وهى نوع من الزخارف انتشر فيما بعد فى تحلية دوائر العقود .

ومما يسترعى النظر فى هذا الباب تلك الكوابيل المقامة أعلى المدخل والمتخذة على هيئة كبش بقرنيه ، وهذه مقتبسة من العمارة الفرعونية القديمة ، وكذلك الأعمدة الرخامية المستعملة فى ربط المبانى وكذا الفتحات العليا التى كانت تصب منها السوائل الكاوية على العدو المقتحم .

باب النصر :

يتكون هذا الباب من بدنتين مربعتين نقش عليهما فى الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس . ويتوسط البدنتين باب شاهق جعلت به فتحة من أعلاه كى تصب منها المواد الكاوية على من يحاول

اقتحام الباب . ويعلو هذه الفتحة إفريز يحيط بالبدنتين . و بالباب كتابات تضمنت إسم المنشىء وتاريخ الإنشاء، وفوق ذلك إفريز تعلوه المزاغل والسلم الموصل إلى أعلا الباب مبنى بالحجر وله عقود جميلة وهو يوصل إلى أبراج وحجرات اشتملت على أهم وأحسن مجموعة من العقود المبنية بالحجر .

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بطريقين أحدهما على ظهر السور والآخر تحته وهو ممر معقود على جانبيه المزاغل والحجر المعقودة بحالة متقنة تعطى فكرة تامة عن نظام الحصون المصرية فى القرون الوسطى .

وقد ترك الفرنسيون أيام حملة بونابرت (١٧٩٨ — ١٨٠١ م) آثار إقامتهم بهذا المكان بإدخال تعديلات بهذا الباب أزيلت فيما بعد كما حفروا أسماء كبار قوادهم على أبواب الأبراج المختلفة .

باب زويلة :

وهو أجمل هذه الأبواب الثلاثة وأروعها ، ويتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل ، ومسقطه الأفقى قريب الشبه جداً بمسقط باب الفتوح .

وهذه الأبواب الثلاثة أشرف على بنائها ثلاثة أخوة قدموا من الرها ، وهى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام وتعرف عند الأتراك باسم أورفا .

ولما شرع الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى بناء مسجده المجاور لباب زويلة سنة ٨١٨ هـ (١٤٠٥ م) انتهز مهندسه فرصة وجود برجى هذا الباب فهدم أعلاهما وأقام مئذنتى المسجد عليهما .

مدينة هابو على الشاطىء الغربى للنيل مقابل الأقصر . وهى مدينة ملكية بناها رمسيس الثالث فى عهد الأسرة ١٩ . وتبدو هنا أسوارها الضخمة المحيطة بالمعبد وبقصر رمسيس الثالث وبمنازل جنوده وخاصته . والأسوار مبنية باللبن وبها أبواب ضخمة مبنية من الحجارة . ولا شك أن أثر هذا الوضع واضح جدا فى تخطيط مدينة القاهرة وأسوارها وأبوابها فى العصر الفاطمى

الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى العصر الفاطمى

كانت الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى صدر العصر الفاطمى حياة رخاء وعدل وصخب ومرح ، فقد كان المعز يشترك مع الموظفين اشتراكاً فعلياً فى إدارة شئون البلاد ، كما كان يرأس كثيراً من الاحتفالات الشعبية التى عرفتها مصر منذ القدم ولا تزال باقية حتى اليوم — كالاحتفال بوفاء النيل « فتح الخليج » وشم النسيم والنيروز — كما كانت له عناية خاصة بيوم عاشوراء والمولد النبوى وموالد سيدنا على وفاطمة والحسن والحسين وليلة أول رجب ، وعيد النحر ، وعيد الفطر وسواها مما فصله المقريزى فى خططه . وكان لكل من هذه الأعياد أنظمة ومراسيم خاصة وكانت هذه الأعياد فى الغالب مناسبات طيبة تبذل فيها الحسنات وتغدق الصدقات والهدايا من النقود والثياب والحلى وغيرها .

أما الاحتفالات الاجتماعية كالاحتفال بعيد ميلاد الخليفة نفسه وبالأعراس والمآتم والختان ونحوها ، وكذا مهرجانات استقبال الوفود والمبايعة والتتويج والخلع الخ . . . فحدث عنها ولا حرج .

وقد أحب المصريون المعز لكرمه وسماحته ولعدم تفرقته بين الأديان حتى أنه كان يقلد الوظائف العالية لأكثرهم كفاءة بدون أن يميز بين دين ودين فوصل بعض القبط فى عهده إلى مراكز سامية .

ولم تطل مدة إقامته بمصر إذ توفى بعد ثلاث سنوات من قدومه إليها سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) وله من العمر ٤٦ سنة . وقد ترك العاصمة الجديدة القاهرة زاخرة بمآثره وآثاره . ووصل خراج الدولة فى عهده إلى ألفى ألف ومائتى ألف دينار .

ولما توفى المعز بويع ابنه العزيز بالله بالخلافة فجعل يعقوب بن كلس وزيراً له وفوضه النظر فى سائر الأمور . ثم خلفه ابنه الحاكم وهكذا . وظل حكم الدولة الفاطمية بمصر مدة قرنين كاملين من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٦٧ هـ (٩٦٩ — ١١٧١ م) . وتولى الحكم فى هذه الفترة من الزمن أحد عشرة خليفة هم :

١ — الخليفة المعز لدين الله أبو تميم الذى حكم من سنة ٣٦٢ إلى سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٢ — ٩٧٥ م)
٢ — الخليفة العزيز بالله نزار بن معد « « « سنة ٣٦٥ إلى سنة ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م)
٣ — الخليفة الحاكم بأمر الله « « « سنة ٣٨٦ إلى سنة ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م)
٤ — الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله « « « سنة ٤١١ إلى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ — ١٠٣٥ م)
٥ — الخليفة المستنصر بالله « « « سنة ٤٢٧ إلى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٣٥ — ١٠٩٥ م)
٦ — الخليفة المستعلى بالله « « « سنة ٤٨٨ إلى سنة ٤٩٥ هـ (١٠٩٥ - ١١٠١ م)
٧ — الخليفة الآمر بأحكام الله « « « سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ (١١٠١ — ١١٢٩ م)

٨ — الخليفة الحافظ لدين الله الذى حكم من سنة ٥٢٤ إلى سنة ٥٤٤ هـ (١١٢٩ — ١١٤٩ م)

٩ — الخليفة الظافر بأمر الله « « « سنة ٥٤٤ إلى سنة ٥٤٩ هـ (١١٤٩ — ١١٥٤ م)

١٠ — الخليفة الفائز بنصر الله « « « سنة ٥٤٩ إلى سنة ٥٥٥ هـ (١١٥٤ — ١١٦٠ م)

١١ — الخليفة العاضد لدين الله « « « سنة ٥٥٥ إلى سنة ٥٦٧ هـ (١١٦٠ — ١١٧١ م)

وقد بلغ البذخ الفاطمى حداً فاق كل وصف ، و بلغت القاهرة فى نهاية عهدهم ، أى بعد حوالى ٢٠٠ سنة من تاريخ تأسيسها ، لأن تكون مدينة كبيرة غاصة بالمنازل والأسواق والملاهى والمساجد والمشاهد والقصور والمناظر ، ولكن كل هذه العمائر كانت ملك الخليفة ورجاله وجنده فقط لأن الشعب كان محروما فى الواقع من البناء فى القاهرة ومن السكن فيها ، بينما كان فى الوقت نفسه ملزماً بالعمل فيها نهاراً ، فكان الناس يعملون نهاراً بالقاهرة ويركبون ليلا إلى بيوتهم بالفسطاط . ومع ذلك فقد اتسعت المدينة ونمت حتى ضاقت أسوارها الأولى والثانية عن أن تسع سكانها ، فامتد العمار إلى خارجها .

وقد ذكر ناصرى خسرو أن الخليفة كان يمتلك فى القاهرة ٢٠٫٠٠٠ منزل و ٢٠٫٠٠٠ دكان . وكان إيجار كل منزل منها سبعين جنيهاً فى السنة ، و إيجار كل دكان عشرة دنانير شهريا . وكانت هذه المنازل تبنى بالدبش الجيد ويفصلها عن بعضها حدائق غناء . وكان كل منزل منها بمثابة قلعة مصغرة .

ولأجل تكوين فكرة عن عدد العمال والتجار والصناع والموظفين والطلبة الذين كانت تلزمهم أعمالهم اليومية التنقل بين القاهرة والفسطاط ، نذكر هنا ما قرره المقريزى من أنه كان بمدينة مصر (الفسطاط) وحدها ١٠٠٫٠٠٠ بيت فى بعضها مائة إنسان ومائتان إذ يكون البيت الواحد مؤلفاً من خمس طبقات أوست أوسبع ، وعلى ذلك يمكننا تقدير عدد سكان القاهرة والفسطاط فى هذا العهد ، بدون مغالاة ، بحوالى مليون نفس ، وعدد من كانوا ينتقلون يومياً بين القاهرة والفسطاط بـ $\frac{١}{١٠٠}$ من هذا العدد أى بحوالى ١٠٫٠٠٠ نفس . أما الطرق التى كان يسلكها هؤلاء القوم فى ذهابهم و إيابهم فكانت فى الغالب هى التالية : كانوا يخرجون عند الغروب من باب زويلة ويسير أغلبهم راكباً المطى بين أشجار الجميز فى ظاهر القاهرة و بين بساتين وحقول الضواحى فى الطرقات التى تعرف اليوم باسم شارع تحت الربع حتى الخليج أو التى تعرف باسم شارع قصبة رضوان وشارع القريبة وسكة حوش الشرقاوى وشارع سويقة عصفور ثم يتابعون الشاطىء الأيمن لخليج القاهرة مارين بدرب الجماميز و بركة الفيل وميدان السيدة زينب (خط قناطر السباع) ثم ينحدرون إلى مشهد زين العابدين حتى يصلوا إلى باب الصفا وهو المدخل الرئيسى لمدينة الفسطاط ، بعد قطع هذه المسافة الطويلة فى حوالى ساعة من الزمن .

وكان باب الصفا يقع فى النقطة التى يتقابل فيها اليوم شارع سوق المواشى (أبو السعود الآن) بشارع الفسطاط بالقرب من جامع أبو السعود الجارحى بقسم مصر القديمة .

هذه صورة خاطفة لحياة القاهرة فى العصر الفاطمى : شعب يعمل ويشقى ويكدولكنه مشغول عما يحيق به بأساليب غريبة و باحتفالات صاخبة ومهرجانات وأعياد ليس لها نهاية . . .

ثم خلفاء ووزراء وحاشية وقواد وجنود بعث بهم الإغراق فى النعيم إلى الإسراف فى الترف . فكانت قصور الخلفاء ومجالسهم ومواكبهم وضخامة دولتهم وألعابهم وملاهيهم وملابسهم مضرب الأمثال فى الاسراف وأبهة الملك وعظمته .

وهكذا ظهرت القاهرة فى العصر الفاطمى فى أبهج أحوالها وأفخم أطوارها من جانب مع إجهاد الشعب و إرهاقه من جانب آخر .

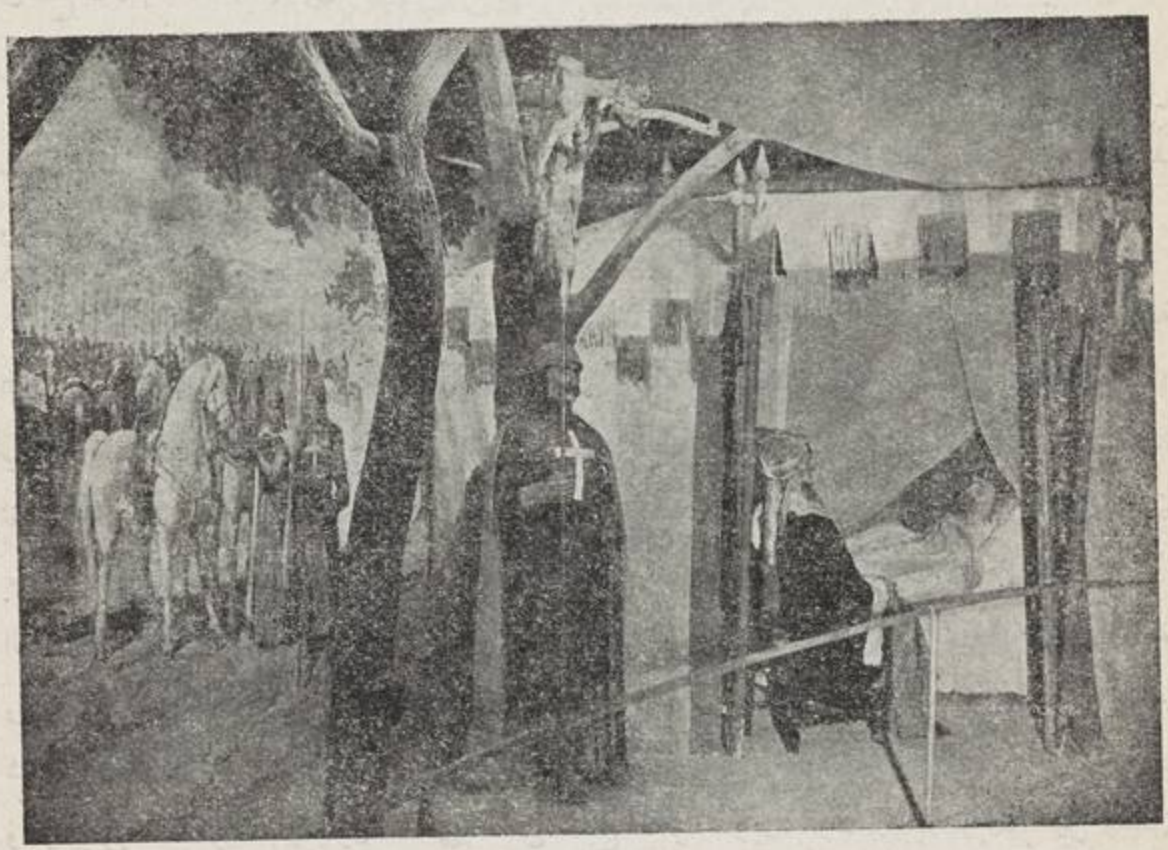

الحروب الصليبية : — صلاح الدين بمفرده يعود ريتشارد قلب الأسد ملك الانجليز وهو مريض فى خيمته بمعسكر الصليبيين بصفته طبيباً عربياً ثم يكشف له عن أمره ويعاهده ألا يحاربه إلا بعد أن يشفى (صورة مأخوذة من متحف الشمع بالقاهرة)

الفصل الثانى

العصـــر الأيوبى

من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٦٤٨ هـ (سنة ١١٧١ إلى سنة ١٢٥٠ م)

انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين وخلفت وراءها ثروة فنية ثمينة . ولـكن أكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها . ولم يأت النصف الأول من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) إلا وأصبح الأمر والنهى فى أيدى وزرائهم الأقوياء . وقد ابتدأت هذه الحالة فى الواقع منذ تولى بدر الجمالى الوزارة فى عهد الخليفة المستنصر وقبض فى يده على جميع السلطات ، وانتهت فى عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بتنازع اثنين من الوزراء على الحكم وهما (شاور) صاحب حريق مدينة الفسطاط المشهور و (ضرغام) قائد فرقة البرقية من فرق الجيش الفاطمى . وقد سعى كل منهما للانتصار على صاحبه بقوة خارجية . فاستعان شاور (بنور الدين) حاكم حلب فى شمال الشام واستعان ضرغام بالصليبيين فى بيت المقدس . وأرسل نور الدين أكبر قواده (شيركوه) وابن أخيه (صلاح الدين) لإغاثة شاور . وقامت بمصر حروب انتهت بقتل شاور وضرغام مع احراق مدينة الفسطاط .

ثم آلت الوزارة إلى شيركوه و بعد وفاته إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى تمكن من القضاء على بقية الفاطميين واستولى على مصر لنفسه وانشأ فيها الدولة الأيوبية وكان ذلك فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) .

الأيوبيون :

ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاماً ، ازدهرت فيها القاهرة بأجمل العمارات وأدق الفنون الإسلامية ، ولكن مع الأسف ضاعت أكثر هذه الآثار الآن ، على أنه مع قلة الباقى منها ، فانها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تقدم الفنون فى هذه الدولة ، وعن الأثر المعمارى الذى تركته فى مبانى الدول التى أعقبتها . ففى هذا العهد ظهرت بمصر المدرسة الأيوبية بتفاصيلها المعمارية ذات الخطوط المتعامدة ، كما ظهرت المبانى الحربية مثل القلاع والأسوار المحصنة ، وكذا ظهر الخط النسخ فى زخرفة الواجهات الحجرية واتخذ أساساً للنصوص التاريخية بجوار الخط الكوفى الذى اقتصر استعماله على كتابة الآيات القرآنية . واقتصرت العناصر الزخرفية الأخرى على التشكيلات النباتية والهندسية التى نمقت تنميقاً بديعاً فى زخارف هذا العصر[1] .

---

(١) راجع مقال الأستاذ حسن عبد الوهاب بمجلة العمارة العدد ٧ – ٨ سنة ١٩٤٠

وقد كانت سياسة صلاح الدين الخارجية هى القضاء على مملكة بيت المقدس التى أسسها الصليبيون فى بلاد الشرق العربى ، كما كانت سياسته الداخلية هى القضاء على المذهب الشيعى الفاطمى فى هذه البلاد ، ولذلك بذل كل جهوده فى إبطال مذهب الشيعة بمصر وأقام بها مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام مالك ونجح فى أغراضه نجاحاً تاماً بواسطة المدارس والدعايات الأخرى التى نشرها بمصر على نطاق واسع جداً . على أن الضعف تطرق بسرعة إلى الدولة الأيوبية بسبب تقسيم إمارتها بين خلفاء صلاح الدين وتنازعهم المستمر .

وقد حكم بالقاهرة من ملوك هذه الدولة ثمانية ملوك وهم :

١ — السلطان يوسف صلاح الدين بن أيوب الذى حكم من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٥٨٩ هـ (١١٧١ إلى سنة ١١٩٣ م)

٢ — السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الذى حكم من سنة ٥٨٩ إلى ٥٩٥ هـ (سنة ١١٩٣ إلى ١١٩٨ م)

٣ — « المنصور محمد بن العزيز عثمان « « « « ٥٩٥ إلى ٥٩٦هـ(سنة١١٩٨ إلى سنة١١٩٩م)

٤ — الملك العادل أبو بكر بن أيوب شقيق صلاح الدين الذى حكم من سنة ٥٩٦ إلى سنة ٦١٥ هـ (سنة ١١٩٩ إلى سنة ١٢١٨ م)

٥ — الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب الذى حكم من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٣٥ هـ (سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٣٧ م)

٦ — الملك العادل الصغير ابن الملك الكامل الذى حكم من سنة ٦٣٥ إلى سنة ٦٣٧ هـ (سنة ١٢٣٧ إلى سنة ١٢٣٩) م

٧ — الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد الذى حكم من سنة ٦٣٧ إلى سنة ٦٤٨ هـ (سنة ١٢٣٩ إلى سنة ١٢٤٩) م

٨ — الملك توران شاه ثم الملكة شجر[1] الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)

وقد بقى صلاح الدين على عرش الخلافة الإسلامية مدة ٢٢ سنة إلا أنه لم يقض منها بالقاهرة سوى ثمانية أعوام أما بقية سنى حكمه فقد أمضاها متنقلا بين ربوع الشام وجزيرة العرب وفلسطين لمحاربة الصليبيين .

وكانت آخر مرة ترك فيها القاهرة فى ١١ مايو سنة ١١٨٢ م (٥٧٨ هـ) حين سافر إلى الشام . واجتمع كبار دولته لوداعه عند بركة الحجاج فى مكان يعرف الآن باسم البركة وهى قرية بمركز شبين القناطر وكانت تقع على رأس

(١) صحة اسم هذه الملكة هو شجر الدر لا شجرة الدر كما ورد فى كثير من الآثار التى ترجع إلى عهدها . وكم يكون جميلا لو صححت وزارة المعارف هذا الاسم فى كتبها .

طريق الحاج القديم . وموقع بركة الحجاج الآن شرقى محطة المرج بينها وبين محطة القلج على خط سكة حديد مصر ـ شبين القناطر .

وكان هذا الوداع هو الأخير لأن صلاح الدين لم يعد بعد هذه المرة إلى القاهرة بل ظل مدة العشر سنوات التالية من حكمه فى ربوع الشام يحارب الصليبيين إلى أن توفى بدمشق .

وبالرغم من قصر المدة التى قضاها صلاح الدين فى القاهرة فانه ترك بها من الآثار الباقية على الزمن ما يكفل تخليد ذكره إلى الأبد . فقلعته لايزال يشيد بذكرها الركبان ، وأسواره التى شملت القاهرة والفسطاط لاتزال بقاياها للآن تتحدث بمقدرة هذا القائد الجبار وعبقرية هذا السلطان العظيم ، وقاهرته المثلثة الشكل هى الأساس الحقيقى لقاهرة اليوم بشكلها واتساع نطاقها . وهذا الحاكم النابغ هو الذى حول قاهرة المعز من ضاحية ملكية محتكرة لإقامة الخليفة وعبيده وجواريه ورجال حكومته وجنده إلى مدينة مفتوحة يسكنها الشعب ويقيم بها ما يشاء من مساكن وعمارات . وهو الذى جعل منها عاصمة القطر المصرى بكل معانى الكلمة .

صحيح أنه منذ تأسيس القاهرة انتقل اليها كثير من كبار الموظفين والأعيان الذين كانوا يقيمون سابقا بالفسطاط ، وصحيح أن متاجر ومصانع كثيرة تحولت بعد ذلك إلى القاهرة ، وصحيح أنه سبق لوزراء مثل بدر الجمالى[1] أن أباحوا لمواطنيهم من الأرمن وسواهم السكن فى مدينة القاهرة ولكن الشعب ظل مع ذلك محروما من هذه الميزة إلى أن أتاحها له صلاح الدين .

وعند ما تقلد صلاح الدين مهام الحكم فى عهد الخليفة العاضد سكن فى دار الوزارة الكبرى .

وموضع هذه الدار اليوم المنطقة التى تحد من الغرب بشارع الجمالية ، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة ، ومن الشمال بعطفة الجوانية بقسم الجمالية . ومكانها الآن جامع خانقاه بيبرس الجاشنكير ومدرسة الجمالية الأميرية .

وبقى صلاح الدين بهذه الدار حتى بنيت القلعة فكان يتردد عليها ويقيم بها ، وكذلك فعل ابنه العزيز عثمان وأخوه الملك العادل أبو بكر . فلما كان الملك الكامل بن الملك العادل تحول من دار الوزارة وسكن فى القلعة نهائياً سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) . ومن ذلك الوقت اتخذت القلعة داراً للملك وأقام بها الملك الكامل ومن بعده جميع ملوك مصر وأمرائها حتى المغفور له الخديو إسماعيل باشا الذى ترك القلعة واتخذ من سراى عابدين العامرة مقراً للملك منذ إنشائها سنة ١٨٧٤ . وظلت هذه السراى مقراً لخديويى مصر وملوكها من هذا التاريخ إلى اليوم .

---

[1] بدر الجمالى أصله أرمنى واعتنق الإسلام .

أهم معالم القاهرة الأيوبيـة الباقية إلى الآن

سور صلاح الدين :

لما تولى صلاح الدين وزارة مصر فى عهد الخليفة الفاطمى العاضد ، شرع فى بناء سور من الحجر بدل سور بدر الجمالى الذى كان قد تهدم وتفككت أجزاؤه . ولما خلص له ملك مصر بعد ذلك ، عهد إلى أحد أمرائه المخلصين الأمير بهاء الدين قراقوش فى إتمام هذا السور على أن يجمع القاهرة والفسطاط .

وكانت الفسطاط بعد أن حرقها الوزير شاور سنة ١١٦٨م ، تحاول عبثا أن تنهض من نكبتها وتسترد مكانتها ، فلما أتاح لها الله صلاح الدين الذى قررضمها إلى القاهرة داخل سور واحد ، تمكنت هذه المدينة الأسيفة من أن تتقدم قليلاً فانتشر العمار فيها خارج حدود الأجزاء المحروقة، و بعد قليل اتصلت مبانيها بمبانى عاصمة المعز وامتلأت المسافة التى كانت بينهما بالمساكن والعمائر وصارتا مدينة واحدة يطلق عليها العامة لغاية اليوم اسم مدينة مصر[1] .

وسبق أن قلنا إن هذه التسمية ترجع فى الأصل إلى الحالة القديمة التى كانت تسود المواقع التى بها الآن القاهرة والفسطاط وهى وجود مجموعة من القرى قامت على شاطىء النيل الشرقى مقابل مدينة منف القديمة لتموين حصن بابليون، ولما امتدت هذه القرى واتصلت ببعضها أطلق عليها اسم مدينة مصر . (راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب عن مدينة مصر ص ٢٨٦) .

ولم يكن سور صلاح الدين فى الواقع إلا سوراً متمما لسور بدر الجمالى مع بعض التنقيح فيه ، فقد بنى بدر الجمالى سوره سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) من اللبن ما عدا باب النصر و باب الفتوح و باب زويله وما عدا بعض الأجزاء الواقعة بين هذه الأبواب وعلى جانبيها التى بنيت من الحجر كما ذكرنا سابقا .

فلما هدمت الأجزاء التى بناها بدر الجمالى من هذا السور باللبن بعد ٨٥ عاما تقريبا من تاريخ بنائها ، ابتدأ صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١) م ، وهو يومئذ وزير للخليفة العاضد ، فى إعادة بناء هذه الأجزاء من الحجر . ولما كانت هذه العمارة تحتاج إلى كميات هائلة من الأحجار المنحوتة وغير المنحوتة لتكون مثل عمارة الأسوار والمبانى الحربيـة التى شاهدها صلاح الدين فى الشام وبلاد الكردستان ، لجأ صلاح الدين الى مورد سهل طالما لجأ اليه حكام مصر فى عمارة مدينة بابليون وضواحيها، وفى عمارة العواصم الإسلامية السابقة . وما هذا المورد السهل سوى الأحجار المنحوتة والأعمدة الرخامية المتخلفة من معابد وبرابى وأهرامات مدينة منف ومدينة عين شمس بعد هدمها.

---

(١) لا تزال مصلحة السكة الحديد تكتب فى تذاكر السفر « من مصر إلى الأسكندرية » و « من الأسكندرية إلى مصر » . أما اسم القاهرة فغير معروف لهذه المصلحة . وكم يكون جميلا لو أصلح هذا الوضع .

وكانت أقرب هـذه الموارد الى صلاح الدين هى الأهرامات الصغيرة التى تخلفت عن جبانة منف بقرب الجيزة فهدمها وشرع فى نقل أحجارها إلى القاهرة لبناء سوره وقلاعه وقناطره وسواء ذلك .

ولكن نقل هذه الأحجار كان يحتاج لاعادة تمهيد الطريق الذى طالما استعمل فى العصر الفرعونى لنقل نفس هذه الأحجار المخلوعة من محاجر طرة والمعصرة إلى موقعها الأصلى بحقل الأهرامات . وموضع هذا الطريق اليوم هو الجزء الواقع فى نهاية شارع الأهرام الحالى بين بحر اللبينى وفندق مينا هاوس .

شرع صلاح الدين إذن فى تمهيد هذا الطريق وفى بناء قناطر هائلة فوق بحر اللبينى على امتداد الطريق واستعمل فى بناء القناطر أحجار الأهرام التى هدمها . وقد عرفت هذه القناطر باسم « السور العظيم » . وقد وصف ابن جبير فى رحلته هذا « السور العظيم » وقال عنه إنه كان يحتوى على أربعين عقداً من أكبر العقود التى شيدت عليها القناطر . واعتبر ابن جبير الطريق و « السور العظيم » من أهم الأعمال العسكرية التى قام بها صلاح الدين فى بدء حكمه لمصر . أما أين هو موقع هذا « السور العظيم » اليوم فإليك البيان .

يمكن رؤية بحر اللبينى اليوم بالقاهرة بشارع الأهرام موازياً لمصرف المحيط من الجهة الغربية وماراً تحت كوبرى حديث من الخرسانة المسلحة أنشىء بمناسبة توسيع شارع الأهرام سنة ١٩٣٣ مكان قناطر الجيزة القديمة أو « السور العظيم » الذى بناه صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٧١ م . وتجد الآن على الشاطىء الأيمن لمصرف المحيط ستوديو شركة مصر للسينما .

وما بحر اللبينى هذا سوى فرع النيل الغربى الذى كان يمر بجوار صحراء ليبيا والذى حاول الملك مينا تحويله شرقاً بمناسبة إنشاء مدينة منف . ويمكن الآن تقدير عرض هذا الفرع بواسطة الظواهر الطبيعية بهذا المكان وبواسطة مناسيب الأرض الزراعية المحيطة به ، وواضح جداً من هذه الظواهر ومن هذه المناسيب أن عرض هذا الفرع كان يصل إلى ١٦٠ متراً تقريباً وهى المسافة التى أقام عليها صلاح الدين قناطر الجيزة بعيونها الأربعين والتى عرفت باسم « السور العظيم » . فلما تمت هذه القناطر سهل نقل أحجار الأهرامات المهدومة لغاية شاطىء النيل الغربى مقابل الفسطاط ثم شحنها بالمراكب إليها .

وكان الشاطىء الغربى للنيل إذ ذاك ينتهى عند سكن مدينة الجيزة وقرية الدقى وإلى جسر النيل الغربى القديم الملاصق للمتحف الزراعى من جهته الشرقية لغاية امبابة . كما كان الشاطىء الشرقى للنيل إذ ذاك ينتهى إلى شارع أثر النبى وشارع عمرو بن العاص (شارع مصر القديمة سابقاً) إلى النقطة التى بها جامع سليمان باشا الفرنساوى ثم ينحدر شرقاً إلى دير أبى السيفين ثم يسير متجهاً إلى الشمال فى شارع أبى السيفين ثم فى شارع الديورة حتى جامع الطيبى ثم يميل غرباً إلى النقطة التى يتقابل فيها شارع قصر العينى بشارع بستان الفاضل ثم يسير إلى الشمال ماراً فى النقطة التى يتقابل فيها شارع والده باشا بشارع الطلمبات ، ثم إلى النقطة التى يتقابل فيها

شارع النباتات بشارع ابراهيم باشا نجيب ثم يميل شرقا حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع القصر العينى بشارع القاصد ثم يسير إلى الشمال الشرقى حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع البستان بشارع يوسف بك الجندى (الحوياتى سابقاً) ، ثم يسير الى الشمال فى شارع يوسف بك الجندى الى نهايته ومن هناك يسير فى خط مستقيم حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع توفيق بشارع الملكه نازلى . ثم ينحدر شرقا إلى ميدان المحطة .

ولما نقلت هذه الأحجار عبر هذا النيل المتسع استعملها صلاح الدين فى بناء السور وقلعة المقس وقلعة الجبل .

ذكر المقريزى سور صلاح الدين فقال :

« إن السور الثالث ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١ م) وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) وهو سلطان مصر ، انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى فبناه بالحجارة . وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر (الفسطاط) والقلعة سوراً واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة (باب الشعرية الآن) إلى باب الشعرية (باب العدوى الآن) ومن باب الشعرية (باب العدوى الآن) إلى باب البحر و بنى قلعة المقس هناك . (وقد اندثرت هذه القلعة . ومكانها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد) . وعندها انقطع السور وكان فى أمله مد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر الفسطاط (أى يمده بمحازاة شاطىء النيل الشرقى المذكور سابقا من المحطة إلى مصر القديمة) . وزاد فى سور القاهرة قطعة مما بلى باب النصر إلى باب البرقية و إلى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل » .

ثم قال فى مكان آخر : « إن صلاح الدين مد السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة الواقع جنوبى مدينة مصر (وموضعه اليوم عند نقطة تلاقى شارع الصغير بشارع أثر النبى . . وهو غير باب القنطرة الذى يسمى خطأ باسم باب الشعرية بالقاهرة) . وأقام صلاح الدين سوراً موازياً لسور بدر الجمالى المتهدم على حافة الخليج المصرى مباشرة لجهة الغرب من السور القديم وعلى بعد ٢٥ مترا منه » . ومن هنا جاء اسم شارع بين السورين .

وذكر المقريزى أيضاً أن طول سور صلاح الدين فى أيامه بلغ ٢٩٣٠٢ ذراعا (أى ذراعا هاشمياً وطوله ٦٤ سم) ومعنى ذلك أن طول هذا السور حوالى سنة ١٤٤٠ م كان ١٨٧٥٣ مترا . وهذا الطول الهائل يدل على عظمة هذا السور ومناعته .

و إنى أذكر هنا ما جاء فى مذكرات العالم الجليل محمد بك رمزى عن هذا السور مع بعض الإيضاح الذى يقتضيه المقام . قال رحمه الله :

لقد اندثر أغلب سور صلاح الدين الآن والباقى منه مبين على خريطة القاهرة الحالية فى الجهات الآتية :

أولا : إن القطعة التى كان قد أنشأها صلاح الدين فى سور بدر الجمالى من الجهة الغربية بمحاذاة الخليج المصرى

فيما بين باب القنطرة (على فم شارع أمير الجيوش الجوانى الحالى و يعرف موضعه الآن خطأ باسم باب الشعرية) و بين باب الشعرية (و يعرف موضعه الآن باسم باب العدوى على فم حارة المسطاحى) — هذه القطعة وطولها الأصلى ٢٠٥ متراً كان باقياً منها إلى سنة ١٩٣٠ قطعة طولها ١٢٠ متراً كانت ممتدة من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة حارة المسطاحى ، ولما فتح شارع الأمير فاروق سنة ١٩٣٠ هدمت هذه القطعة ودخلت أرضها فى أرض الشارع المذكور ولم يبق منها إلا جزء صغير طوله نحو عشرة أمتار . ولم تزل إدارة حفظ الآثار العربية محتفظة بهذا الجزء للارشاد إلى موقع السور القديم .

ثانياً : إن السور البحرى الذى كان ممتداً بين باب الشعرية الذى يعرف الآن بباب العدوى و بين باب البحر الذى يعرف الآن بباب الحديد بميدان باب الحديد كان قائماً إلى زمن دخول الفرنسيين مصر سنة ١٧٩٨ ، و بعد ذلك اعتدى الأهالى على هذا السور فهدموا معظمه ولم يبق منه إلا بعض أجزاء لا تزال قائمة بلصق المساكن وهى مبينة على خريطة القاهرة الحالية مقطعة من الشرق إلى الغرب إلى قطع من السور ممتدة بين المساكن الواقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الفجالة وشارع الفجالة ، ومن الجنوب بشارع الطبلة وشارع الطواشى وشارع الشمبكى وشارع بين الحارات .

ثالثاً : السور البحرى الذى فيه باب الفتوح و باب النصر ، بقى على ما كان عليه فى عهد سور بدر الجمالى غير أنه فى أيام صلاح الدين تجدد بناء بعض الأجزاء بالحجر بدل اللبن . ولما فتح شارع الأمير فاروق سنة ١٩٣٠ ضاع منه جزء صغير . و بذلك أصبح هذا السور ينتهى من الغرب بشارع الأمير فاروق على رأس شارع درب البزازرة . وقد ثبت على طرف السور عند تلك النقطة المشرفة على شارع الأمير فاروق لوحة من الرخام حفر عليها ما يفيد هدم جزء من السور لفتح الشارع المذكور فى سنة ١٩٣٠ فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول .

وقد امتد السور البحرى فى أيام صلاح الدين من البرج رقم ١٣ المبين على خرط القاهرة المساحية إلى جهة الشرق حيث موقع برج الظفر ولا يزال يوجد من هذه الزيادة جزء من سور القسم الشرقى المجاور لبرج الظفر .

رابعا : أما السور الشرقى لمدينة القاهرة فلا يزال يوجد منه بعض أجزاء قائمة إلى اليوم منها الجزء الذى يمتد من برج الظفر و يتجه جنوباً بطول ٤٠٠ متر و بناؤه متخرب وتتولى إدارة حفظ الآثار العربية الآن ترميمه و إصلاحه. وفى هذا الجزء يقع الباب الجديد أحد أبواب القاهرة القديمة .

ومن السور المذكور الجزء الذى يبدأ من برج درب المحروق و يسير إلى الجنوب بطول ٧٦٠ مترا إلى أن ينقطع خلف زاوية الشيخ مرشد بشارع باب الوزير . وهذا الجزء هو أطول الأجزاء القائمة من السور الشرقى وحائطه أغلبها سليم إلى اليوم .

ومنه جزء آخر يمتد إلى الجنوب بين الخانقاه النظامية (جامع النظامى وقد خرب) و بين بقايا جامع السبع سلاطين (خرب) وطول هذا الجزء ٢١٥ متراً . ويتصل من نهايته الجنوبيه بسور القلعة .

أما الباقى من السور الشرقى وهو الجزء الذى يمتد من قلعة الجبل إلى سور مدينة مصر فلا يزال يوجد من آثاره حائط مجرى العيون القائمة إلى اليوم من باب القرافة بالقاهرة إلى نقطه تلاقيها بحائط العيون الممتدة إلى مصر القديمة عند الزاوية القبلية الشرقية فى جبانة السيدة نفيسه الجديدة . وكانت هذه الحائط فى الأصل من ضمن سور صلاح الدين ثم بنى فوقها قناة لنقل الماء من النيل إلى قلعة الجبل.

هذا وقد أظهرت الحفريات الحديثة « باب القرافة » المبين على خرائط الحملة الفرنسية بهذا الجزء من السور . وعلى امتداد هذه الحائط الى الجنوب الشرقى أظهرت حفائر الفسطاط من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢٠ باقى السور الشرقى وهو سور مدينة مصر الذى بناه صلاح الدين حول هذه المدينة من جهة الشرق ، وهو مبنى بالحجر الجيد النحت على مداميك منتظمة ، محدبة الوسط « بقجة » ومحاطة باطار « تبويص أو ميه » على مثال السور الشمالى الشرقى لمدينة القاهرة . وهذا الطراز تمتاز به مبانى صلاح الدين .

خامساً : أما السور الغربى الذى كان فى أمل صلاح الدين مده من قلعة المقس (أى من ميدان باب الحديد الحالى) على النيل إلى أن يتصل بسور مدينة مصر القديمة من جهة فم الخليج فلم يتم لوفاة صلاح الدين .

وبعد ذلك لم تقم لهذه الأسوار قائمة للآن .

القاهرة — منظر لبعض أحياء القاهرة المزدحمة بالسكان بقسم الجمالية والدرب الأحمر
وترى بالصورة بقايا من السور المحصن بالأبراج الذى بناه صلاح الدين الأيوبى

قلعة الجبل :

أنشئت هذه القلعة فى الجهة الشرقية من القاهرة على صخرة مفصولة من جبل المقطم . وقد قيل فى تعليل وجود هذا الفاصل بين الصخرة والجبل وهو الذى يمر به اليوم خط سكة حديد المحاجر أن فرعاً من فروع النيل القديم كان يمر هناك فى عصر تأسيس مدينة منف ، وأن تيار الماء هو الذى حفر هذا الفاصل ، وأن جبل المقطم كان فى ذاك العصر أخضر يانعاً تغطيه الغابات وأشجار الفاكهة الكثيفة وينزله القوم ويقيمون به للنزهة والصيد بدليل ما نقابله هناك إلى اليوم من آثار المبانى والزراعات والأشجار ومن الآبار والصهاريج والمغاور وسواها ، كما كان كل من جبل الرصد (اسطبل عنتر) وجبل يشكر (قلعة الكبش) جزيرة قائمة وسط مجرى النهر . وبعد ذلك اندثر هذا الفرع وجفت مياهه ثم اتصلت هذه الجزائر بالشاطىء وأصبحت جزءاً منه .

ذكر المقريزى أنه عند بناء قبة الإمام الشافعى حفر العمال بئراً بجوار هذا المكان لأخذ المياه منها فعثروا هناك على مركب من المراكب النيلية بجميع أدواتها مطمورة فى الأرض . وإنى أرجح أن هذه المركب كانت من آثار مرور النيل قديماً بهذا المكان .

غير أن هناك من يقول بأن الظواهر الطبيعية ومناسيب الأرض لا تؤيد هذه النظرية ، وأن الصخرة التى تقوم عليها قلعة صلاح الدين إنما عزلت بيد الإنسان ، ومهما يكن من أمر هذه الصخرة ومن أمر الفاصل الذى بينها وبين جبل المقطم ، فإنه من الثابت أنها تشرف على القاهرة والفسطاط والنهر والأهرام وتتحكم فيها جميعاً من عل ، فهى من الوجهة الحربية مكان مختار لمن يريد السيطرة على عاصمة القطر المصرى ولمن يريد فى الوقت نفسه حمايتها بحصن منيع .

وسبق لملوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الإسلامى إدراك هذه الحقيقة ، فأقاموا فوق هذه الصخرة وفوق ما يقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن العواصم المصرية السابقة التى كانت تقع فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم منطقة القاهرة . ولا نزاع أن (بئر يوسف) الموجودة اليوم بالقلعة والتى تنسب خطأ إلى يوسف صلاح الدين الأيوبى ، إنما هى من بقايا هذه المنشآت القديمة المندثرة ، وقد يكون كل ما فعله فيها صلاح الدين إنما هو تنظيفها وتطهيرها من الأتربة والأنقاض التى تجمعت فيها من إهمال القرون السابقة تماماً كما فعل جوهر القائد أثناء حملته لفتح مصر من تنظيف وتطهير الآبار الرومانية القديمة التى كانت منتشرة فى طريقه على ساحل البحر الأبيض المتوسط من تونس إلى مريوط بجوار الإسكندرية .

ومن المعلوم لنا أنه فى عصر العباسيين أقام الوالى حاتم بن هرثمة المعين على مصر من قبل الخليفة العباسى الأمين سنة ١٩٤ هـ قبة الهواء فوق صخرة القلعة الحالية وسكنها . وفى عصر أحمد بن طولون تبين هذا الحاكم النابغة قيمة

قبة الهواء هذه كمكان صحى أمين يصلح للدفاع وللهجوم معاً ، فأقام بها ، وفى أثناء إقامته هناك اكتشف كنزاً هائلا بجبل المقطم فى مقبرة من مقابر قدماء المصريين بنى منه الجامع المعروف لليوم بجامع ابن طولون ودار الإمارة والبيمارستان والبئر المعروفة لليوم باسم بئر أم السلطان بالقرب من قرية البساتين وحوائط العيون الخاصة بها وسوى ذلك مما سبق لنا الكلام عنه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب . ولكن بعد موت أحمد بن طولون أهمل أمر الصخرة وأمر قبة الهواء فتحول مكانها إلى مقبرة . وبقى الحال على ذلك حتى خلص عرش مصر للسلطان صلاح الدين الأيوبى بعد سقوط الدولة الفاطمية و بعد موت نور الدين سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٥) م ، وكان لا يزال يقيم بدار الوزارة بالقاهرة ، فخشى الفتن الداخلية التى قد يقوم بها بقية المشايعين للفاطميين ولو أنه كان قد قضى عليهم وقسم القصرين الفاطميين على أمرائه وأنزلهم فيهما . أقول خشى صلاح الدين هذه الفتن فأمر ببناء القلعة مكان قبة الهواء القديمة فوق هذه الصخرة العاتية وأمر بتشييد قصرفيها لسكنه و بتنظيف (بئر يوسف) هناك لتغذية القلعة وملحقاتها بالماء فى حالة الحصار . وعهد بهذا العمل إلى الأمير بهاء الدين قراقوش ، كما عهد إليه بتكملة بناء السور الذى سبق تكلمنا عنه فابتدأ قراقوش فى بناء القلعة سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦) م من أحجار الأهرام التى نقلها إلى هناك . وفى أثناء العمل توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣) م قبل أن يتم البناء فوقف العمل مدة ١٥ سنة ثم استؤنف فى سلطنة السلطان العادل شقيق صلاح الدين وتم البناء سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) بعد حوالى ٣٠ سنة من تاريخ الشروع فيه ، وأقام بها الملك الكامل . ومن ذلك الوقت ، اتخذت القلعة داراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر المغفور له الخديو إسماعيل باشا الذى نقل مقر الملك إلى قصر عابدين العامر منذ سنة ١٨٧٤ إلى الآن .

ولقد زيد فى مبانى القلعة تباعاً وأنشئت بها القصور والمساجد ونزل بها المماليك والولاة فى العصر التركى ثم احتلها الفرنسيون فى عصر حملة بونابرت ، و بعد خروجهم بقليل آل الأمر إلى محمد على باشا رأس العائلة المالكة فأصلح جانباً من أسوارها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامعه الفخم و بجواره قصر الجوهرة والعدل ودار الضرب ودار المحفوظات المقابلة للباب الجديد ، كما أنشأ بفناء الجامع برجاً بديعاً للساعة التى أهداها إليه لويس فيليب ملك فرنسا سنة ١٨٤٥ .

وفى سنة ١٨٨٢ احتل الانجليز القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم واتخذوا منها ثكنات وأنشأوا بها مستشفيات ومبانى مختلفة لإداراتهم ومصانعهم . وكان من المنتظر بعد إبرام معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦ أن تترك القلعة بتاتاً للمصريين إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية اضطر إلى تأخير هذا الإجراء الشكلى البحت . ومن المنظور الآن — وقد أصبح جلاء الانجليز عن مصر — شعار كل مصرى أن تسلم القلعة باحتفال عسكرى إلى الجيش المصرى .

وفى السنين الأخيرة أمر جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله بترميم قصر الجوهرة وإعادته إلى ما كان عليه فى عهد منشئه ، فإذا به الآن تشع منه أضواء العظمة والمجد ، و إذا به الآن تحفة فنية رائعة يروق منظرها و يسر الناظرين

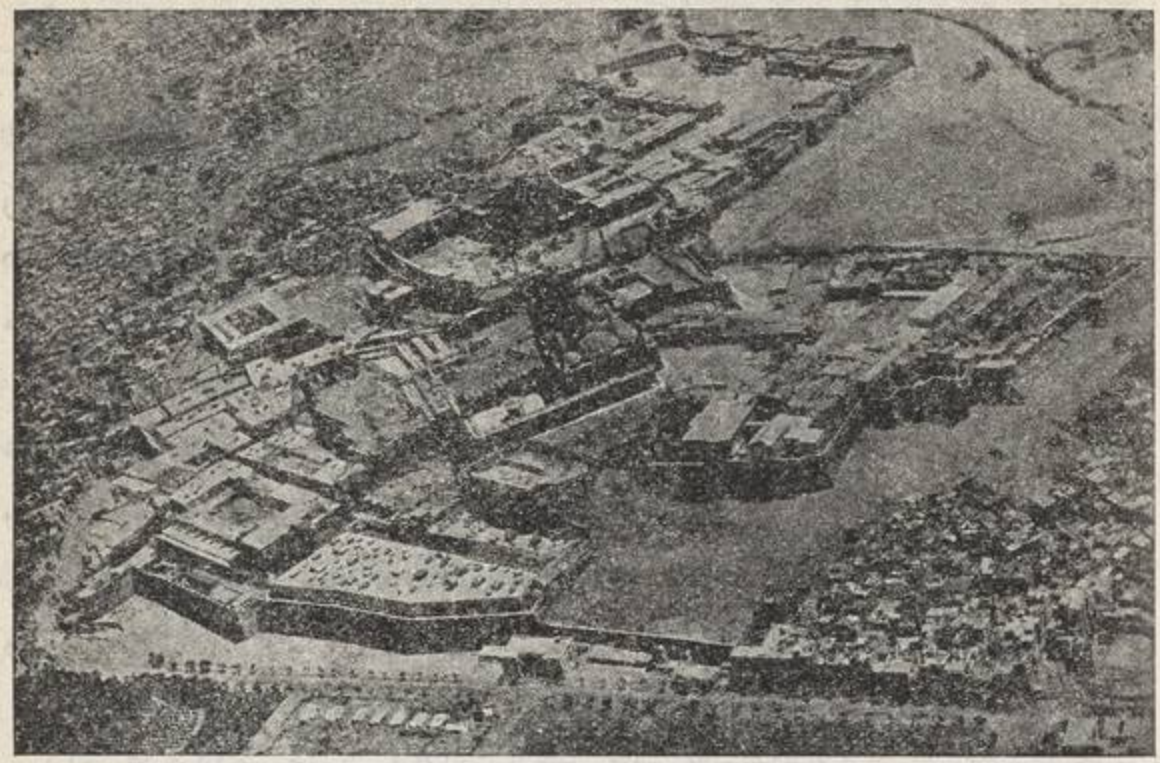

منظر عمومى بالطيارة للقلعة وما بها من مساجد وقصور وإدارات وأسوار وأبواب وخلاف ذلك .

ويشرف هذا القصر على فناء واسع تتوسطه فسقية بديعة ، وفى أحد جوانبه كشك لطيف به مقعد صغير يشرف من علٍ على القاهرة وضواحيها .

وبالقلعة أيضاً من الآثار الهامة مسجد الناصر محمد بن قلاوون (سنة ٧١٨ هـ) ومسجد الوالى التركى سليمان باشا الخادم وخلاف ذلك .

المدارس الأيوبية :

أنشئت هذه المدارس لنشر تعاليم المذاهب السنية : مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام مالك فى ديار مصر بدل مذهب الشيعة الفاطميين . وأول من أنشأ هذه المدارس السلطان صلاح الدين ، فبنى لكل من الطائفتين مدرسة بشكل جامع خطوطه متعامدة ومتقاطعة وله صحن مغطى أحياناً .

وأهم المدارس التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى هى :

١ — المدرسة الناصرية — أنشأها صلاح الدين بجوار الجامع العتيق بمصر . وقد عرفت هذه المدرسة بعد ذلك باسم مدرسة ابن زين التجار الشافعية ، ثم باسم المدرسة الشريفية . وقد اندثرت ومكانها الآن أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة مشغولة بقمائن الجير ومعامل الفخار .

٢ — المدرسة القمحية — أنشأها صلاح الدين بجوار المدرسة الناصرية المذكورة سابقاً وقد اندثرت أيضاً .

٣ — المدرسة السيوفية — أنشأها صلاح الدين بالقاهرة وقد اندثرت وحل محلها الآن جامع الشيخ مطهر بشارع المعز لدين الله (شارع الخردجية سابقاً) على يسار الداخل إلى شارع المعز لدين الله من شارع السكة الجديدة . وكان فى موقع هذا الجامع فى العصر الفاطمى دار الوزير المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله سابع الخلفاء الفاطميين وبعد مدة سكنها الوزير المغربى عباس وزير الخليفة الظافر . ولما تولى صلاح الدين حكم مصر حوّل هذه الدار إلى مدرسة للحنفية إلى أن هدمت وحل محلها جامع الشيخ مطهر الحالى .

٤ — المدرسة الصلاحية — أنشأها صلاح الدين أيضاً وبنى بجوارها قبر الأمام الشافعى وأوقف عليها جزيرة الفيل التى ظهرت فى مجرى النيل بسبب غرق مركب اسمه الفيل فى آخر أيام الفاطميين . ثم زرعت فى أيام صلاح الدين سنة ١١٧٤ م وأوقفت على المدرسة المذكورة . وفى عصر المماليك أتصلت هذه الجزيرة بالشاطىء وأصبحت جزءاً من القاهرة . ومكان هـذه الجزيرة اليوم المنطقة التى يمر فيها شارع شبرا من الجنوب الى الشمال وتشمل قسمى شبرا وروض الفرج .

وقد هدمت المدرسة الصلاحية فى عهد الأمير عبد الرحمن كتخدا[1] وحل محلها مسجد الأمام الشافعى الحالى .

أما قبر الأمام الشافعى فقد بنى فوقه الملك الكامل خامس ملوك الدولة الأيوبية قبة الأمام الشافعى الحالية سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١) م واجرى اليها الماء من حائط العيون المتصل بحائط احمد بن طولون الممتد الى بئر أم السلطان بجوار قرية البساتين . وقد دفن بقبة الأمام الشافعى من أسرة صلاح الدين كل من زوجته الملكة شمسة وأبنه الملك العزيز عثمان ثم دفنت بها أم الملك الكامل الذى بنى هـذه القبة . وقد عملت بها ترميمات عديدة فى أوقات مختلفة آخرها ما قامت به مصلحة الآثار العربية سنة ١٩٣٤ . وبأعلى القبة من الخارج مكان الهلال ، مركب صغيرة من النحاس تسع من الحب نصف أردب يوضع فيها الحب والماء لإطعام الطيور . وتاريخ هذه المركب متصل بتاريخ المركب التى عثر عليها العمال فى الأرض أثناء حفر بئر بجوار هذه القبة كما ذكرنا سابقاً .

(٥) — المدرسة الصلاحية — بجوار المشهد الحسينى أنشأها كذلك صلاح الدين ولم يتخلف منها شىء الآن وقد أصبح موقعها اليوم ضمن جامع الحسين فى الأيوان الشرقى عند المحراب الحالى للجامع .

(٦) — المدرسة الكاملية — أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل خامس ملوك الدولة الأيوبية وصاحب قبة الإمام الشافعى لدراسة الحديث الشريف سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥) م . وقد تخربت هذه المدرسة الآن ولم يبق منها سوى بقايا الأيوان الغربى . ومكانها الآن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بجوار جامع السلطان برقوق من جهة الشمال وتعرف باسم جامع السلطان الكامل وهى مبنيه على رقعة من أرض القصر الصغير الغربى الفاطمى .

(١) أى فى العصر التركى . وكتخدا لقب تركى معناه محافظ القاهرة . وينطق هذا اللفظ اليوم على لسان العامة باسم «الكخيا» فيقال مثلا جامع الكخيا بميدان الأوبرا .

(٧) — المدرسة الصالحية — أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سابع ملوك الدولة الأيوبية على رقعة من أرض القصر الكبير الشرقى الفاطمى فى محل باب الزهومه الذى كان يؤدى إلى المطابخ الملكية . ولا تقل مساحة هذه المدرسة عن ٦٠٠٠ متر مربع وقد فرغ من بنائها سنة ٦٤١ هـ (١٢٤١) م . وأعدت لتدريس المذاهب الأربعة : الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية . وكانت هذه المدرسة مكونة من بنائين أحدهما قبلى والآخر بحرى يتوسطهما الباب العمومى تعلوه المنارة . وكان كل من البنائين يشتمل على ايوانين كبيرين . وقد تخربت أيوانات المدرسة القبلية ، كما هدمت المنارة الثانية للمدرسة سنة ١٨٨٢ ولم يبق بالمدرسة البحرية سوى الأيوان الغربى . وأهم الأجزاء الباقية لليوم من هذه المدرسة هى واجهتها الغربية وطولها حوالى ١٠٠٠ متر وبها الباب العمومى المشرف على شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) وتعلوه المنارة وهى أقدم أنموذج كامل لمنارة أيوبية . وترى فى هذه الواجهة أقتباسات ظاهرة من زخارف الجامع الأقمر وجامع الصالح طلائع الفاطميين .

وتحتجب هذه الواجهة اليوم خلف سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين حقيرة بشارع المعز لدين الله ووراء دكاكين شارع الصرماتيه[1] .

وقد اعتدى الأهالى على أرض الصحن ولم يتركوا منها إلا طريقاً ضيقاً تجاه الباب العمومى من الداخل يعرف اليوم بحارة الصالحية .

ولما توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب بالمنصورة أثناء قتاله مع الفرنسيس فى ليلة الأحد ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ هـ أخفت شجر الدر موته وأرسلت جثته إلى قلعة الروضة فبقى بها إلى أن تم انشاء قبته بجوار مدرسته هذه فنقل إليها . وتقع هذه القبة الآن فى الجهة البحرية الغربية للمدرسة .

المستشفيات والخوانق الأيوبية :

أنشأ صلاح الدين مارستانا (مستشفى) فى القاهرة سنة ٥٧٧ هـ فى محل خزانة البنود . وكانت هذه الخزانة فى أول الأمر خزانة للسلاح ثم حولت إلى مصانع للسلاح وأخيراً كانت من أشنع السجون فى أيام الفاطميين . وقد اندثر هذا المارستان ومكانه اليوم هو مجموعة الدور التى تحد من الشمال بشارع قصر الشوك ومن الشرق بكمالة شارع قصر الشوك ودرب القزازين ومن الجنوب عطفة القزازين . ويتوسطها اليوم درب على الدين من الشرق الى مغرب . والوصول الى هذا الموقع من خلف دورة مياه جامع سيدنا الحسين من الجهة البحرية إلى عطفة القزازين بقسم الجمالية .

وأنشأ صلاح الدين أيضاً خانقاه لتعبد الصوفية . ولم تزل موجودة وتعرف باسم جامع سعيد السعداء بشارع

(١) نعتقد أنه من حق إدارة حفظ الآثار العربية أن تطالب مصلحة التنظيم بالقاهرة بازالة دكاكين النحاسين وسواها من الدكاكين والمبانى القذرة التى تحجب واجهة هذه المدرسة حتى تنكشف روعتها وجمالها للناظرين . وفى هذا ربح طائل من جهة السياحة كما أنه يعيد شارع بين القصرين الأثرى إلى عرضه الأصلى .

الجمالية . وكانت هذه الخانقاه فى الأصل دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر الفاطمى ثم صارت سكن الوزير طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح طلائع المشهور أمام باب زويلة وولده رزيك بن طلائع . ولما سكن طلائع هذه الدار فتح لها من دار الوزارة سردابا تحت الأرض وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة فى السكن لكثرة خدمه وحشمه وصار يمشى فى السرداب من الدار الواحدة الى الأخرى . وبعد سقوط الدولة الفاطمية حولت هذه الدار الى خانقاه .

قلعة الروضة :

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سابع ملوك الدولة الأيوبية سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) وسبق تكلمنا عن هذه القلعة فى الفصل الخاص بجزيرة الروضه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٣٨٢ .

قبة شجر الدر :

هذه القبة تقع بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية . أمرت بإنشائها شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين وهى ثامنة ملوك الدولة الأيوبية . لكى تدفن فيها بعد موتها .

ومعنى كلمة شجر الدر معروف وهو اللقب الذى أطلقه عليها الملك الصالح نجم الدين وقد رآها تكثر من التزين بالدرر واللآلىء . وكانت هذه المرأة من أصل شركسى . وقد حكمت مصر وحدها فترة من الزمن . وهو أمر لا مثيل له فى تاريخ الإسلام . وفى خلال الشهرين التى حكمت فيهما وحدها أمكنها تنظيم شئون البلاد وتخفيف وطأة الضرائب ، وأمكنها أن تهزم الصليبيين تحت قيادة سان لويس فى المنصورة . إلا أنها اضطرت أن تتزوج بأمير من المماليك هو الملك المعز إيبك التركمانى الصالحى وذلك للاحتفاظ باستقلال مصر عن الخليفة المستعصم فى بغداد .

وكان المملوك الذى تزوجته شجر الدر عنيفاً يغار من سلطانها . فلكى يوطد من ملكه ، رأى أن يتزوج من أميرة يجرى فى عروقها الدم الملكى كى تحل محل تلك التى وضعته على العرش . وسرعان ما دبرت شجر الدر مؤامرة لاغتياله وهو يستحم فقتلته . غير أنها لم تعش طويلا بعد ذلك ، فقد تأمر عليها المماليك واقتحموا قصرها . ويقال أنها لما رأت نفسها فى خطر وضعت لآلئها فى هون لكى تسحقها . غير أن المهاجمين أخذوا يضربونها بالقباقيب ، ثم ألقوا بها من أعلى القلعة وتركوا جسمها للكلاب تنهشه مدة يومين ، حتى نقلها أهل الخير إلى ضريحها تحت قبة شجر الدر الحالية بشارع الخليفة .

وبموت شجر الدر انتهت الدولة الأيوبية وآل الملك إلى المماليك الذين أسكنهم الملك الصالح نجم الدين بقلعته بالروضة وسط البحر فأطلق عليهم اسم المماليك البحرية .

الفصل الثالث

عصر المماليك البحرية

من سنة (٦٤٨ — ٧٨٤) هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢) م

أصل المماليك قوم كانوا يسكنون أواسط أسيا ، فلما غزا التتار بلادهم ، تفرقوا فى جميع جهات القارة ، وكانت تجارة الرقيق منتشرة فى ذلك الوقت ، فباع التجار أبناء هؤلاء المساكين فى الأسواق كما تباع البضائع ، واشترى الملوك والأمراء كثيراً منهم وجعلوهم ملكا لهم ، ولذا عرفوا باسم « المماليك » .

وقد اشترى صلاح الدين الأيوبى كثيراً من هؤلاء المماليك واستخدمهم فى جيشه وكان يختار من بينهم من يصلح للقيام بالأعمال الهامة . وقد سلك مسلكه خلفاؤه من بعده ، وبخاصة الملك الصالح نجم الدين أيوب فانه اشترى عدداً عظيما منهم، أسكنهم جزيرة الروضة وسط البحر ، ولذلك سموا بالمماليك البحرية ، وأخذ يعلمهم الفنون الحربية ، ولما كبروا سمح لهم ببناء قصور فخمة ، وميّز بعضهم عن بعض بعلامات خاصة على ملابسهم وأسلحتهم ، تعرف باسم « الرنك» . وصار منهم القواد والأمراء .

وكان المماليك من أقوى العناصر التى ساعدت على هزيمة جيوش الصليبيين بقيادة سان لويس أثناء حصار مدينة المنصورة ، فزاد نفوذهم ، واشتدت قوتهم ، حتى استطاعوا فى النهاية أن ينزعوا الملك من « توران شاه » آخر سلاطين الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠) م وأسسوا دولة جديدة بمصر ، هى دولة المماليك البحرية التى بقيت تحكم البلاد مدة ١٣٦ سنة . وأول من تسلطن منهم الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى الصالحى بعد زواجه بالملكة شجر الدر أرملة الملك الصالح نجم الدين . وقد تولى الحكم فى هذا العصر ٢٤ سلطانا وهم :

١ — السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى من سنة (٦٤٨ — ٦٥٥) هـ (١٢٥٠ — ١٢٥٧) م
٢ — « « المنصور نور الدين بن المعز أيبك « « (٦٥٥ — ٦٥٧) هـ (١٢٥٧ — ١٢٥٨) م
٣ — « « المظفر سيف الدين قطز « « (٦٥٧ — ٦٥٨) هـ (١٢٥٨ — ١٢٥٩) م
٤ — « « الظاهر بيبرس البندقدارى « « (٦٥٨ — ٦٧٦) هـ (١٢٥٩ — ١٢٧٧) م
٥ — « « السعيد ناصر الدين « « (٦٧٦ — ٦٧٨) هـ (١٢٧٧ — ١٢٧٩) م
٦ — « « العادل سلامش « « (٦٧٨) م (١٢٧٩) م)

٧ — السلطان الملك المنصور قلاوون من سنة (٦٧٨ — ٦٨٩) هـ (١٢٧٩ — ١٢٩٠) م

٨ — » » الأشرف خليل بن قلاوون » » (٦٨٩ — ٦٩٣) هـ (١٢٩٠ — ١٢٩٣) م

٩ — » » الناصر محمد بن قلاوون (أولا) » » (٦٩٣ — ٦٩٤) هـ (١٢٩٣ — ١٢٩٤) م

١٠ — » » العادل كتبغا » » (٦٩٤ — ٦٩٦) هـ (١٢٩٤ — ١٢٩٦) م

١١ — » » المنصور لاچين » » (٦٩٦ — ٦٩٨) هـ (١٢٩٦ — ١٢٩٨) م

١٢ — » » الناصر محمد بن قلاوون (ثانياً) » » (٦٩٨ — ٧٠٨) هـ (١٢٩٨ — ١٣٠٨) م

١٣ — » » المظفر بيبرس الجاشنكير » » (٧٠٨ — ٧٠٩) هـ (١٣٠٨ — ١٣٠٩) م

١٤ — » » الناصر محمد بن قلاوون (ثالثاً) » » (٧٠٩ — ٧٤١) هـ (١٣٠٩ — ١٣٤٠) م

١٥ — » » المنصور سيف الدين » » (٧٤١ — ٧٤٢) هـ (١٣٤٠ — ١٣٤١) م

١٦ — » » الأشرف علاء الدين كچرك » » (٧٤٢) هـ (١٣٤١) م

١٧ — » » الناصر شهاب الدين احمد » » (٧٤٢ — ٧٤٣) هـ (١٣٤١ — ١٣٤٢) م

١٨ — » » الصالح عماد الدين اسماعيل » » (٧٤٣ — ٧٤٦) هـ (١٣٤٢ — ١٣٤٥) م

١٩ — » » الكامل سيف الدين شعبان » » (٧٤٦ — ٧٤٧) هـ (١٣٤٥ — ١٣٤٦) م

٢٠ — » » المظفر حاچى » » (٧٤٧ — ٧٤٨) هـ (١٣٤٦ — ١٣٤٧) م

٢١ — » » الناصر حسن (أولا) » » (٧٤٨ — ٧٥٢) هـ (١٣٤٧ — ١٣٥١) م

٢٢ — » » الصالح صلاح الدين » » (٧٥٢ — ٧٥٥) هـ (١٣٥١ — ١٣٥٤) م

٢٣ — » » الناصر حسن (ثانياً) » » (٧٥٥ — ٧٦٢) هـ (١٣٥٤ — ١٣٦٠) م

٢٤ — » » المنصور صلاح الدين محمد » » (٧٦٢ — ٧٦٤) هـ (١٣٦٠ — ١٣٦٢) م

٢٥ — » » الأشرف شعبان بن حسين » » (٧٦٤ — ٧٧٨) هـ (١٣٦٢ — ١٣٧٦) م

٢٦ — » » المنصور علاء الدين على بن شعبان » » (٧٧٨ — ٧٨٣) هـ (١٣٧٦ — ١٣٨١) م

٢٧ — » » الصالح حاچى بن شعبان » » (٧٨٣ — ٧٨٤) هـ (١٣٨١ — ١٣٨٢) م

وفى عصر المماليك البحرية ازدهرت مدينة القاهرة واتسعت رقعتها ونمت مبانيها وظهرت فيها من المنشآت المعمارية بين مدارس ومساجد وخوانق وقصور وقناطر ما جعل هذا العصر عصر العمارة الإسلامية الذهبى . وزادت مساحة المدينة غربا وشمالا من طروح البحر واتسعت كثيراً جداً . وكان مجرى النيل بين الشاطئين يضيق كلما اتسعت المدينة غربا على حساب طروح البحر المتوالية .

أهم الآثار التى شيدت فى عهد سلاطين دولة المماليك البحرية

ويبين الكشف التالى أهم الآثار التى شيدت فى دولة المماليك البحرية ومواقعها وتاريخ انشائها الهجرى والميلادى ؛ وسنتكلم عن بعضها وعن بعض منشئيها بالتفصيل بعد ذلك :

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
المدرسة المعزية	... ...	... ...	ومكانها اليوم جامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويش بآخر شارع مصر القديمة (شارع عمرو بن العاص حالياً) من الجهة الجنوبية .
قبة الخلفاء العباسيين (ويعتقد البعض انها أيوبية)	... ...	... ...	قرافة السيدة نفيسة .
المدرسة الظاهرية	٦٦٠ — ٦٦٢	١٢٦٢ — ١٢٦٤	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) تجاه قبة قلاوون .
جامع الظاهر	٦٦٥ — ٦٦٧	١٢٦٦ — ١٢٦٩	ميدان الظاهر .
مدرسة وقبة وبيمارستان قلاوون	٦٨٣ — ٦٨٤	١٢٨٤ — ١٢٨٥	شارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً)
قبة الأشرف خليل	٦٨٧	١٢٨٨	شارع الأشرف بقسم الخليفة .
مدرسة وقبة الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٥ — ٧٠٣	١٢٩٦ — ١٣٠٣	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً)
زاوية الامام زين الدين يوسف	٦٩٧ — ٧٣٦	١٢٩٧ — ١٣٣٥	شارع القادرية .
جامع سنجر الجاولى	٧٠٣	١٣٠٤	شارع مراسينا بقسم السيدة زينب .
جامع بيبرس الجاشنكير	٧٠٦ — ٧٠٩	١٣٠٦ — ١٣١٠	شارع الجمالية .
المدرسة السعدية (قبة حسن صدقه)	٧١٥ — ٧٢١	١٣١٥ — ١٣٢١	شارع السيوفية قسم الخليفة .
جامع المارس	٧٣٠	١٣٣٠	شارع الحلمية قسم الخليفة .
جامع الناصر محمد	٧٣٥	١٣٣٤	داخل القلعة .
قصر بشتاك	٧٣٥	١٣٣٤ — ١٣٣٥	درب قرمز بالجمالية .
جامع بشتاك	٧٣٦	١٣٣٥	درب الجماميز قسم السيدة زينب .
حمام بشتاك	قبل سنة ٧٤٢	قبل سنة ١٣٤١	شارع سوق السلاح قسم الخليفة .
جامع المارداني	٧٣٩ — ٧٤٠	١٣٣٨ — ١٣٤٠	شارع التبانة بقسم الدرب الأحمر .
جامع آق سنقر (الجامع الأزرق)	٧٤٧ — ٧٤٨	١٣٤٦ — ١٣٤٧	شارع باب الوزير بقسم الدرب الأحمر .
جامع وخانقاه شيخو	٧٥٠ — ٧٥٦	١٣٤٩ — ١٣٥٥	شارع شيخون بقسم الخليفة .
مدرسة السلطان حسن	٧٥٧ — ٧٦٤	١٣٥٦ — ١٣٦٣	شارع محمد على مقابل القلعة بقسم الخليفة .
جامع صرغتمش	٧٥٧	١٣٥٦	شارع الخضيرى بقسم السيدة زينب بملاصقة جامع ابن طولون .
مدرسة خوندبركة (أم السلطان شعبان)	٧٧٠	١٣٦٨	شارع باب الوزير بقسم الدرب الأحمر .
جامع الجاى اليوسفى	٧٦٨	١٣٦٦	شارع سوق السلاح بقسم الخليفة .
جامع خشقدم الاحمدى	٧٧٨	١٣٧٦	شارع درب الحصر قسم الخليفة .

وإليك الآن بعض التفاصيل عما أجملنا .

المدرسة المعزية :

أنشأها الملك المعز أيبك فى سنة ٦٥٤ هـ برحبة دار الملك التى عرفت بعد ذلك برحبة الخروب ثم برحبة الحناء لبيع هذه الأشياء فيها . وقد اندثرت هذه المدرسة وحل محلها جامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويش المطل على النيل فى آخر شارع مصر القديمة (شارع عمرو بن العاص الآن) من الجهة الجنوبية . وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابدى بك لأنه جدده فى سنة ١٠٧٧ هـ (١٦٦٠) م ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخوخة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور .

وكان الملك المعز أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب . وهو رومى الأصل . فلما مات نجم الدين اضطرت الملكة شجر الدر أن تتزوج منه لتبقى على ملك مصر ، وهكذا وضعته هذه الملكة على العرش ، ولكنه قابل هذا الجميل بالنكران وتزوج من أميرة أخرى هى بنت بدر الدين لولو ملك الموصل ، فاشتعلت شجر الدر غيرة وقتلته فى الحمام . وكان منجمه قد أخبره بأن امرأة ستكون سبباً فى قتله فأمر بألا يترك باب مفتوح بالأماكن التى يمر بها يوم ركوبه من قلعة الجبل إلى الميدان الذى سبق أنشأه نجم الدين بأرض اللوق . وكان هذا الطريق عامراً بالمساكن والحوانيت ويمتد من القلعة إلى شارع المحجر الحالى ثم إلى شارع باب الوزير فشارع التبانه فشارع الدرب الأحمر فباب زويلة فشارع تحت الربع فباب الخرق ويمر فوق قنطرة الخرق على الخليج إلى شارع حسن الأكبر فشارع الصنافيرى حتى ميدان باب اللوق بجوار جامع الطباخ بعابدين . وكانت كل هذه المناطق عامرة بالدور والحوانيت .

ولما مات الملك المعز ولى الملك بعده ابنه السلطان الملك المنصور نور الدين وعمره ١٥ سنة ودبر أمره نائب أبيه الأمير سيف الدين قطز ثم خلعه بعد سنتين واستقل بالسلطنة ولقب بالملك المظفر سيف الدين قطز.

أما المنصور فكان أول عمل أقدم عليه هو أن قبض على شجر الدر قاتلة أبيه وذلك بعد ثلاثة أيام من توليه الملك سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧) م وعهد بها إلى نساء بيته فأماتوها فى البرج الأحمر بالقلعة المشرف على باب المقطم فى الجهة الجنوبية ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا جثتها فى خندق بالقلعة على مرأى من ضربتها فأكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقى فى قبة شجر الدر بشارع الخليفة قرب مشهد السيدة نفيسة .

وشكل قبة شجرة الدر من أقدم أشكال القباب المعروفة بمصر وزخارفها المعمارية قريبة الشبه جداً بزخارف قبة الخلفاء العباسيين الموجودة خلف مشهد السيدة نفسية . وهذه القبة الأخيرة عظيمة الأهمية جداً من الوجهة المعمارية الإسلامية . ويعتبرها البعض من آثار الدولة الأيوبية وهو الأرجح .

المدرسة الظاهرية :

أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٠ هـ مكان قاعة من قاعات القصر الكبير الفاطمى كانت تعرف بقاعة الخيم بعد هدمها ومما أدخل فيها أيضاً باب الذهب من أبواب القصر الفاطمى .

وتقع هذه المدرسة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) وقد اندثرت واعتدى الناس على أرضها وأدخلوها فى أملاكهم كما دخل جزء منها فى شارع بيت القاضى عند فتحه سنة ١٨٧٣ م ولم يبق منها اليوم الا الأيوان الشرقى وهو معطل ويعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضى ، وباق منها أيضاً الكتف الأيمن لبابها الأصلى وعليه اسم منشئها وتاريخ انشائها .

وقد أوقف السلطان الملك الظاهر بيبرس على هذه المدرسة ربع السلطان خارج باب زويله وباب الفرج ويعرف ذلك الخط الى اليوم بخط (تحت الربع) .

أما الملك الظاهر بيبرس رابع ملوك دولة المماليك البحرية وصاحب هذه المدرسة فأصله مملوك للأمير ايدكين البندقدار ثم انتقل الى الملك الصالح نجم الدين وصار من مماليكه البحرية . وفى عصره سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) وصل الى مصر الامام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد بعد أن طرده التتار من بلاده ، فتلقاه الظاهر بيبرس فى عساكره وبالغ فى اكرامه وأنزله فى القلعة وانعقدت البيعة له بمحضر العلماء والأمراء ولقب بالإمام المستنصر . وبالمستنصر هذا ابتدأت الخلافة العباسية بمصر من ذلك الحين وتوالى الخلفاء من بعده إلى أن انتهت خلافتهم فى زمن السلطان الغورى باحتلال السلطان سليم الأول التركى لمصر ونقله لآخر الخلفاء إلى استامبول واضطراره إياه أن يتنازل عن الخلافة للسلطان سليم التركى .

جامع الظاهر :

أنشأ هذا الجامع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) المذكور سابقا واستعمل فى عمارته أخشابا ورخاما أرسلها اليه من قلعة يافا عند ما فتحها سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م) .

ويقع هذا الجامع بميدان الظاهر الذى كان يعرف قديماً بميدان قراقوش كما كان الجامع نفسه يعرف قديماً باسم جامع العافية. وقد بنى هذا الجامع على مثال المساجد الجامعة : أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف وتبلغ أبعاده الخارجية ١٠٨ فى ١١٠ أمتار كما يبلغ مقياس صحنه ٦٠ فى ٧٠ متراً ومسطحه ١١٨٨٠ متراً مربعاً وهذا أقل من ثلاثة أفدنة بقليل . وواجهات الجامع الأربع وشرفاته المسننة وأبوابه مبنية بالحجر وعلى نواصيه الأربع آثار أبراج متهدمة. وكان أحدها وهو الغربى القبلى مستعملاً سلماً للوصول الى السطح ثم الى المنارة . أما من الداخل فالبناء

بالحجر الثلاثات عدا عقود الجامع والقبة والشبابيك فانها مبنية بالطوب . وللجامع ثلاثة أبواب بارزة عن مستوى الواجهات حافلة بالنقوش والكتابات . وكان يعلو الباب الغربى منارة لم يبق منها سوى أثر قاعدتها المربعة .

وقد تعطلت إقامة الشعائر بهذا الجامع من أول القرن العاشر الهجرى بسبب سعته وتعذر الصرف عليه ثم تخرب بعد ذلك وتحول فى العهد العثمانى إلى مخزن للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها وفى عهد الحملة الفرنسية إلى قلعة وثكنة للجنود عرفت باسم قلعة سيكوفسكى وفى عهد محمد على باشا الكبير إلى معسكر لطائفة التكرور ومخبز للجراية ثم إلى مصنع للصابون تحت إشراف السيد أحمد بن يوسف فخر الدين .

وفى سنة ١٨١٢ نقلت بعض أحجاره وعمده الرخامية لبناء رواق الشراقوه بالجامع الأزهر بمعرفة الشيخ الشرقاوى .

وذكر بريز دفين أن كثيراً من أعمدته استعملت فى بناء قصر النيل . ثم اتخذه الجيش البريطانى مخبزاً ثم مذبحاً وقد بطل الذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولذا يعرف لغاية اليوم باسم المذبح الإنجليزى ثم تسلمته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٨ وأنشأت مصلحة التنظيم فى داخله متنزهاً للعائلات . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى .

أرض اللوق : لا بد هنا من كلمة عن أرض اللوق التى تعرف حالياً باسم خط الاسماعيلية لا تصال تاريخ هذه المنطقة بتاريخ الملك الظاهر بيبرس فنقول: ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر وقد أضيفت

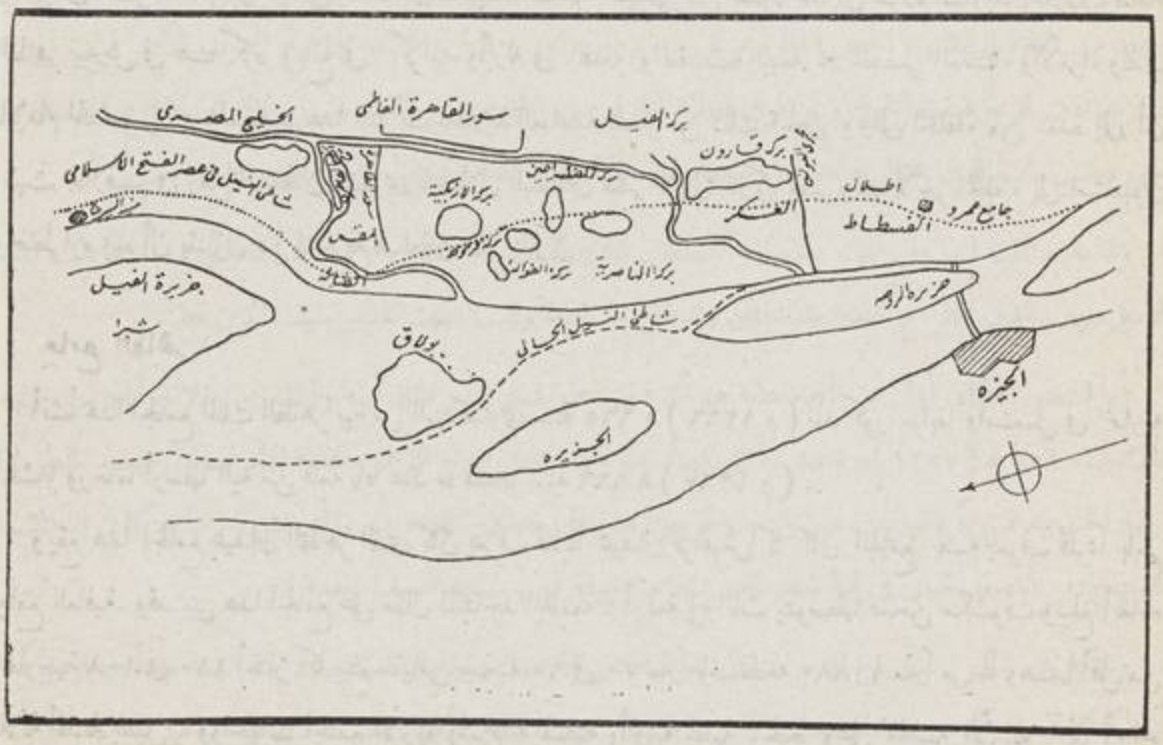

موقع شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة كما كان فى أوائل حكم دولة المماليك البحرية وترى أرض اللوق وما أضيف إليها من طروحات متوالية وكذا أرض بولاق وجزيرة الفيل (شبرا) قبل اتصالهما بالشاطىء .

إليها طروحات أخرى فى أوائل حكم دولة المماليك البحرية . وسميت لوقا لأنها كانت أرضاً لينة تلاق لوقاً عند زراعتها بعد الفيضان الذى كان يغمرها وتزرع زراعات شتوية أسوة بأراضى الملق فى أراضى الحياض .

وكانت أرض اللوق تشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة . ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينعطف الحد إلى قصر النيل ويسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد على . ومن الجنوب بمستشفى القصر العينى وشارع بستان الفاضل . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فشارع نوبار باشا إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان (حسين رشدى الآن) فينعطف الحد مائلاً إلى الشرق حتى يتصل بشارع عماد الدين (شارع محمد بك فريد الآن) عند نقطة تلاقيه بشارع الخديو اسماعيل ثم يستقيم الحد متجهاً إلى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى عند شارع قنطرة الدكة .

قال المرحوم محمد بك رمزى فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة :

«هذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطىء الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩ هـ (٦٨٨) م. أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق . »

وقد أنشىء بأرض اللوق كثير من البساتين والمنشآت مثل منشاة القاضى الفاضل وبستانه ومنشاة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى .

ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضاً زراعية إلى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١) م . حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر ببنائها لهم فى أراضى اللوق. ومن ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة أحكار عامرة آهلة بالسكان . إلا أنها عادت فخربت وتحولت هذه الأراضى إلى أراض زراعية مرة ثانية ، وبقيت على ذلك إلى سنة ١٨٥٨ م حيث لم يكن بها إلا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وشارع جامع جركس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواسعة والميادين كما ترى اليوم من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل ، وعرفت بخط الاسماعيلية نسبة إلى الخديو اسماعيل .

الجسر الأعظم وقناطر السباع (ميدان السيدة زينب) :

وأنشأ الظاهر أيضاً الجسر الأعظم وقناطر السباع التى على الخليج . وقد ذكر المقريزى أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع. ويعرف مكان هذا الجسر اليوم باسم شارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع سنجر الجاولى الواقع تحت قلعة الكبش وهناك يعرف امتداده باسم شارع الخضيرى .

أما قناطر السباع فكانت موجودة على الخليج المصرى وعليها سباع من الحجارة وكانت معروفة باسم قنطرة السيدة زينب وكانت مكونة من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومى وشارع السد والثانية كانت توصل بين شارع الكومى وشارع مراسينا . وفى سنة ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج و بردمه اختفت هذه القناطر تحت ميدان السيدة زينب الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء آخر من شارع مراسينا .

المدرسة والقبة والبيمارستان المنصورى (جامع قلاوون) :

من أهم آثار دولة المماليك البحرية بالقاهرة وقد بنيت هذه المجموعة الهامة على جزء من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان على جزء منها قاعة كبيرة لست الملك أخت الحاكم بأمر الله ثم آلت ملكيتها إلى الأميرة مؤنسة القطبية الأيوبية . وقد بنيت هذه المجموعة فى ١٤ شهراً فقط . وأدخلت فيها الأعمدة الجرانتية والرخامية والأعتاب والأبواب والشبابيك التى خلعت من قلعة الملك الصالح بالروضة بعد هدمها بأمر قلاوون .

وتقع هذه المجموعة الآن فى شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وتتكون واجهتها الشرقية من قسمين : الأول وهو القبلى واجهة المدرسة والثانى وهو البحرى المرتد واجهة التربة تعلوها القبة العظيمة وفى الطرف البحرى لهذه الواجهة المنارة بأدورها الثلاثة المربعة والمستديرة المتوجة بكورنيش مصرى الطراز . وفيما بين هذين القسمين الباب الذى كان يسلك منه إلى المدرسة والقبة والبيمارستان . وتشبه المنارة إلى حد بعيد صورة منارة الاسكندرية المحفورة على عملة البطالسة .

وتعتبر هذه المجموعة من أروع العمارات الإسلامية بالقاهرة منظراً وجمالا .

أما محراب القبة فهو أكبر وأفخم محراب فى الآثار الإسلامية بالقاهرة و بوسطها قبر عليه بقايا تابوت من الخشب مكتوب عليه اسم المنصور قلاوون بالخط النسخ . وقد دفن بهذا القبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد والملك الصالح عماد الدين و إسماعيل بن محمد بن قلاوون .

وشكل القبة من الداخل من أبدع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب يحملها أربعة أعمدة اسطوانية سميكة ومرتفعة من الجرانيت الأحمر لا شك أنها منقولة من معبد مصرى قديم ، وأربعة أكتاف من المبانى . والجدران مكسوة بالرخام الملون البديع المنظر .

أما المدرسة فلم يبق من مبانيها القديمة إلا الإيوان الشرقى بزخارفه ومحرابه البديع . وهو قريب الشبه بالكنائس السورية و به أعمدة كثيرة منقولة من الكنائس القبطية والمعابد الرومانية بعد هدمها .

أما البيمارستان فقد هدمت مبانيه القديمة ولم يبق إلا أجزاء من بعض قاعاته . ومما يذكر أن هذا البيمارستان أقامه قلاوون وفاء لنذر نذره وهو بالشام وكان لم يزل أميراً فأصابه قولنج بدمشق فعولج بأدوية أخذت له من بيمارستان

نور الدين فلما شفى زار البيمارستان وأعجب به ونذر إن أتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيمارستانا وقد كان .

وفى سنة ١٩١٥ أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض البيمارستان المذكور.

شبرا وبولاق :

قلنا سابقاً إن شاطئ النيل الشرقى للقاهرة كان ينتهى فى العصر الفاطمى إلى مكان شارع عماد الدين الحالى فقرية أم دنين حيث جامع أولاد عنان الآن فميدان باب الحديد فالمكان القائم عليه اليوم محطة كوبرى الليمون ثم يسير

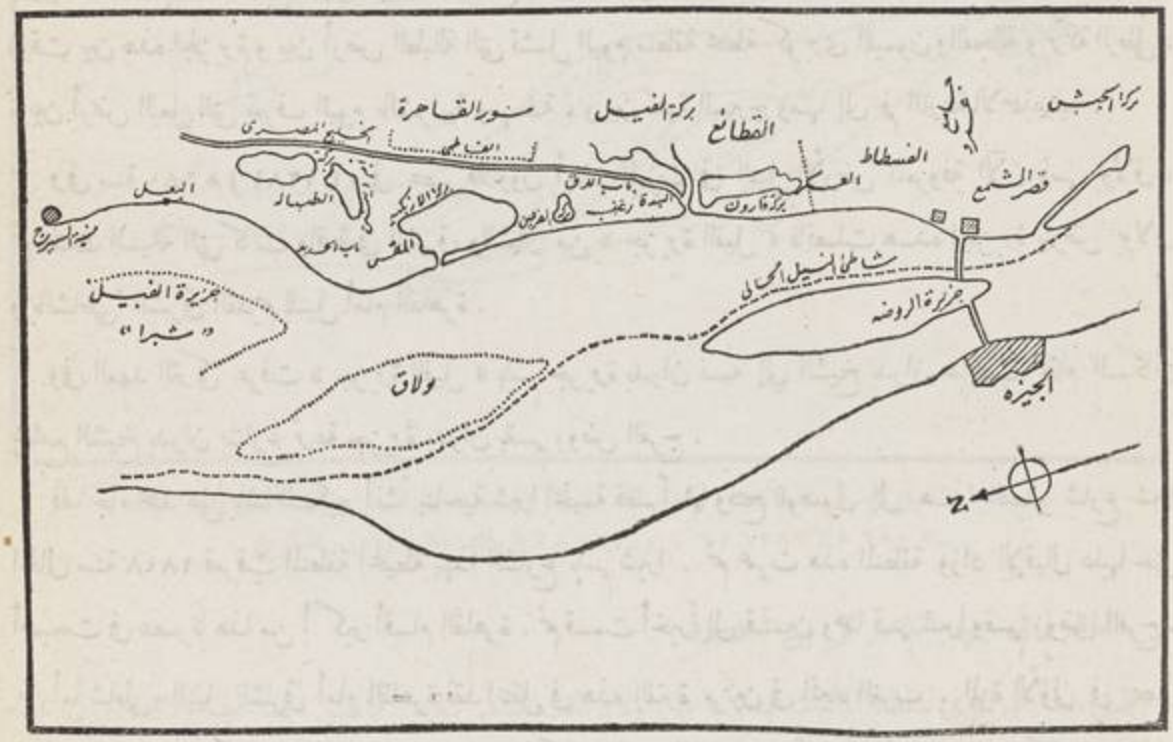

موقع شاطئ النيل الشرقى فى العصر الفاطمى وموقع المقس وبركة المقس (بطن البقرة) التى عرفت فيما بعد ببركة الأزبكية ومكانها الآن حديقة الأزبكية وماجاورها ثم موقع بولاق وجزيرة الفيل (شبرا) قبل اتصالهما ببعضهما وبالشاطىء الشرقى للنيل .

النيل شمالاً إلى الشرابية ، و إلى منية السيرج ، ومنها إلى المكان الذى به اليوم فم الترعة الإسماعيلية . وكان ثغر القاهرة فى المكان الذى به اليوم ميدان المحطة وكان بهذا الثغر دار الصنعة حيث بنى أسطول المعز وأسطول صلاح الدين وسواها .

ولكن حدث فى أواخر حكم الدولة الفاطمية أن غرق فى النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه « الفيل » وترك فى مكانه فتراكمت فوقه الرمال وسرعان ماظهرت هناك جزيرة وسط المياه ارتفعت أراضيها بالتدريج فعرفت فى هذا الوقت باسم « جزيرة الفيل » . ثم اتسعت مساحة هذه الجزيرة واتخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) فزرعت فى أيام صلاح الدين الأيوبى وأوقفت أراضيها على المدرسة الصلاحية التى أنشئت إذ ذاك

بالقرافة الصغرى بجوار قبر الأمام الشافعى . ومكان هذه المدرسة الآن جامع الأمام الشافعى بالقاهرة . ولكن أراضى هذه الجزيرة استمرت فى الزيادة حتى كانت أيام قلاوون فأمر بوقف الأرض التى زادت على حدود هذه الجزيرة على البيمارستان القلاوونى المذكور سابقاً والواقع بشارع المعز لدين الله .

أما مكان « جزيرة الفيل » الآن فهى المنطقة التى يمر فيها شارع شبرا من الجنوب إلى الشمال . وكان يحدها وقت أن كانت وسط المياه من الغرب النيل حيث يمتد الآن طراد النيل القديم وشارع ابو الفرج ، ومن الجنوب النيل حيث يقع الآن شارع جزيرة بدران وشارع بركات ومن الشرق والشمال سيالة مياه كانت فاصلة فى ذلك الوقت بين هذه الجزيرة و بين أرض الطبالة التى تشمل اليوم منطقة محطة كوبرى الليمون والفجالة و بركة الرطلى ، و بين أرض البعل التى تعرف اليوم بالشرابية ومهمشة ، و بين منية السيرج ومنها إلى فم الترعة الاسماعيلية .

وفى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١) م فى عصر قلاوون أيضاً ظهرت فى النيل الأرض المعروفة الآن باسم بولاق ، ثم طمت السيالة التى كانت واقعة فى الشرق والشمال من « جزيرة الفيل » فاتصلت هـذه الجزيرة بأرض بولاق و بالشاطئ الشرقى القديم للنيل أمام القاهرة .

وفى العهد التركى عرفت « جزيرة الفيل » باسم جزيرة بدران نسبة إلي الشيخ بدران صاحب المقام الكائن بجامع الشيخ بدران بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج .

فلما جاء محمد على باشا الكبير أنشأ بناحية شبرا الخيمة قصراً فخما وفتح للوصول إلى هـذا القصر شارع شبرا الحالى سنة ١٨٠٨ فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا . ثم عمرت هذه المنطقة وزاد الإقبال عليها حتى أصبحت فى عصرنا هذا من أكبر أقسام القاهرة . ثم قسمت أخيراً إلى قسمين وهما قسم شبرا وقسم روض الفرج .

أما شاطىء النيل الشرقى أمام القاهرة فقد انتقل فى هذه الفترة مرتين فى اتجاه الغرب . المرة الأولى فى عصر الظاهر بيبرس حيث كان النيل ينتهى إلى شارع الملكة نازلى ومافى امتداده تجاه أرض اللوق التى تكلمنا عنها قبل ذلك، فلما اتصلت أرض اللوق بأرض بولاق بسبب طمى البحر الواقع بينهما انتقل شاطئ النيل للمرة الثانية وأصبح النيل يجرى فى الأماكن التى تعرف اليوم بالأسماء الآتية :

بعد أن يمر النيل تحت ديوان مصلحة المجارى من الجهة الغربية يسير تحت شارع ساحل الغلال فشارع ماسبرو فشارع الخضرا فشارع سوق العصر ثم يمر غربى جامع الشيخ محمد الأخرس ثم يسير مخترقاً أرض عنابر السكك الحديدية ببولاق إلى أن يصل إلى جامع الشيخ فرج من الجهه الغربية . وهنا نقطة اتصال أرض بولاق بأرض جزيرة الفيل . ثم يمتد النيل بجوار جزيرة الفيل فى حدها القبلى بطول شارع جزيرة بدران وشارع بركات و بجوار حدها الغربى بطول شارع أبى الفرج وطراد النيل حتى يصل إلى فم ترعة الاسماعيلية. وهكذا تم اتصال أرض بولاق بأرض شبرا و بأرض اللوق. و بذلك بعد النيل عن القاهرة واتسعت أراضى المدينة من الجهة الغربية اتساعاً هائلا.

فبعد أن كان ثغر القاهرة يقع مكان ميدان المحطة انتقل هذا الثغر إلى ناحية بولاق .

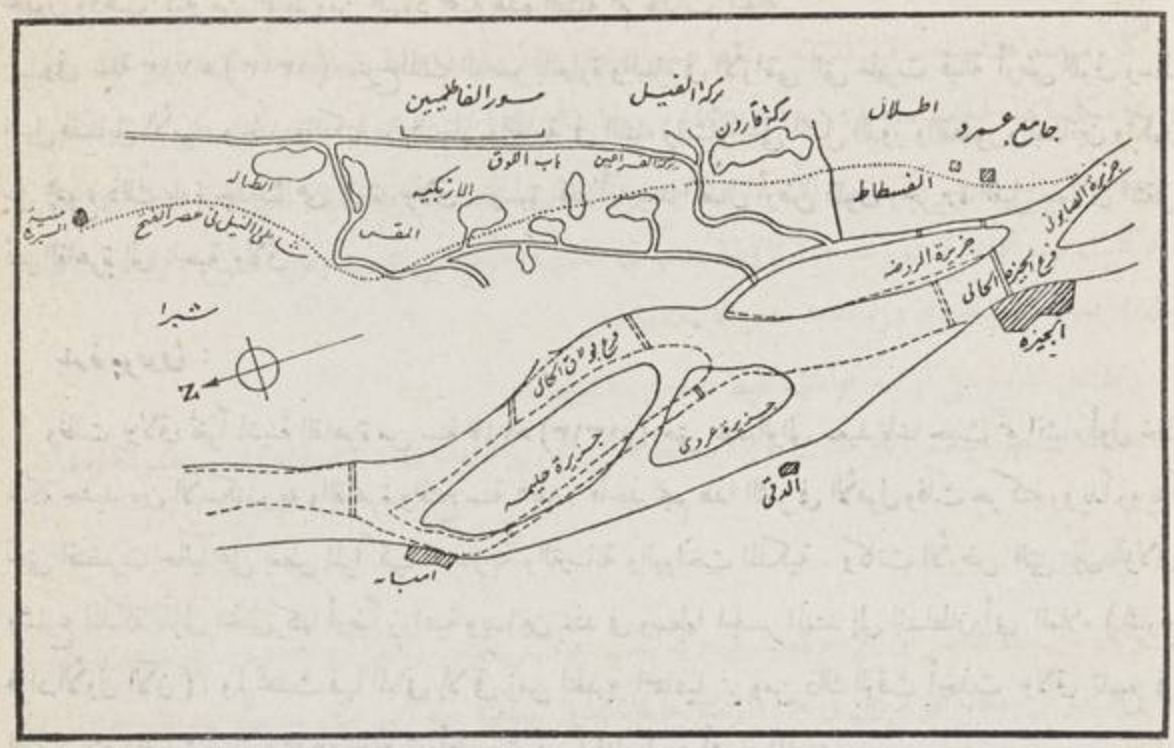

موقع شاطئ النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة كما كان بعد اتصال أرض بولاق بأرض شبرا حوالى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وترى جزيرة الزمالك الحالية فى دور التكوين .

القاهرة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون :

طبق مبدأ الوراثة فى سلطنة المماليك البحرية على أولاد الملك الظاهر بيبرس كما طبق أيضاً على أولاد قلاوون فخلفه على سلطنة مصر ابنه خليل ثم ابنه الناصر الذى تولى العرش ثلاث مرات . وقد طالت سلطنة الناصر الثالثه وتم له من العز والشوكة والسعة و بسطة الملك الشىء الكثير . وكان الناصر ذا شغف بالعمارة فحدثت فى أيامه عمارات كثيرة فاستجد بالقلعة مبانى كثيره من قصور وغيرها وتزايدت العمارات بالحسينية وعمر ما حول بركة الفيل والصليبة إلى جامع ابن طولون وما جاوره إلى مشهد السيدة نفيسة وحكر الناس أرض الزهرى حيث خط الناصرية الآن ومافى امتداده إلى شارع غيط العدة كما امتد العمار إلى اللوق و إلى المقس حيث جامع أولاد عنان الأن بميدان باب الحديد . وحفر الخليج الناصرى وكان فمه عند موردة البلاط إلى شمال كوبرى محمد على الواقع على سيالة الروضة وكان هذا الخليج يخترق منطقة جاردن ستى الحالية ويمتد إلى شارع فؤاد الأول فيكون فى غرب البستان الذى كان فى ملك زينب خانم ثم يكون عند أولاد عنان فينعطف و يسير إلى أن يتلاقى مع الخليج الكبير بقرب جامع الظاهر. وقد اندثر هذا الخليج الأن وردم مكانه .

وحصل فى أيام الناصر فتنة كبيرة بين أقباط القاهرة ومسلميها بسبب الحرائق التى انتشرت فى المدينة لسبب مجهول وذهب كثير من القبط ومن اليهود ضحية هذه الفتنة ثم هدأت الحالة .

وفى سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣) صرح الملك الناصر بالعمارة والبناء فى الأراضى التى ظهرت قبالة أرض اللوق وسط النيل فتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء وانشأوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هى بلدة بولاق . وسبق قلنا أنه بعد اتصال أرض اللوق وجزيرة الفيل ببولاق انتقل ثغر القاهرة إلى ناحية بولاق .

بلدة بولاق :

وظلت بولاق ثغراً لمدينة القاهرة من سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) حتى عهد الوالى سعيد باشا حيث تم انشاء أول خط سكة حديد بين الأسكندريه والقاهرة وافتتح سنة ١٨٥٦ فأخذ نجم هذا الثغر فى الأفول وقلت حركته رويداً رويداً حتى اقتصرت حالياً على بعض المراكب التجارية والترسانة والبواخت الملكية . وكانت الأرض التى بين بولاق وشارع الملكة نازلى الحالى كلها أرضاً زراعية وبساتين يمتد فى وسطها الجسر الممتد إلى السلطان أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) . ولم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديو اسماعيل . ومن ذاك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت قسماً إداريا من أقسام المدينة .

امتداد العمران بين باب الخلق والسيدة زينب :

واستجد فى أيام الناصر أكثر من ستين حكراً على ضفة الخليج الغربية ابتدأ من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) الآن إلى قنطرة باب الخرق (ميدان باب الخلق) الآن . فأغلب الأحياء الموجودة الآن فى هذه المنطقة عمرت فى وقته .

ميدان القلعة :

واعتنى الناصر بالقلعة وميدان القلعة وجعله بستاناً زاهراً .

المدرسة الناصرية :

واشترى الناصر المدرسة الناصرية الملاصقة لقبة قلاوون التى كان قد شرع فى بنائها الملك العادل زين الدين كتبغا ولم يتمها ، وأكملها وأنشأ بها قبة جليلة دفنت بها والدته وابنه أنوك سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩) م وكانت بها دروس للمذاهب الأربعة ومكتبة جليلة . وتقع هذه المدرسة الآن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً)

جامع الناصر محمد بالقلعة :

كان موضع هذا الجامع قبل انشائه مسجداً صغيراً ومخازن للمفروشات والمطبخ بالقلعة فأزال الناصر تلك الأبنية وأنشأ مكانها هذا الجامع سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨) م . ولا يزال قائماً للآن بجوار جامع محمد على باشا الكبير .

وقد نقل إليه الناصر كثيراً من الأعمدة والأحجار والرخام مما تخلف من قلعة الملك الصالح بالروضة بعد هدمها . وقد كانت هذه الأعمدة قبل بناء قلعة الروضة نفسها فى البرابى والكنائس بمنف وعين شمس و بابليون وهكذا خلدت معابد مصر القديمة فى مساجد مصر الإسلامية ! !

ويشتمل الجامع على أربعة أيوانات تحيط بصحن مكشوف .

وقد تخرب هذا الجامع إلى أن عنيت به إدارة حفظ الآثار العربية فأصلحت مئذنته وقبته وعمده وجدرانه وعقوده .

الخانكة :

وكان من عادة الناصر أن يخرج للصيد فى بركة الجب جهة سرياقوس واتفق أن توجه مرة على عادته فأخذه ألم عظيم فنذر أن عافاه الله ليبنين فى هذا الموضع خانقاه لتعبد الصوفية . فلما شفى وفى بنذره و بنى على بعد ميل من سرياقوس خانقاه وجعل فيه مائة خلوة لمائة صوفى وشيد إلى جانبه مسجداً وحماماً ومطبخاً وألحق به صيدلية وعيادة تضم أطباء لمختلف الأمراض .

وكان ذلك سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م) ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المنطقة باسم الخانكة و بها الآن مستشفى كبير للأمراض العقلية .

أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون :

لما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون ترك أحد عشر ولداً تولى السلطنة بعده ثمانية منهم وهم :

أولا : السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر سنة (٧٤١ — ٧٤٢) هـ (١٣٤٠ — ١٣٤١) م مكث شهرين الا يوما وخلعه الأمير قوصون نائب السلطنة لفساده وشربه الخمر ونفى هو وأخوته الى قوص قاعدة مركز قوص أحد مراكز مديرية قنا حالياً .

ثانياً : السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجرك . أقام بالملك خمسة أشهر وعشرة أيام سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١) م ثم خلع . وفى عصره قامت ثورة بمصر بين أمراء المماليك وقوصون نائب السلطنة ، انتهت بالقبض على قوصون ونفيه الى الاسكندرية وبقيام الأمير ايدوغمش زعيم الثورة مكانه .

ثالثاً : السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد . أقام بالملك ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وخلع نفسه سنة ٧٤٣ هـ و بقى بقلعة الكرك حتى قتل سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤) م

رابعاً : السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . أقام بالملك ثلاث سنين وشهرين وعشرة أيام ثم مات سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥) م

خامسا : السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان . أقام بالملك سنة وشهراً ثم قتل سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦) م

سادسا : السلطان الملك المظفر حاجى . أقام بالملك سنة وثمانية شهور ثم ذبح سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧) م

سابعاً : السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن . أقام بالملك ثلاث سنين وتسعة أشهر حتى سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١) م حيث ثار عليه الأمير طاز وسجنه بالقلعة .

ثامنا : السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح . أقام بالملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ثم خلع سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) م وسجن بالقلعة . وهو آخر من تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون . وفى عهده وقع قتال عنيف بين الأمير طاز نائب السلطنة و بين الأمير شيخو والأمير صرغتمش من قواد الجيش فانتصر الأمير طاز عليهما وقتل فى المعركة كثير من المماليك. وانتهز الأمير شيخو العمرى فرصة غياب الأمير طاز فى الصيد خارج القاهرة وخلع السلطان صلاح وفى يوم خلعه عاد للسلطنة ثانياً شقيقه الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن سابع من ملك من أولاد الناصر باتفاق الأمراء الحاضرين بالقاهرة فاقام بالملك ست سنين وستة أشهر وسبعة أيام من سنة ٧٥٥ الى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٥٤ — ١٣٦٠) م وقام علية مملوكه الأمير يلبغا وقتله فى ٩ جمادى الأول سنة ٧٦٢ هـ.

وفى مدته قبض على الأمير طاز وقتله . ثم جرح الأمير شيخو العمرى بطعنة خنجر فى الديوان بيد أحد المماليك سنة ٧٥٨ هـ . و بقى شيخو مريضاً بمنزله بحدرة البقر التى تعرف الآن بحوش بردق ثم مات ودفن فى جامعه بالصليبة بقسم الخليفة . و بعد موت شيخو استقل صرغتمش بالسلطة واستبد بأوقاف الأديرة والكنائس ثم قبض عليه السلطان وقتله . وقامت بالقاهرة ثورة ومعارك بين مماليكه ومماليك السلطان فقتل أغلب مماليك صرغتمش و بعد ذلك خرج السلطان إلى الجيزة وترك الأمر بيد مملوكه يلبغا . ثم حصلت وقيعة بينه و بين السلطان فكمن يلبغا للسلطان فى طريق عودته من الجيزة وقتله سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠) م.

مدرسة السلطان حسن :

وتدين القاهرة للسلطان حسن بأحسن وأجمل وأفخم مدرسة بنيت فى الإسلام وهى تضارع بعظمتها مصر مبانى الفرعونية الهائلة .

وتقع هذه المدرسة الآن فى نهاية شارع محمد على بمواجهة القلعة وكان موقعها يعرف سابقاً باسم سوق الخيل ، وكان به قصر بناه الناصر للأمير يلبغا يحياوى ثم هدم وأقيمت مكانه هذه المدرسة . ويبلغ طولها ١٥٠ مترا وعرضها ٦٨ متراً ومساحتها ٧٩٠٦ متراً وارتفاع بابها العمومى ٣٧,٧٠ متراً . وكان باب هذه المدرسة أكبر وأفخم باب نحاسى بالآثار الإسلامية . وقد اشتراه المؤيد وركبه على باب جامعه بجوار باب زويلة . وتشرف واجهتها الرئيسية على شارع وميدان محمد على وواجهاتها الجنوبية والشرقية على ميدان صلاح الدين . وتعرف هذه المدرسة الآن باسم جامع السلطان الحسن وليس لهذا الجامع وقبته نظير فى الإسلام. وهو مبنى بالحجارة الكبيرة المنحوتة المأخوذة من الإهرام .

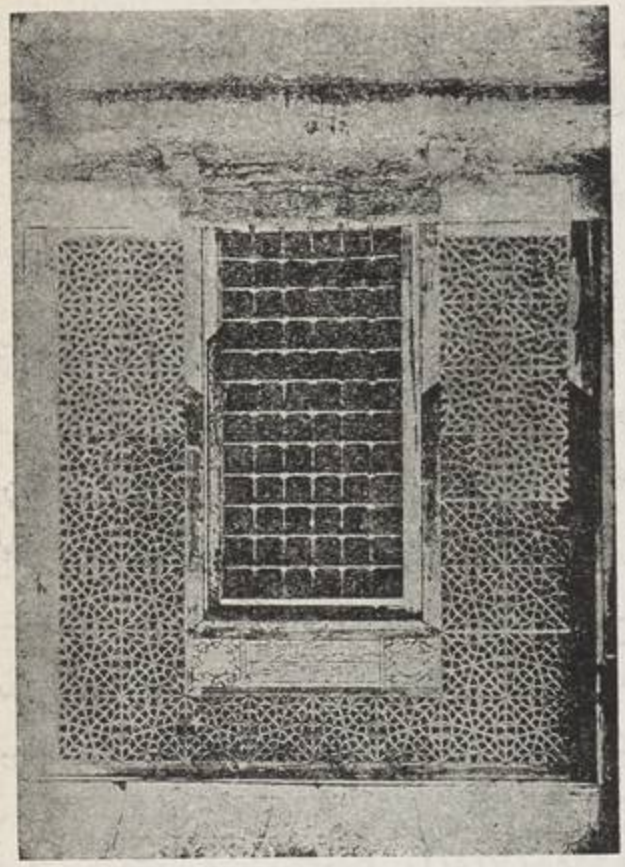

زخارف شباك من مدرسة السلطان حسن

جامع وخانقاه شيخو :

وفى أيام السلطان حسن أنشىء جامع وخانقاه الأمير شيخو بالصليبة ، وقد أدخل ضمن مبانى هذا الجامع أحجار « البيت الأخضر » وكان من أجمل آثار مدينة منف القديمة ، تغنى بوصفه الشيخ عبد اللطيف الرحالة البغدادى لما زار القاهرة سنة ١٢٠٠ م . وفى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩) م أمر الوزير شيخو بكسر هذا الأثر ونقل أحجاره وأدخلها فى مبانى مسجده المعروف الآن باسم جامع شيخون القبلى بالصليبة تجاه جامعه البحرى (الخانقاه) وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة فى جهة القلعة .

مدرسة صرغتمش :

وفى أيام السلطان حسن أيضاً أنشئت مدرسة صرغتمش وتعرف الآن باسم جامع صرغتمش وهى ملاصقة للزيادة الغربية لجامع ابن طولون .

القاهرة فى نهاية عصر المماليك البحرية :

مع أن مدة حكم هؤلاء المماليك كانت كلها أهوالا وشدائد وأضراراً بالشعب ، إلا أنه حدثت فيها عمائر كثيرة ببولاق والقاهرة وضواحيها وأغلبها كان فى الرحاب التى كانت بالقاهرة زمن الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية .

ومن أهم آثار هذا العصر الباقية للآن خلاف ما سبق ذكره :

١ — القاعة وقف عثمان كتخدا بشارع بيت القاضى وهى بقية منزل كبير ضاع أكثره فى فتح شارع بيت القاضى سنة ١٨٧٣ وهى تحفة فنية جميلة تستحق الزيارة .

٢ — جامع قوصون نائب السلطنة بعد موت الناصر . وقد ضاع جزء منه فى فتح شارع محمد على الممتد من العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة الآن) إلى القاعة بطول كيلومترين تقريباً سنة ١٨٨٠ م . ولهذا الجامع بابان أحدهما بحارة درب الأغوات والآخر فى مقابله بشارع محمد على . وهو جامع متسع جميل .

٣ — دار الأمير طاز نائب السلطنة فى عهد الملك الصالح صلاح آخر من تسلطن من أولاد الناصر ، وتقع هذه الدار الآن بشارع السيوفية بقسم الخليفة . ويقع تجاه هـذه الدار بيت عبد الله باشا فكرى وزير المعارف أيام ثورة عرابى باشا سنة ١٨٨١م . وقد حولت إلى مدرسة للبنات فى عهد اسماعيل باشا وهى عامرة للآن .

٤ — جامع الأمير الجانى اليوسفى بسويقة العزى من سوق السلاح على يسار السالك من الدرب الأحمر يريد جامع السلطان حسن . وهو من جوامع عصر المماليك البحرية النفيسة .

٥ — مسجد وتربة شهاب الدين المهمندار بشارع الدرب الأحمر قبيل جامع المرداني . أنشأه هذا الأمير فى دولة الناصر محمد بن قلاوون .

قاهرة المماليك البحرية وسحرها . أنموذج للقباب والمآذن

الفصل الرابع

عصر المماليك الجراكسة

من سنة (٧٨٤ — ٩٢٣) هـ (١٣٨٢ — ١٥١٧) م

عرف ملوك مصر ابتداء من برقوق الذى حكم سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢) م باسم « المماليك الجراكسة » نسبة إلى بلاد جركس موطن برقوق الأصلى . وكان ملوك هذه السلالة الجديدة تحت سيطرة مماليكهم وهم قوم لا همّ لهم فى الحياة إلا الحرب والعبث بأمن الناس وسفك دمائهم لإظهار شجاعتهم واستهتارهم بالموت . فبدت القاهرة فى عصرهم كمدن العصابات عرضة للسلب والنهب فى رابعة النهار كما بدت شوارعها وميادينها وحاراتها ساحات لمعاركهم الدموية التى كانت لا تنتهى أبدا . و بعد حياة مضطربة كلها آثام وجرائم كان المماليك يعتقدون أنهم يكفرون عن أوزارهم ببناء مسجد للصلاة أو معهد للأعمال الخيرية ، فكانت المدينة تتقدم بذلك و يزداد عدد مساجدها ومدارسها ومستشفياتها ومنشآتها الدينية مع توالى السنين . وكانت معظم هذه المنشآت الدينية تستعمل مساجداً للصلاة وفى الوقت نفسه مدارساً لتعليم الفقه والشرع ودواوينا للحكم وأندية للمجتمعات وخلوات للصوفية وملاجيء يلجأ إليها الغرباء ومن ليس له مأوى فى المدينة . غير أن هذا العبث المستمر بحياة القاهرة آل فى آخر الأمر إلى سقوط دولة المماليك الجراكسة ووقوع مصر فى أيدى العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧) م . فتكون مدة حكمهم ١٣٥ سنة ميلادية تقريباً . تولى العرش فيها ٢٤ ملكا . لم يستطع أحد منهم أن يستقل بالسلطة عن زملائه تمام الاستقلال أو أن يؤلف عائلة ملكية تعمر طويلا بل استمروا يختلف أقوياؤهم على عرش مصر حتى انهزم آخر سلاطينهم « الغورى » و « طومان باى » أمام قوات السلطان سليم الأول التركى . أما هؤلاء الملوك فهم :

١ — الملك الظاهر برقوق	من سنة (٧٨٤ — ٨٠١) هـ	(١٣٨٢ — ١٣٩٨) م
٢ — « الناصر أبى السعادات فرج (أولا)	« « (٨٠١ — ٨٠٨) هـ	(١٣٩٨ — ١٤٠٥) م
٣ — « المنصور عبد العزيز	« « (٨٠٨) هـ	(١٤٠٥) م
٤ — « الناصر أبى السعادات فرج (ثانياً)	« « (٨٠٨ — ٨١٥) هـ	(١٤٠٥ = ١٤١٢) م
٥ — « المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى	« « (٨١٥ — ٨٢٤) هـ	(١٤١٢ — ١٤٢١) م
٦ — « المظفر ابن المؤيد	« « (٨٢٤) هـ	(١٤٢١) م
٧ — « الظاهر سيف الدين	« « (٨٢٤) هـ	(١٤٢١) م

٨ — الملك الصالح أبو النصر	من سنة (٨٢٤	٨٢٥) هـ (١٤٢١ — ١٤٢٢) م
٩ — « الأشرف برسباى	« « (٨٢٥ - ٨٤١) هـ (١٤٢٢ - ١٤٣٧) م	
١٠ — « العزيز جمال الدين	« « (٨٤١ — ٨٤٢) هـ (١٤٣٧ — ١٤٣٨) م	
١١ — « الظاهر چقمق	« « (٨٤٢ — ٨٥٧) هـ (١٤٣٨ — ١٤٥٣) م	
١٢ — « المنصور عثمان	« « (٨٥٧) هـ	(١٤٥٣) م
١٣ — « الأشرف إينال	« « (٨٥٧ - ٨٦٥) هـ (١٤٥٣ - ١٤٦٠) م	
١٤ — « المؤيد احمد بن إينال	« « (٨٦٥) هـ	(١٤٦٠) م
١٥ - « الظاهر خشقدم	« « (٨٦٥ - ٨٧٢) هـ (١٤٦٠ — ١٤٦٧) م	
١٦ — « الظاهر بلباى	« « (٨٧٢) هـ	(١٤٦٧) م
١٧ — « الظاهر تيمور بغا	« « (٨٧٢) هـ	(١٤٦٧) م
١٨ - « الأشرف قايتباى	« « (٨٧٢ - ٩٠١) هـ (١٤٦٧ — ١٤٩٥) م	
١٩ — « الناصر ابن قايتباى	« « (٩٠١ — ٩٠٤) هـ (١٤٩٥ — ١٤٩٨) م	
٢٠ — « الظاهر أبى سعيد قانصوه الأشرفى	« « (٩٠٤ - ٩٠٥) هـ (١٤٩٨ - ١٤٩٩) م	
٢١ — « الأشرف أبو النصر جانبلاط	« « (٩٠٥ — ٩٠٦) هـ (١٤٩٩ — ١٥٠٠) م	
٢٢ — « العادل طومان باى	« « (٩٠٦) هـ	(١٥٠٠) م
٢٣ — « الأشرف قانصوه الغورى	« « (٩٠٦ — ٩٢٢) هـ (١٥٠٠ — ١٥١٦) م	
٢٤ - « الأشرف طومان باى الغورى	« « (٩٢٢ — ٩٢٣) هـ (١٥١٦ — ١٥١٧) م	

وترجع كثرة الآثار والمنشئآت الدينية التى شيدت بالقاهرة فى عصر هؤلاء المماليك إلى سببين : السبب الأول هو محاولة هؤلاء الملوك التكفير عن ذنوبهم ببناء هذه المنشئآت الدينية كما قلنا سابقا . والسبب الثانى هو حالة الرواج التى نتجت عن مرور بضائع الهند بطريق السويس إلى أوربا و بلاد الشرق وما كان يجبى على هذه البضائع من ضرائب وخلافه . وقد ظلت حالة الرواج هذه بمصر إلى أن أكتشف ڤاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح فى القرن السادس عشر الميلادى فتحولت التجارة إلى هناك فى عصر الغورى الذى حارب البرتغاليين لهذا السبب ولكنه لم يفلح . غير أن التجارة مع ذلك عادت من نفسها إلى طريقها الأصلى وظلت تمر به إلى عصر محمد على، ثم ثبتت نهائياً فى هذا الطريق بعد فتح قنال السويس .

أهم الآثار التى شيدت فى عهد دولة المماليك الشراكسة

ويبين الكشف التالى أهم الآثار التى بقيت بالقاهرة من عهد دولة المماليك الجراكسه ومواقعها وتاريخ انشائها الهجرى والميلادى . وسنتكلم عن بعضها وعن بعض منشئيها بالتفصيل بعد ذلك .

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
مدرسة وقبة الظاهر برقوق	٧٨٦ — ٧٨٨	١٣٨٤ — ١٣٨٦	شارع المعز لدين الله (النحاسين سابقاً) .
جامع وتربة الظاهر برقوق	٨٠١ — ٨١٣	١٣٩٨ — ١٤١٠	قرافة المماليك بجبانة القاهرة البحرية .
زاوية فرج بن برقوق	٨١٠ — ٨١١	١٤٠٧ — ١٤٠٩	تقاطع شارع تحت الربع بشارع قصبة رضوان بقسم الدرب الأحمر .
جامع المؤيد	٨١٨ — ٨٢٣	١٤١٥ — ١٤٢٠	تقاطع شارع تحت الربع بشارع المعز لدين الله (السكرية سابقاً) وبملاصقة باب زويلة .
مارستان المؤيد	٨٢١	١٤١٨	سكة الكومى بالمحجر قرب القلعة بقسم الخليفة .
جامع الأشرف برسباى	٨٢٦ — ٨٢٧	١٤٥٣ — ١٤٢٤	شارع المعز لدين الله (الأشرفية سابقاً) .
جامع جانى بك	٨٣٠	١٤٢٧	شارع المغربلين بقسم الدرب الأحمر .
جامع وتربة الأشرف برسباى	٨٣٥	١٤٣١	قرافة المماليك بجبانة القاهرة البحرية .
جامع وتربة السلطان إينال	٨٥٥ — ٨٦٠	١٤٥١ — ١٤٥٦	شارع السلطان أحمد بقرافة المماليك .
رباط خوندزينب زوجة السلطان اينال	٨٥٥ — ٨٦٠	١٤٥١ — ١٤٥٦	شارع الخرنفش .
تربة السلطان قايتباى	٨٧٧ — ٨٧٩	١٤٧٢ — ١٤٧٥	شارع قايتباى بقرافة المماليك .
جامع محمد بن بردبك	٨٩٥	١٤٨٩	شارع أم الغلام .
جامع السلطان قايتباى	٨٨٠	١٤٧٥	شارع قلعة الكبش .
وكالة السلطان قايتباى	٨٨٢	١٤٧٧	شارع الأزهر .
وكالة قايتباى	٨٨٥	١٤٨٠	شارع باب النصر .
سبيل وكتاب قايتباي	٨٨٤	١٤٧٩	شارع شيخون .
قبة يشبك (القبة القداوية)	٨٨٤	١٤٧٩	شارع العباسية .
مدرسة أبو بكر مزهر	٨٨٤ — ٨٨٥	١٤٧٩ — ١٤٨٠	حارة برجوان .
مدرسة قجماس الإسحاقى	٨٨٥ — ٨٨٦	١٤٨٠ — ١٤٨١	شارع الدرب الأحمر .
بيت السلطان قايتباي	٨٩٧ — ٨٩٨	١٤٩٢ — ١٤٩٣	سكة المارداني .
مقعد ماماى (بيت القاضى)	٩٠١	١٤٩٦	ميدان بيت القاضى .
جامع خير بك	٩٠٨	١٥٠٢ — ١٥٠٣	شارع باب الوزير .
جامع قانباي أمير آخور	٩٠٨	١٥٠٢ — ١٥٠٣	بأول درب اللبان بميدان صلاح الدين .
مدرسة قانباى أمير آخور	٩١١	١٥٠٥	شارع الناصرية .
مدرسة وقبة وسبيل ومقعد السلطان الغورى .	٩٠٩ — ٩١٠	١٥٠٣ — ١٥٠٤	شارع المعز لدين الله (الغورية سابقاً) .
وكالة السلطان الغورى	٩١٧	١٥١١ — ١٥١٢	شارع التبليطة .
خان الخليلى	٩١٧	١٥١١ — ١٥١٢	خان الخليلى .
قبة قرقماس أمير كبير	٩١١ — ٩١٣	١٥٠٥ — ١٥٠٧	شارع السلطان أحمد بقرافة المماليك بقايتباى .

مدرسة السلطان الظاهر برقوق :

أنشأ هـذه المدرسة الملك الظاهر ابو سعيد برقوق ، أول ملوك دولة المماليك الجراكسة بمصر . بناها (سنة ٧٨٦ — ٧٨٨) هـ (١٣٨٤ — ١٣٨٦) م ملاصقة لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون من الجهة البحرية على رقعة من أرض القصر الصغير الغربى الفاطمى .

وقد تكونت من واجهة هذه المدرسة ومن واجهة مدرسة الناصر محمد ومن واجهة قبة ومدرسة السلطان قلاوون أقول تكونت من هذه الواجهات المتلاصقة المتلاحقة المطلة على شارع المعز لدين الله مجموعة من أجل المبانى الأثرية بالقاهرة منظراً ، ومن أكثرها سحراً وجاذبية فإذا تأملتها سمت بك فى سماء الخيال وتكشفت لك عن سر من أسرار القاهرة الشرقية وشعرها وجاذبيتها وسحرها الفتان . هنا فى هذا المـكان كان منذ نيف وألف عام بستان جميل زاهر هو بستان كافور الأخشيدى فإذا به بسحر الفن يتحول إلى قصر بديع رائع تغنت بجماله القاهرة الفاطمية مدة قرنين من الزمان وهو القصر الصغير الغربى الفاطمى و إذا به بسحر هذا الفن نفسه يتحول إلى مساجد و بيمارستانات وخوانق ومدارس وقباب ومآذن يأخذ جمالها بلبك و بسحرك و يسمو بك إلى أعلى عليين . فما أسعد هذا المـكان وما أجمله وما أجل قدره !

والمدرسة مبنية بالأحجار الضخمة التى استعملت العجول فى نقلها على عربات خاصة ولهذا يعرف هـذا النوع من الحجر باسم « الحجر العجالى» . وأنى أرجح أن برقوق نقل هذه الأحجار ونقل الأعمدة من قلعة الروضة بعد هدمها.

تربة برقوق

بعد وفاة برقوق سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨)م شرع إبنه وخليفته السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج فى إنشاء تربة ضخمة للعائلة المالكة الجديدة عائلة الظاهر برقوق ، أقامها فى جبانة القاهرة البحرية المعروفة الآن باسم جبانة المماليك . وقد استغرق بناء هذه التربة ١٢ سنة من سنة (٨٠١ — ٨١٣) هـ (١٣٩٨ — ١٤١١) م وقد وضع تصميمها بحيث تصلح لأغراض هامة متعددة . فبينما هى أعدت لتكون تربة فإذا بها خانقاه فخمة لتعبد الصوفية و إذا بها مدرسة تدرس بها العلوم الشرعية و إذا بها مسجد جامع فسيح الأرجاء مستكمل جميع معدات الصلاة . فلا غرابة بعد ذلك أن تكون هذه التربة أضخم تربة وجدت فى جميع جبانات مصر والقاهرة وأكبرها مساحة وأعظمها نفقة . وقد حليت ورقة الجنيه المصرى الحالى التى يصدرها البنك الأهلى بصورة لهذه التربة مأخوذة من داخل صحنها . وقد بلغ من اهتمام الناصر فرج بها أنه جعل ما حولها مدينة عامرة بأسواقها وخاناتها وحماماتها ولـكنه مات قبل أن يدرك كل غايته . ولا يزال بجوار هذه التربة مجموعة من المبانى الحقيرة والعشش تعرف الآن باسم عزبة البرقوقى أو عزبة الصعايدة قامت على أنقاض مدينة الناصر فرج المندثرة .

وتعرف الآن القرافة البحرية التى بها تربة برقوق بين العامة باسم مقابر الخلفاء . وهذا خطأ لأنه لا يوجد بهذه المنطقة قبر واحد لخليفة من خلفاء العباسيين أو الفاطميين . وربما يكون منشأ هذا الخطأ من التراجمة والأدلاء الجهلاء . كما يسميها العامة أيضاً قرافة الغفير وهذا خطأ أيضاً منشأه أن خفير نقطة تحصيل عوائد الدخولية قديماً كان يسكن فى قبة الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه الأشرفى بهذه الجهة فاشتهرت به وعرفت باسم قرافة الغفير . كما أنها تعرف أيضاً باسم قرافة المماليك وهذا أصح وأكثر انطباقاً عليها . وقد دفن بتربة برقوق هذه : الملك الظاهر برقوق نفسه وابنه المنصور عبد العزيز المتوفى سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) وذلك فى القبة البحرية ، أما فى القبة القبلية فقد دفنت بنت الناصر فرج « خوند شقرا » المتوفاه سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) وكذا « خوند حريز » المتوفاه سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) .

ومن المميزات المعمارية لهذه التربة واجهتها الغربية الجميلة المزدانة بمئذنتين بديعتين وواجهتها الشرقية المتوجة بقبتين شامختين متماثلتين رسماً وحجماً تتوسطهما قبة صغيرة ثالثة تعلو المحراب مباشرة . وقد حلى سطح القبتين برسوم بارزة نقشت فى الحجر .

أما السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق الذى بنى هذه التربة فقد ولد سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) ثم اعتلى العرش بعد أبيه سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) وعمره أقل من عشر سنين وظل بالحكم حتى قتل سنة ٨١٥ هـ ودفن بمقابر دمشق . وحدث فى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) أنه خلع فخلفه أخوه المنصور عبد العزيز ثم أعيد ثانية فقبض على أخيه وسجنه ثم قتله سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) ودفنه بتربة برقوق .

وفى عهده أيضاً وضع ابن خلدون العالم المغربى المشهور كتابه : العبر وديوان المبتدا والخبر ثم وضع مقدمة ابن خلدون الشهيرة . وفى مقدمته هذه وصف بديع لمصر والقاهرة وأحوالها العلمية والصناعية .

زاوية فرج بن برقوق أو الدهيشة :

هذه الزاوية خارج باب زويلة على رأس تقاطع شارع تحت الربع بشارع قصبة رضوان . كانت فى الأصل بارزة فى شارع تحت الربع فهدمتها إدارة الآثار العربية وأرجعتها إلى الوراء بحالتها الراهنة بنفس مقاييسها القديمة ومواد بنائها الأصلية .

أنشئت هذه الزاوية سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) على يد جمال الدين يوسف الاستادار بأمر السلطان فرج بن برقوق وهى مكونة من قاعة واحدة كانت جدرانها الداخلية مكسوة بالرخام و يسقفها زخارف ملونة ومذهبة . و بها سبيل له سلسبيل من الرخام على حافته نقوش حيوانات وقد أودع دار الآثار العربية .

الملك المؤيد وجامع المؤيد :

الملك المؤيد أبو النصر المحمودى الظاهرى برقوق شركسى الأصل ولد حوالى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨) م وأخذ من بلاده و بيع بالقاهرة سنة ٧٨٣ هـ فاشتراه محمود اليزدى تاجر المماليك ولذلك عرف بالمحمودى نسبة إليه . وقدمه إلى الظاهر برقوق وقت أن كان نائباً للسلطنة ، فى عهد السلطان حاجى بن شعبان . فأعتقه برقوق وعلمه الفروسية بأنواعها وعينه فى جملة وظائف وجعله أميراً للحج سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) ثم ولاه نيابة طرابلس والشام . وفى سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢م) ولى ملك مصر و بقى به إلى أن توفى سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١) م . وكان المؤيد عالما جليلا وموسيقياً بارعا وخطيبا. ومن آثاره الخالدة (جامع المؤيد) الملاصق لباب زويلة . وتشرف واجهة هذا الجامع القبلية على شارع تحت الربع (أحمد ماهر باشا الآن) . وهى قائمة على أساس سور القاهرة القديم الذى بناه بدر الجمالى ولا يزال لهذا السور بقية بحمام المؤيد الكائن غربى الجامع . أما الباب الرئيسى لهذا الجامع فهو الباب الأصلى لمدرسة السلطان حسن بجوار القلعة ، اشتراه الملك المؤيد بأبخس ثمن وركبه على باب جامعه ولا يزال إسم السلطان حسن منقوشاً عليه . ولا شك أنه أكبر وأفخم باب نحاس بالآثار الإسلامية . وتعلوه طاقية مقرنصة رائعة الجمال . وأما مئذنتا هذا الجامع فمنفصلتان عنه وقائمتان على بدنتى باب زويلة ، فقد انتهز مهندس المؤيد فرصة وجود باب زويلة بملاصقة الجامع فهدم أعلا البدنتين و بنى فوقهما مئذنتى مسجد المؤيد .

والآن إذا سرت فى شارع تحت الربع (شارع أحمد ماهر باشا) تشرف عليك واجهة جامع المؤيد بضخامتها وارتفاعها الشاهق و بملاصقتها باب زويلة تعلوه مئذنتى المؤيد الضاربتان فى السماء فيخيل إليك أنك دخلت فجأة مدينة العماليق الساحرة التى تعيد إلى الأذهان ذكرى هذه الأيام المجيدة أيام القاهرة الشرقية المملوءة بالسحر والفتنة والهيبة والجمال .

ومن آثار المؤيد أيضاً (البيمارستان المؤيدى) شيده سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨م) وهو يقع بالقرب من القلعة بسكة الكومى بالمحجر بقسم الخليفة . وكان مستشفى تعالج فيه جميع الأمراض البدنية والعقلية ويدرس فيه الطب .

الملك الأشرف برسباى والمدرسة الأشرفية :

بعد موت المؤيد خلفه ثلاثة ملوك ضعاف لم يتركوا أثراً بالقاهرة . وكانت القاهرة فى عصرهم دائمة الأصابة بوباء الطاعون و بتقصيرات النيل المستمرة وانتشار الغلاء . ثم خلفهم الملك الأشرف برسباى . وأصل السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبوالنصر برسباى من مماليك الظاهر برقوق . ولى ملك مصر سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢١) م وتوفى سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧) م ودفن بتربته بقرافة المماليك وهى جبانة القاهرة البحرية المذكورة سابقاً . وفى مدته أبطل استعمال النقود الذهبية الأجنبية واستعمل بدلها العملة الأشرفية وهى من خالص الذهب وأجود الفضة .

ومن آثار الأشرف برسباى بالقاهرة مسجده المعروف (بالمدرسة الأشرفية) على رأس تقاطع شارع السكة الجديدة بشارع المعز لدين الله (الأشرفية سابقاً) على يمين الداخل من شارع السكة الجديدة . ولهذا المسجد واجهة كبيرة شرقية تتكون من سبيل وكتاب وباب تجاوره مئذنة جدد جزؤها العلوى حديثاً . والباب العمومى مغشى بالنحاس المخرم . وتصميم هذا المسجد على مثال المدارس : أواوين أربعة تحيط بصحن مكشوف . ومن مميزات العمارة فى عصر برسباى الاعتناء الزائد بصناعة الرخام . وبالركن الشرقى البحرى للمسجد تربة زوجة الملك الأشرف خوند الكبرى فاطمة وابنه الناصرى محمد تعلوها قبة سطحها الخارجى محلى بنقوش جميلة . ومن ظريف ما يذكر أن السوق المجاورة للجامع من جهته القبلية قد خصصت لبيع العنبر منذ سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) وما زالت حتى الآن مخصصة لبيع الروائح العطرية . أما آثار الأشرف برسباى الأخرى فهى تربته وهى عبارة عن جامع وخانقاه ومدرسة وقبة وتقع بقرافة المماليك إلى جنوب تربة برقوق وبينهما تربة جانى بك الأشرفى .

ومقابر المماليك تحف أثرية بديعة تزين جبانة القاهرة البحرية وتجعل لها ميزة غير متوفرة فى جبانة أى مدينة إسلامية أخرى . ومن آثار الأشرف برسباى أيضاً مدرسته أو جامعه الذى أنشأه بالخانكة .

من برسباى الى قايتباى :

لما توفى الملك الأشرف برسباى سنة ٨٤١ هـ خلفه ابنه الملك العزيز جمال الدين . وقد أوصى والده بأن يكون القائد الأكبر چقمق وصياً عليه فلم يرض المماليك بذلك فخلع الملك العزيز وتسلطن القائد چقمق سنة ٨٤٢ هـ وكان الطاعون بالقاهرة . وكان الملك چقمق ملكا جليلا خيراً متواضعاً خلع نفسه في مرض موته وعهد بالأمر لولده الملك المنصور عثمان سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) . وفى عهد چقمق توفى الشيخ (تقى الدين المقريزى) صاحب كتاب الخطط المشهورة وذلك سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤١ م) .

أما المنصور عثمان فلم يبق بالملك سوى أشهراً ثم خلع وخلفه الملك الأشرف إينال إلى أن خلع سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) . وتدين جبانة المماليك للملك الأشرف إينال بأثر من أجل آثارها إلا وهو جامع ومدرسة وخانقاه وتربة السلطان الأشرف إينال بنيت بين سنة ٨٥٥ هـ و ٨٦٠ هـ (١٤٥١ — ١٤٥٦م) . وهذا الجامع من أجمل آثار المماليك . كما يدين له حى الخرنفش بأثر آخر هو رباط خوند زينب زوجة السلطان إينال بنى فى نفس التاريخ المذكور سابقا .

وكان الملك الأشرف إينال ملكا هيناً ليناً قليل الأذى لولا جور مماليكه فى حق الناس وكانت أيامه كلها لهواً وانشراحاً . ولما أشرف على الموت خلع نفسه وولى ابنه الملك المؤيد احمد بن إينال سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) . ولكن المماليك تألبوا عليه وخلعوه وتوجهوا إلى بيت قائد الجند خشقدم وولوه غصباً . وخشقدم ثالث ملوك الروم بمصر بعد السلطان إيبك التركمانى الرومى الأصل والسلطان لاچين الرومى الأصل أيضاً .

وفى عهد خشقدم تولى الوزارة احمد بن العينى الذى بنى قصر العينى المشهور . حيث كلية الطب الآن. وكان هذا القصر يطل على البحر بالمنطقة التى كانت تعرف قديما باسم منشية المهرانى . ومات السلطان الملك الظاهر خشقدم سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م فتولى الملك بعده الظاهر بلباى وكانت أيامه قليلة الخير كثيرة الشر وعظم الغلاء وقطعت الطرقات على المسافرين ثم حبس بالاسكندرية وتولى الملك بعده الملك الظاهر تيمور بغا وأصله رومى الجنس من مشتريات الملك الظاهر چقمق وهو رابع ملوك الروم بمصر خلع سنة ٨٧٢ هـ و بعد أن جلس على العرش عدة شهور ثم تولى بعده الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م.

القاهرة — أحد أبواب خان الخليلى فى القرن الماضى

الملك الأشرف قايتباى وآثاره بالقاهرة :

أصله چركسى الجنس جلبه الخواجا محمود تاجر المماليك واشتراه منه الملك الأشرف برسباى بخمسين دينارا ثم اشتراه الملك الظاهر چقمق وأعتقه فتقلب فى جملة وظائف إلى أن صار ملكا سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م ومكث على سرير الملك ٢٨ عاما إلى أن توفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥) م. وفى عهده توفى القائد تغرى بردى الرومى الأصل صاحب كتاب (**النجوم الزاهرة**) سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩) م.

الأزبكية :

فى عهد قايتباى شرع قائدة أزبك بك فى تعمير قسم الأزبكية الحالى وكان فى مكانه تلال وكيمان فى أرض سماد بها سنط وأشجار أثل . وكانت أرض هذا الحى قديما عامرة بالمناظر والبساتين وكانت تسمى مناظر اللوق . وكانت قريبة من نهر النيل يوم كان النيل يمر بميدان المحطة الحالى ثم بشارع الملكة نازلى فشارع عماد الدين وما فى امتداده جنوبا . وقد سبق لكافور الأخشيدى أن حفر هناك ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان المقسى . وتقع أرض هذا البستان الآن مقابل مدرسة الفرير بالخرنفش من جهة الغرب . ولما زال البستان المقسى فى أيام الخليفة الظاهر الفاطمى جعل بركة أمام منظرة اللؤلؤة . وموقع منظرة اللؤلؤة الآن هى الأرض التى

تقوم عليها مدرسة الفرير بالخرنفش . وكان الماء يدخل من هذه الترعة إلى البركة . ثم سميت هذه الترعة خليج الذكر لأن أميراً من امراء الملك الظاهر بيبرس يدعى شمس الدين الذكر قام بتطهيرها وتعميقها . وبقى خليج الذكر عامراً وكان من جملة متنزهات القاهرة . وبنى على هذا الخليج قنطرة وفوقها دكة للمتفرجين يجلسون عليها للفرجة . وقد عرف مكانها باسم قنطرة الدكة ولا يزال شارع وميدان قنطرة الدكة الحاليان يحملان اسم هذا المكان .

مسجد الأمير أزبك اليوسفى الواقع بحى ابن طولون ويرجع تاريخ انشاء هذا المسجد إلى سنة ١٤٩٩ م . وينسب حى الازبكية الحالى الى الأمير أزبك صاحب هذا المسجد . وكان للامير أزبك مسجد آخر بجوار حديقة الأزبكية . وقد هدم هذا المسجد بمناسبة فتح شارع محمد على وتنظيم ميدان العتبة الخضراء سنه ١٨٧٥ .

آثار اخرى لقايتباى

والسلطان الملك الأشرف قايتباى فى مقدمة ملوك مصر الذين عنوا بالعمارة الاسلامية ، واهتموا بتنظيم شوارع القاهرة وتعديلها وتوسيعها وتخطيطها . وقلّ أن يخلو حى من أحياء القاهرة أو اقليم من أقاليم القطر المصرى أو قطر من الأقطار الإسلامية إلا وله فيه أثر لامع. وما من شك فى أن جميع المنشئات التى أقامها أو جددها أو أنشأها أمراء دولته تمتاز مبانيها بالرشاقة والجمال والغنى بالزخارف والفنون ودقة الصناعة.

ومن منشآته فى القاهرة طائفة من المساجد والمدارس والوكالات والمنازل والأسبلة ، ذلك إلى ما قام به من تجديد

مساجد ومشاهد جاوز عددها الثلاثين . وأهم آثاره تربة قايتباى بقرافة المماليك وجامع قايتباى بشارع قلعة الكبش ووكالة قايتباى بشارع الأزهر وجامع الروضة وسواها كثيراً جداً .

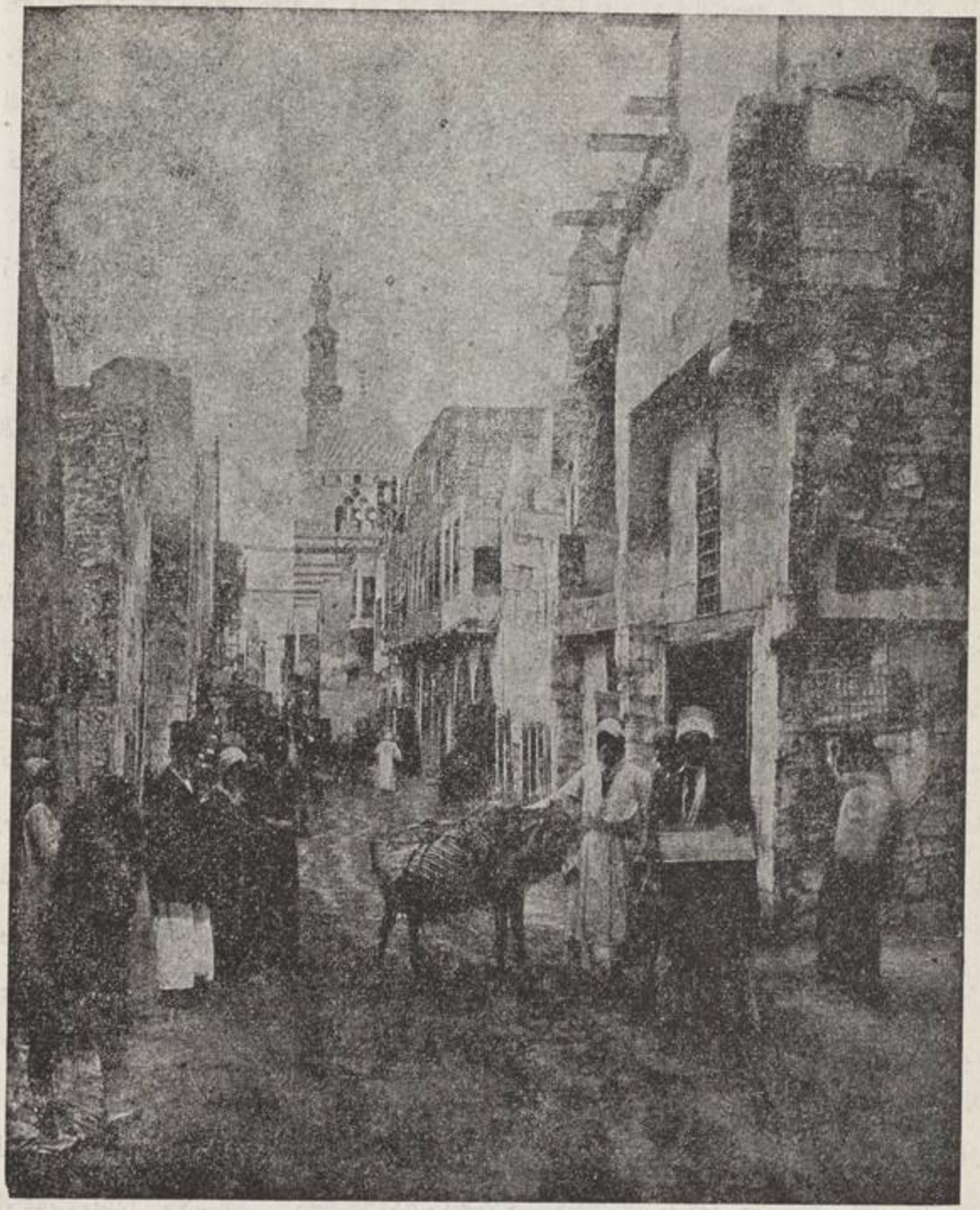

جامع وحى قايتباى

أما عنايته بالحصون فكانت تفوق الوصف فقد أنشأ طابية قايتباى بالاسكندرية وبناها على أساسات منارة الاسكندرية القديمة المشهورة كما أنشأ طابية أخرى برشيد .

وبالقاهرة الآن حى كبير يعرف باسم **قايتباى** أنشأ به هذا الملك مسجداً به تربته وهو يعد فخر العمارة العربية بلا منازع .

مى قايتباى :

كانت المنطقة الممتدة من القلعة إلى العباسية حتى القرن الرابع عشر الميلادى ميدانا فسيحا لألعاب المماليك وتمريناتهم يطلق عليه اسم ميدان القبق . ثم أخذ ملوك مصر حوالى منتصف ذلك القرن ينشئون فى هذه المنطقة المساجد والخوانق ، ويلحقون بها مقابر لهم متبارين فى هذا المضمار . فلم ينته القرن الخامس عشر حتى ازدحمت بطائفة من الآثار تطاول السماء بمناراتها الرشيقة وقبابها المزخرفة وأصبحت بحق مدينة القباب . وكان أكثر الملوك عناية بتشييد تلك الآثار الملك الأشرف قايتباى حتى لقد عرفت المنطقة باسمه .

ويقع مسجد قايتباى جنوبى تربة الأشرف برسباى ويتكون من مدرسة وتربة وسبيل وكتاب وملحقات أخرى وواجهته الشمالية هى الواجهة الرئيسية وقد حلى بابها بالرخام الملون والكتابات وتقوم على يمينه منارة من أرشق منارات القاهرة . وبالمسجد قبة شديدة الارتفاع ازدانت من الخارج بنقوش مورقة ومن الداخل بزخارف ملونة وزجاج بديع وهى تضم قبر قايتباى وقبر ابنه كما أن بها مقبرة أخرى لبعض أقاربه . وهذا المسجد من أشهر الأماكن الأثرية التى يقصدها باستمرار السياح والعلماء والمستشرقين .

القبة الفداوية :

عرفت هذه القبة بالفداوية نسبة إلى طائفة من الشيعة يعرفون بالفداوية أشداء يستهترون بالموت ويسترخصون الحياة . ولذلك عنى بهم ملوك مصر وخصصوا لهم المرتبات . وتقع هذه القبة بشارع العباسية بقسم الوايلى . أما منشىء هذه القبة فهو الأمير يشبك من مهدى الدوادار سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩) م وهو من أمراء قايتباى . وقد أنشأ بجوارها مدرسة وغرس حولها حدائق مما جعل هذه المنطقة إحدى متنزهات القاهرة بعد أن كانت فضاء تحوى بعض القبور . ومات الأمير يشبك سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠) م قبل أن يتمها فأتمها السلطان قايتباى وكتب ألقابه عليها وهى حافلة بالزخارف الملونة وحولها الآن متنزه ظريف أنشأته مصلحة التنظيم . وكان الغرض الأصلى من إنشاء هذه القبة هو أن تكون منظرة ينزل بها يشبك أو السلطان للراحة والرياضة وأقيم بها محراب للصلاة .

حى القبة :

ويلاحظ أن للأمير يشبك قبة أخرى لاتزال قائمة اليوم بحى القبة وتنسب إلى السلطان الغورى لأنه كان ينزل بها للنزهة . وقد بنى الناس قرية جديدة حول هذه القبة فى القرن الحادى عشر الهجرى عرفت باسم قرية القبة نسبة إلى القبة المذكورة . ومن هنا أتى اسم الأحياء المعروفة اليوم بحدائق القبة وسراى القبة وحمامات القبة وكوبرى القبة من ضواحى القاهرة .

بيت القاضى أو مقعد ماماى :

تخلف هذا المقعد عن منزل كبير انشأه ماماى السيفى أحد أمراء السلطان قايتباى . وهو أكمل مثال للمقاعد المنشأة فى عهد قايتباى وواجهته مكونة من باب به مقرنصات جميلة وعقود محمولة على أربعة أعمدة تيجانها مصرية تمثل زهرة اللوتس . وللمقعد سقف شاهق حافل بالزخارف والألوان والتذهيب وأسفله عدة حواصل . وكان متخذا قبل إصلاحه مقراً للمحكمة الشرعية ولذلك عرف ببيت القاضى .

منزل ماماى فى القرن الماضى

من قايتباى الى طومان باى :

لما توفى السلطان الملك الأشرف قايتباى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) ، تولى بعده ابنه محمد الملقب بالملك الناصر بن قايتباى وكان عمره ١٤ سنة ثم قتل سنة ٩٠٤ هـ فخلفه خاله الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه صاحب قبة الغفير المشهورة بقرافة المماليك سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩) م . ثم قامت فتنة فى البلاد خلع على أثرها الملك الظاهر قانصوه وتولى بعده الأشرف جنبلاط أحد مماليك قايتباى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠١) م ثم خلع جنبلاط وتولى بعده الملك العادل طومان باى ثم الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وتربع السلطان الغورى على عرش مصر ١٦ عاماً وقد امتاز عصره بإصلاح مالية الدولة وبزيادة الضرائب وبجمع الأموال ظلماً وهى الأموال التى أنشأ منها مجموعة الآثار القائمة الآن فى المنطقة الواقعة عند تلاقى شارعى الأزهر والمعز لدين الله (الغورية سابقاً) ، وهى مكونة من مسجد (مدرسة) الغورى وينتهى طرفها القبلى بمنارة مربعة شاهقة تنتهى بدورة مكونة من أربع رؤوس ، ومن قبة الغورى وكانت مكسوة بالقاشانى الأزرق . ويقوم فى الطرف

البحرى لقبة الغورى سبيل وكتاب . ويقوم عند نهاية هذا السبيل ، منزل أعده الغورى لسكنى شيخ المدرسة يجاوره فضاء لا شك أنه كان يشمل بناء آخر للغورى، إذ تتصل به وكالة كبيرة شغلت شارع التبليطة ، ويقع خلفها حمام معروف بحمام العرائس .و قد تم بناء هذه المجموعة سنه ٩٠٩ هـ (١٥٠٤) م ، وكانت تضمها سقيفة واحدة ظلت قائمة حتى سنة ١٨٨٢ م . ولما انتهى بناء مسجد أو مدرسة الغورى احتفل بافتتاحها فرفعت الزينات ابتدأ من باب زويلة. أما قبة الغورى فقد نقلت إليها عقب تشييدها الآثار النبوية التى كانت فى رباط الآثار ، ولبثت فيها حتى حملت إلى مسجد السيدة زينب وتنقلت بعد ذلك بين القلعة وديوان الأوقاف وقصر عابدين العامر ، حتى استقرت فى المشهد الحسينى . ولم يدفن الغورى بقبته ، إذ قتل فى معركة مرج دابق ولم يوقف لجثته على أثر .

وقد عرفت منطقة آثار الغورى منذ ٤٠٠عام «بسوق الشربشيين» إذ كانت بها حوانيت مخصصة لصنع الكساوى التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . ومما يذكر بهذه المناسبة ، أنه لا تزال لليوم عند أسفل مسجد الغورى عدة دكاكين يشغلها مشاهير حائكى الملابس البلدية وكسوة التشريفة الخاصة بالعلماء .

وقد هدمت قبة الغورى سنة ١٩٠٨ وحل محلها سقف مستو ، وإلى عهد قريب كان يشغل هذه القبة الخزانه الزكية التى أوقفها المرحوم احمد زكى باشا شيخ العروبة ونقلت الآن إلى دار الكتب بميدان باب الخلق . وقد أنشأ السلطان الغورى أيضاً مأذنة برأسين بالجامع الأزهر وهى موجودة للآن ، وجدد عمارة خان الخليلى وأنشأ به ربوعاً وحواصل .

منظر داخلى لخان الخليلي في القرن الماضى

خان الخليلى

خان الخليلى مشهور بين جميع السائحين بالعالم ، تعرض فى أسواقه أنواع البضائع الشرقية من أقمشة وخيام ونحاس منقوش وأوانى مزخرفة بآيات قرآنية وسجاد ومسابح .

أنشأه فى الأصل جهاركس الخليلى أحد أمراء السلطان برقوق مكان مقابر الخلفاء الفاطميين . وفى سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م) هدمه السلطان الغورى وجدده .

آثار أخرى للغورى :

وأنشأ الغورى أيضاً ربوعاً ودكاكين فى باب القنطرة (باب الشعرية الآن) وبين السورين وأنشأ الميدان تحت القلعة وجدد جملة عمارات بها. ونقل إلى الميدان الأشجار من بلاد الشام وأجرى إليه ماء النيل من سواقى نقالة لا تزال آثارها موجودة بفم الخليج وهى على رأس حوائط العيون التى كانت تغذى القلعة وملحقاتها منذ أيام صلاح الدين وظلت تغذيها حتى عهد محمد على باشا .

وجدد الغورى عمارة مقياس النيل بجزيرة الروضة كما جدد عمارة قناطر السباع التى كانت بميدان السيدة زينب قبل ردم الخليج المصرى وأنشأ طابية الغورى على ساحل البحر الأبيض المتوسط . وجدد طوابى الإسكندرية . وأصلح درب الحج القديم . وله آثار أخرى كثيرة .

تجارة الهند :

كانت التجارة بين أوربا والهند قبل عصر الغورى تمر بميناء الإسكندرية . فكانت البضائع ترد من چنوا والبندقية إلى الإسكندرية ثم تنقل بالقوافل إلى رشيد ثم بالسفن إلى القاهرة حتى ثغر بولاق ومن هناك تنقل بالقوافل ثانية إلى السويس .

وقد فرضت على هذه البضائع ضرائب فادحة تحملها التجار حتى اكتشف فاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح فتحولت إليه . وقد حارب الغورى البرتغاليين لمنعهم من تحويل التجارة عن بلاده ولكنه لم ينجح فى ذلك .

نهاية المماليك :

وظل نجم السلطان الغورى مع ذلك ساطعاً حتى سنة ٩١٧ هـ (١٥١١) م حين هاجمت الجيوش العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول بلاد الشام فخرج اليها الغورى وظل يجالدها خمس سنوات كاملة وكاد يتغلب عليها لولا خيانة خاير بك أحد أمراء جيشه الذى كشف للعدو نقط الضعف فى الجيش المصرى فهزم الغورى وقتل فى معركة مرج دابق تحت حوافر الخيل سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦) م ولم يوقف لجثته على أثر .

وكانت مكافأة هذا الخائن بعد سقوط مصر فى أيدى العثمانيين أن عين أول والى تركى على هذه البلاد من قبل السلطان سليم الأول . وقد أقام هذا الوالى التعس مسجداً باسمه لا يزال قائماً بشارع باب الوزير للآن .

ولما قتل الغورى فى هذه المعركة الطاحنة تولى الملك بعده نائب السلطنة طومان باى ابن أخى الغورى وآخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة .

وهيأت هزيمة الجيش المصرى بمرج دابق الفرصة للسلطان سليم التركى فسرعان ما طمع فى فتح مصر والقضاء على دولة المماليك فسار إليها بجيش عرمرم وحاول طومان باى إيقاف هذا الجيش فى الصحراء بالقرب من عين شمس

ولكنه هزم وارتد إلى باب النصر و إلى داخل المدينة . فدخلت جنود السلطان سليم التركى القاهرة فى أثره وقبضوا عليه فى القلعة . واستمروا ينهبون الدور والقصور مدة ثلاثة أيام متوالية فلم يتركوا خيولاً ولا مالا ولا ملابس إلا استولوا عليها واغتصبوها من أصحابها . ثم قادوا هذا السلطان التعس إلى باب زو يلة حيث شنقوه وصلبوا جثته . ثم أمر السلطان سليم بدفنه فى قبة الغورى . و بموت طومان باى واستيلاء جنود السلطان سليم على القاهرة انتهت دولة المماليك الجراكسة .

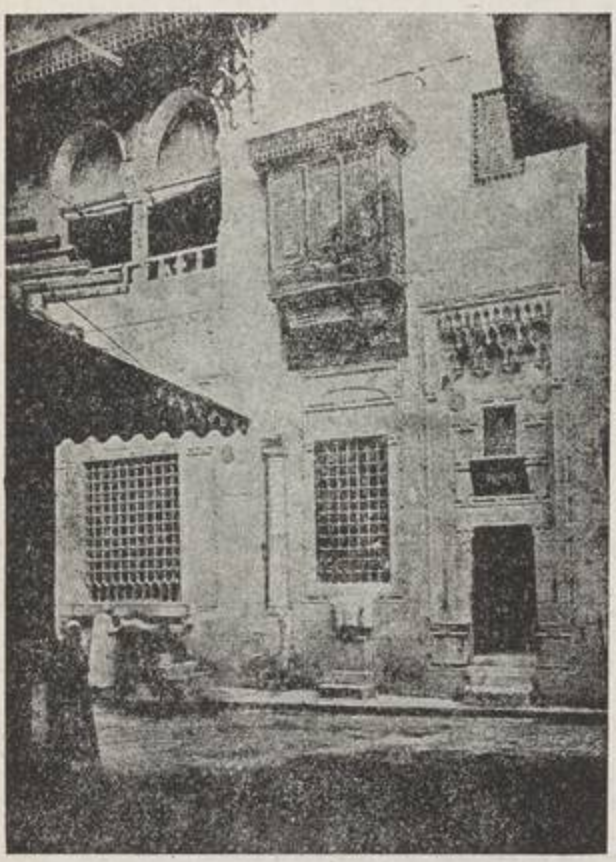

واجهة منزل جمال الدين الذهبي بحارة خشقدم .

وعلى ذلك تكون مصر قد ظلت خاضعة لحكم دولة المماليك البحرية مدة ١٣٦ سنة و ٤ شهور و٢٠ يوماً ، ولحكم دولة المماليك الجراكسة مدة ١٣٨ سنة و٣ شهور و١١ يوماً. وتكون مدة حكم المماليك جميعها ٢٧٤ سنة و٨ شهور و يوماً واحداً .

وقد ذكر المقريزى معظم ما شيده هؤلاء المماليك ومن سبقهم من حكام مصر منذ الفتح العربى من مدارس وجوامع ومساجد وزوايا ور بط وخوانق بالقاهرة ، كما ذكر أخطاط هذه العاصمة وحاراتها وخاناتها وفنادقها وأسواقها وميادينها وحماماتها وخلجانها وقناطرها و بركها وحياتها الاجتماعية فى عصرهم .

و يستفاد من كل ماذكره المقريزى وسواه من مؤرخى القاهرة فى هذا العصر المملوكى أن هذه العاصمة قد سعدت حيناً وشقت أحياناً ولكنها مع ذلك تقدمت واتسعت وكثرت عماراتها وارتقت فنونها وأتقنت نقوشها وزخارفها اتقاناً فائقاً . ولا غرابة فى ذلك فمعظم هؤلاء المماليك أجانب منهم الرومى ومنهم الجركسى ومنهم التترى ومنهم التركى ومنهم الروسى ومنهم الأرمنى ومنهم القبرصى ومنهم الإيطالى ومنهم الصقلى ، ولكل بلد من هذه البلاد فنون خاصة ، فكان من الطبعى أنه متى خلصت لهؤلاء القوم السلطة فى مصر أن يستقدموا فنانى بلادهم و يغدقوا عليهم الخيرات فيقيموا لهم هذه الصروح الخالدة وهذه المنشآت الجميلة التى تعد من أجمل وأبرع الآثار ليس فى العالم الإسلامى وحسب ولكن فى عالم الفن كله .

وهكذا فأنت ترى أنه حتى فى عصر دولة المماليك المضطرب تقدمت القاهرة تقدماً مستمراً موفقاً . ولكن لما ابتدأ العصر التركى سنة ١٥١٧ م ، وقفت هذه النهضة الفنية وعاشت القاهرة على ذكرى الماضى . أما مصر فقد فقدت بهذا الاحتلال التركى استقلالها الذى تمتعت به طوال العصور الوسطى وأصبحت منذ هذا العهد ولاية من ولايات الدولة العثمانية .

الفصل الخامس

العصر التركى

من سنة (٩٢٣ — ١٢١٣) هـ (١٥١٧ — ١٧٩٨) م

قضى الأمر واستولى السلطان سليم الأول التركى على مصر فى ١٥ أبريل سنة ١٥١٧ م ، فتحولت القاهرة من عاصمة أمبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من الولايات التابعه للقسطنطينية . وكان من المقدر لهذه العاصمة أن تظل بعد هذا التاريخ ثلاثة قرون تحت حكم الولاة العثمانيين المزعزع تتقاذفها الأهواء وتلعب بمقاديرها الأعاصير السياسية حتى أتاح لها الله محمد على باشا الكبير رأس العائلة المالكة الكريمة الذى أنقذها من هذا البلاء المقيم وجدد شبابها .

أقام السلطان سليم الأول التركى بالقاهرة ثمانية شهور كامله بعد فتح مصر ، وضع فى أثنائها نظاماً خاصاً لحكم البلاد وذلك لكى لا يطمع أحد حكامها فى الإستقلال بها منتهزا فرصة بعدها عن القسطنطينية ، ولكى يضمن بقاءها دائماً تابعة للحكم التركى ، فهداه تفكيره إلى توزيع السلطة بين ثلاث هيئات متنافسة وهى : (أولا) الوالى الذى ينوب عن السلطان فى حكم مصر و (ثانياً) الديوان المؤلف من قواد جيش الاحتلال التركى و (ثالثاً) المماليك حكام مصر قبل الاحتلال التركى .

أما الوالى فكان يلقب (بالباشا) ، ويقيم بالقلعة ، وكان من أهم واجباته تنفيذ أوامر السطان التركى وتبليغها لرجال الحكومة والشعب ، وكانت مدة حكمه قصيرة من سنة إلى ثلاث سنوات ، وذلك خشية أن يطمع فى الاستقلال بمصر .

وعند قدوم الوالى من الأستانة ونزوله فى ثغر بولاق ، كانت تضرب المدافع فى القاهرة ثم يذهب إلى القلعة ممتطياً جواداً فى موكب حافل من الفرسان والمشاة وأمراء المماليك . فيمر فى طريقه من قرية بولاق إلى القاهرة بين أراضى زراعية يمتد فى وسطها جسر أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) حتى يصل إلى بركة الأزبكية ومن هناك ينحدر جنوباً إلى القلعه .

وقد امتاز بعض الولاة العثمانيين بحب العدل والميل إلى الإصلاح ولكن أغلبهم كانوا مستبدين ، لا همّ لهم إلا جمع الضرائب و إرسالها إلى استامبول ثم جمع المال لأنفسهم . وكثيراً ما قام النزاع بين الولاة وديوان جيش الاحتلال التركى أو بينهم و بين المماليك . وعند ذلك كانت تصبح القاهرة مسرحاً للفتن والحروب والمعارك الدموية كما كان

الحال فى عهد المماليك . أما جيش الاحتلال التركى فكان مؤلفاً من الحامية العثمانية التى تركها السلطان سليم فى مصر وكان عددها ١٢ ألف جندى . وكانت وظيفة هذا الجيش الأولى هى مساعدة الوالى فى تنفيذ أوامر السلطان والدفاع عن مصر . وكان هذا الجيش مؤلفاً فى أول الأمر من ست فرق ممتازه اشتهرت ببراعتها فى الحروب وأهمها فرقة الانكشارية.

أما قواد هذه الفرق فكان يتألف منهم مجلس يسمى (الديوان) يجتمع فى القلعة ومهمته مراقبة الوالى ومساعدته . وكان لجيش الاحتلال التركى نفوذ كبير فى البلاد فكثيراً ما كان يثور ضد الوالى ويعزله أو يقتله حتى أصبح كثير من الولاة ألعوبة فى يده . ولكن مع الزمن وقلة الحروب فقد هذا الجيش كثيراً من صفاته الحربية وركن رجاله إلى عيشة الكسل والخمول .

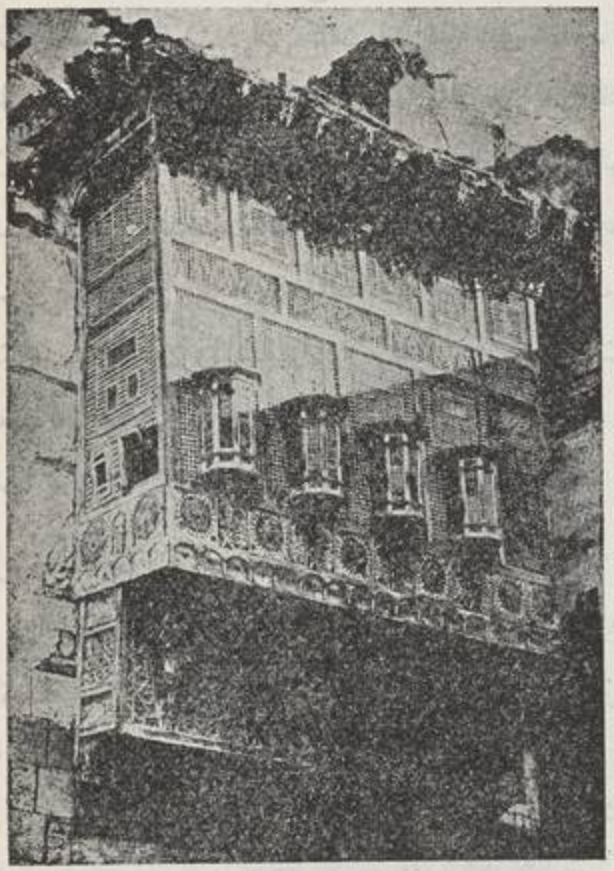

القاهرة — العمارة الاسلامية — مشربية

أما المماليك ويلقبون (بالبكوات) ، فهم بقايا المماليك الشراكسة الذين بقوا بمصر بعد موت السلطان طومان باى ، فعين منهم السلطان سليم التركى حكاماً للمديريات — وكان عدد هذه المديريات إذ ذاك ٢٤ مديرية — وأسند إليهم الوظائف الكبرى فى الحكومة .

ومع أن عدد المماليك الذين بقوا بمصر فى العهد التركى كان لا يزيد على عشرة آلاف إلا أنهم كانوا يؤلفون الطبقة الأرستوقراطية فى القاهرة ويعيشون عيشة البذخ والترف ويسكنون القصور الفخمة المطلة على بركة الأزبكية وبركة الفيل ويلبسون الجوخ والحرير ويقتنون الجوارى ويشترون الغلمان ويدربونهم على ركوب الخيل والحرب والصيد ، ويعلمونهم مبادىء الدين الإسلامى ، وإذا كبر المملوك حرره سيده ، ورقاه إلى رتبة (بك) فى احتفال عظيم ، وجعله من أتباعه وأنصاره . وقد عاش المماليك شيعاً وأحزاباً ، وكثرت بينهم المنازعات والحروب التى أدت فى آخر الأمر إلى سقوط البلاد فى أيدى الفرنسيس أيام حملة بونابرت .

وقد عظم نفوذ المماليك بالتدريج لسببين : الأول هو ضعف الدولة العثمانية المستمر ابتداء من نهاية القرن السابع ، والثانى هو كثرة تغيير الولاة ودوام نزاعهم مع الديوان حتى صار رئيس المماليك المسمى (شيخ البلد) الحاكم الحقيقى

لمصر، يعزل الوالى إذا شاء، وذلك بأن يرسل اليه رسولاً يسميه العامة (أبو طبق) لأنه كان يلبس فوق رأسة قبعة لها حافة واسعة تشبه الطبق ويدخل على الوالى فى القلعة، فيحييه، ويثنى طرف السجادة الجالس عليها، ويتلو عليه أمر العزل بقوله: «انزل ياباشا»، وبذلك يصبح الوالى معزولا ويغادر البلاد.

ولم يكتف المماليك بجمع السلطة فى أيديهم، بل عملوا على التخلص نهائياً من السيادة العثمانية فى عهد زعيمهم على بك الكبير كما سيأتى ذكره بعد.

هذا ما كان فى نهاية هذا الحكم العثمانى الفاشل. ولكننا نترك النهاية مؤقتا ونعود إلي السلطان سليم فنقول:

بعد أن أتم السلطان سليم وضع هذا النظام الذى ظنه كفيلا بحفظ السيادة التركية على البلاد نقل إلى القسطنطينية معظم الأسلحة والكتب التى كانت فى القلعة وفى مساجد القاهرة وفى بيوت أمراء المماليك، كما أنه أخذ معه الخليفة العباسى الى استامبول وجعله ينزل له عن لقب الخلافة، فصارت الخلافة منذ ذلك الوقت عثمانية لا عباسية، ثم جمع نحو ١٨٠٠ صانع ماهر من القاهرة وأرسلهم إلى القسطنطينية بحجة بناء جامع هناك مماثل لجامع السلطان الغورى، فحرمت القاهرة من جهود هؤلاء الفنانين، وأخذت فنونها فى التأخر ولم يبق بها إلا صناعات يدوية بسيطة مثل صناعة نسيج الكتان واستخراج الزيوت وعمل السكر ودبغ الجلود وصناعة الأوانى الزجاجية بينما تقدمت الفنون فى استامبول وترعرعت، ولكنها عادت ثانية إلى مصر فى عهد محمد على باشا الكبير رأس العائلة الملكية الكريمة الذى استدعى كثيراً من أولاد هؤلاء الفنانين لبناء جامعه بالقلعة وقصوره بالقاهرة. وهكذا يعود الفن دائماً إلى مهده ولو اغترب عنه قروناً طويلة.

وصف القاهرة فى صدر العصر التركى

واليك الآن صورة واضحة لما كانت عليه هذه المدينة عند الفتح التركى نقلاً عن كتاب «أحوال الأراضى المقدسة» تأليف الحاج الفرنسى «جريفان أفاجار» الذى زار القاهرة سنة ١٥٣٤ م أى بعد الفتح التركى بمدة ١٧ سنة فقط وقد وصفها كما يلى:

تقدر مساحة القاهرة الكبيرة بثلاثة أضعاف مساحة مدينة باريس، أما شوارعها فلا يجب أن تتصورها متسعة كشوارع باريس بل هى ضيقة وقصيرة وأغلبها ملتوية وغير منتظمة. ومن هذه الشوارع ما هو مسقوف فى معظم أجزائه اتقاء لشدة الحرارة صيفاً. وبدون هذا الاحتياط لا يمكن المرور بالمدينة ولا استئناف الحركة التجارية فيها.

ومن الأوامر المنفذة بدقة فيها إضاءة المصابيح ليلاً أمام كل باب من أبواب منازلها، وذلك لكى يصبح سواد ليل هذه المدينة مماثلاً لضوء نهارها. وشعب القاهرة خليط من جميع الأجناس والأمم والديانات فى العالم. فهنا تجد التركى بجوار المغربى، والعربى بجوار العجمى، واليهودى بجوار المسيحى، واللاتينى بجوار الرومى، والأرمنى بجوار الهندى، والقبطى بجوار النسطورى. ولكل من هؤلاء الحرية فى اتباع عاداته الخاصة والخضوع لقوانين

بلاده . لأن القاهرة مدينة الحرية . فالتركى يلبس نعالا كنعال البحارة ، والمغربى يلبس مراكيب زاهية الألوان مدببة الأطراف على الطراز القديم . أما ملابس الشعب فلا تختلف كثيراً عما كانت عليه فى عهد السيد المسيح عليه السلام » .

ثم إليك أيضاً وصفاً آخر للقاهرة عن ليون الإفريقى قبل هذا التاريخ بعدة سنوات . قال :

« تزخر القاهرة بالتجار وأصحاب الحرف . ولكل طائفة من هؤلاء حى خاص بها . فهنا حى الخراطين وعمال النجارة الدقيقة الذين يصنعون الأثاث والنوافذ والأبواب والمشربيات من الأخشاب المخروطة . وهنا حى النساجين الذين ينسجون الأجواخ المطرزة بخيوط الذهب الواردة من إيطاليا . وهنا حى الحائكين الذين يحيكون الأقمشة الصوفية الواردة من بلاد الفلاندر . وهنا حى عمال الصياغة . وهنا حى تجار الجواهر اليهود الذين يعيدون بيع الحلى الجميلة واللآلىء الثمينة . وهنا حى تجار السجاد العجمى الذين يقيمون بخان الخليلى المؤلف من ثلاثة أدوار . ولكن بالرغم من هذا التوزيع الجميل فإنك تجد فى بعض الأحياء الراقية دكاكين تجار البقالة حيث تباع الجبن المشبعة بالزيت مجاورة لدكاكين بائعى الشربات الذين يعرضون بضاعتهم الملونة فى أوان بلورية جميلة ، ومجاورة لبائعى الحلوى المصنوعة من عسل النحل وسكر القصب » .

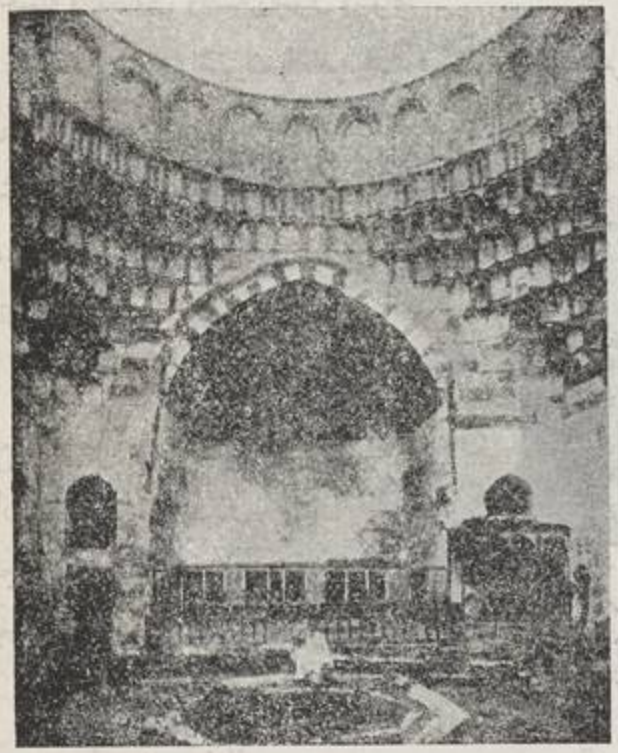

حمامات القاهرة — منظر داخلى

تجارة القاهرة فى صدر العصر التركى :

وكانت القاهرة تزخر بالأسواق والوكالات والخانات والفنادق والحمامات التى استلزمتها حالة الرواج التجارى فى عصر المماليك حتى القرن السادس عشر الميلادى تاريخ اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح . وحتى بعد اكتشاف هذا الطريق لم تهجر بضائع البندقية وجنوا ومرسيليا أسواق القاهرة كما بقى جزء كبير من تجارة الهند والشرق بها . وكان من عادة التجار أن يتجمعوا أمام حوانيتهم ويجلسوا فوق مقاعد خشبية عربية الطراز ، يشربون النرجيلة أو الشيشة والقهوة . ويعقدون صفقاتهم التجارية مشافهة .

وكانت القوافل التى تنقل بضائع الهند وتجارة الشرق عبر الصحراء بين السويس والقاهرة لا تنقطع ليلاً ولا

نهاراً وكانت تفرغ حمولتها إما فى أسواق القاهرة ووكالاتها و إما تسير بها حتى ثغر بولاق وهناك تشحن هذه البضائع فى المراكب التى تسير فى النيل حتى مدينة رشيد لشحنها إلى أوربا . وكانت تجارة أوربا إلى الشرق تتبع نفس هذا الطريق .

أما أهم بضائع الشرق بأسواق القاهرة فى هذا العهد فكانت التوابل ومواد الصباغة والصمغ العربى والطيوب وأدوات الزينة والجواهر الكريمة والمنسوجات الدقيقة الصنع وغيرها من الكماليات التى كان الأغنياء يتهافتون عليها . كما كانت أهم بضائع أوربا بها هى الأجواخ والقطيفة والأخشاب والرخام والأسلحة . أضف إلى ذلك تجارة الرقيق وما كان لها من سوق رائجة بالقاهرة .

وطبيعى أن تستلزم مثل هذه الحركة التجارية الضخمة وجود كثير من المخازن والوكالات والفنادق والأسواق والخانات والحمامات لتخزين البضائع ولمبيت التجار وراحتهم كما قلنا سابقاً . وقد بقى كثير من هذه المحال فى القاهرة حتى قال المستر لين بول الذى وصف القاهرة سنة ١٨٣٥ أن بها ٢٠٠ وكالة للتجارة . ولم يزل باقياً إلى أيامنا هذه من آثارها خان الخليلى وخان الحمزاوى وخان جعفر ووكالة قايتباى ووكالة قوصون والنحاسين وسوق الغورية والسكرية والخيمية والفحامين وقصبة رضوان وسواها .

أما الخانات التى اشتهرت بالقاهرة قديماً فكانت : خانا مسرور لتجارة الرقيق وهما اثنان ذكرهما المقريزى وقال إن أكبرهما كان على يسار من يسلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر . وكان هناك أيضاً خان الخليلى المشهور لليوم . ثم خان السبيل وكان خارج باب الفتوح لأبناء السبيل والمسافرين ، وخان منكورش بالقرب من الأزهر .

تاجر الرقيق يعرض جارية رومية على أحد أغنياء مصر
من ريشة المصور جيرو وهى معروضة بمتحف اللوفر .

أما الفنادق فكان أشهرها فندق بلال وكان يقع بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية ثم فندق دار التفاح تجاه باب زويلة وكان فندقاً ومخزناً لتجار الفواكه . ثم فندق ابن قريش ووكالة باب الجوانية وكانت كلها عامرة بالتجار والبضائع .

الامتيازات الأجنبية :

فى سنة ١٥٣٥ م أصيبت القاهرة لا بل الشرق كله بسهم مسموم قضى بالتدريج على ما كانت تجنيه العاصمة من مرور تجارة الهند بها وذلك عند ما وافق السلطان التركى سليمان الثانى على منح دولة فرنسا فرمان الامتيازات

الأجنبية لحماية التجار الفرنج والمتاجر الفرنسية . وذلك لأن هؤلاء التجار لم يقنعوا فقط بحماية تجارتهم بل راحوا يفرضون إرادتهم على حكومة مصر ويتحكمون فى مرافقها العامة ، وسرعان ما طلبت انجلترا ثم باقى البلاد الأوربية تطبيق هذا النظام على تجارهم ومتاجرهم حتى أصبحت هذه الامتيازات مع الزمن عقبة فى سبيل تقدم مصر الحديثة وبقيت كذلك إلى أن ألغيت فى مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٧ .

وصف القاهرة فى نهاية العصر التركى :

وصف الجبرتى القاهرة فى نهاية العصر التركى وصفاً رائعاً كما وصفها ابن أبى السرور وقد ذكر كل من هـذين المؤرخين تفاصيل كثيرة ومسلية عن حياة القاهرة التركية ومتاجرها ولكنك تتوه فى ثنايا هذه الأوصاف من كثرة ما ذكراه من حوادث تافهة .

أما أوصاف الرحالة الأوربيين الذين كتبوا عن القاهرة فى هذا العصر فمتناقضة تناقضاً مدهشاً لا يمكنك معه تقدير مساحة القاهرة بأكثر من ألفى فدان ، كما تفهم من أوصافهم أن كثيراً من أحياء القاهرة دب فيها الخراب وتحول جزء كبير منها إلى أنقاض وخرابات وقاذورات ، وأن شيطان الفن والوحى والجمال كان قد غادر القاهرة نهائياً منذ أن وطأتها أقدام سليم الأول .

ولكنك من جهة أخرى تعرف من أوصاف هؤلاء الرحالة حالة أحياء القاهرة التجارية والصناعية فى العصر التركى وكذا حالة أحيائها السكنية التى كانت تزدان بالقصور الفخمة والعمارات الشامخة والجوامع البديعة والمدارس الجميلة والوكالات المتسعة ، والخوانق العامرة والقلاع الحصينة ، وما كان يحيط بهذه المدينة من ذكريات قدسية ، ويبدو فى أفقها من آثار قديمة رائعة .

وتلمس فى أوصاف هؤلاء الرحالة كيف كانوا ينظرون إلى القاهرة نظرة إجلال وإكبار ويعتبرونها مهد العلوم والفنون ومنبع الهندسة وتخطيط البلدان والعمارة ، وموطن الشرائع والنظامات السياسية والكهنوتية ، وبلاد الآثار والهياكل والأهرام وأبو الهول .

كما تشعر أيضا بالألم وخيبة الأمل الذى كان يخالج هؤلاء الرحالة حينما بدت أمامهم هذه الحقيقة المرة وهى أن السلطان سليم والولاة الأتراك وجنود جيشهم القساة الغلاظ القلوب لم يتذوقوا لجمال القاهرة طعما فراحوا ينهبون ويخربون ويرتكبون الفحشاء علناً وأهملوا المدينة ونظامها وجمالها حتى تخربت وتقهقرت كثيراً فى عصرهم . صحيح أنه تخلف عن العصر التركى بعض الآثار الجميلة بالقاهرة ولكنها قليلة لا تتناسب مع طول مدة هذا الحكم الذى بلغ ٢٨١ سنة ميلادية . ثم إن روح هذه الآثار بيزنطية أكثر منها إسلامية وفنها يختلف عن الفن المملوكى الدقيق الحساس الذى انتفع بالفن المصرى واقتبس منه اقتباسات بديعة بدون تبذل أو انحطاط . ومع ذلك فقد ترك لنا العصر التركى تحفاً فريدة فى نوعها فيها روح مختلفة عن الروح المصرية والروح العربية ولكنها على كل حال تمثل عصراً من عصور الفنون التى ازدهرت فى القاهرة وبدا جمالها على أتمه فى أيام محمد على باشا الكبير رأس العائلة المالكة الكريمة .

الولاة الأتراك :

أما الولاة الذين حكموا بالقاهرة من قبل سلاطين الترك فى هذه الفترة الطويلة من الزمن فهم :

١	الأمير خير الدين بك الجركسى (خاير بك خائن معركة مرج دابق)	سنة	٩٢٣هـ (١٥١٧)م
٢	الأمير مصطفى باشا الأول	«	٩٢٨هـ (١٥٢٢)م
٣	« أحمد باشا	«	٩٢٩هـ (١٥٢٣)م
٤	« قاسم باشا الجميل	«	٩٣٠هـ (١٥٢٤)م
٥	« ابرهيم باشا	«	٩٣١هـ (١٥٢٥)م
٦	« سليمان باشا الخادم الخصى	«	٩٣١هـ (١٥٢٥)م
٧	« خسرو باشا (بالنيابة)	«	٩٤١هـ (١٥٣٥)م
٨	« داود باشا	«	٩٤٥هـ (١٥٣٨)م
٩	« على باشا	«	٩٥٦هـ (١٥٤٩)م
١٠	« محمد باشا (وقادن زاده)	«	٩٦١هـ (١٥٥٤)م
١١	« مصطفى باشا النشار	«	٩٦٣هـ (١٥٥٦)م
١٢	« اسكندر باشا	«	٩٦٣هـ (١٥٥٦)م
١٣	« على باشا الخادم	«	٩٦٨هـ (١٥٦١)م
١٤	« مصطفى باشا الثانى	«	٩٦٩هـ (١٥٦٢)م
١٥	« على باشا الصوفى	«	٩٧١هـ (١٥٦٣)م
١٦	« محمود باشا	«	٩٧٣هـ (١٥٦٥)م
١٧	« سنان باشا	«	٩٧٥هـ (١٥٦٧)م
١٨	« جركس باشا (بالنيابة)	«	٩٧٦هـ (١٥٦٨)م
١٩	« حسين باشا	«	٩٨٠هـ (١٥٧٢)م
٢٠	« مسيح باشا الخازندار	«	٩٨٢هـ (١٥٧٤)م
٢١	« حسن باشا الخادم	«	٩٨٨هـ (١٥٨٠)م
٢٢	« ابراهيم باشا	«	٩٩١هـ (١٥٨٣)م
٢٣	« سنان باشا الثانى	«	٩٩٢هـ (١٥٨٤)م
٢٤	« عويس باشا	«	٩٩٥هـ (١٥٨٧)م
٢٥	الأمير احمد باشا حافظ	سنة	٩٩٩هـ (١٥٩١)م
٢٦	« محمد قورط باشا	«	١٠٠٣هـ (١٥٩٤)م
٢٧	« سيد محمد باشا الشريف	«	١٠٠٤هـ (١٥٩٥)م
٢٨	« خضر باشا	«	١٠٠٦هـ (١٥٩٧)م
٢٩	« على باشا ياوز (المعروف بالنمر)	«	١٠٠٩هـ (١٦٠١)م
٣٠	« ابراهيم باشا	«	١٠١٢هـ (١٦٠٣)م
٣١	« محمد باشا الكورجى	«	١٠١٣هـ (١٦٠٤)م
٣٢	« حسن باشا الدفتردار	«	١٠١٤هـ (١٦٠٥)م
٣٣	« محمد باشا معمر كولكيران	«	١٠١٦هـ (١٦٠٧)م
٣٤	« حاجى باشا	«	١٠٢٠هـ (١٦١١)م
٣٥	« محمد باشا الصوفى	«	١٠٢١هـ (١٦١٢)م
٣٦	« احمد باشا الدفتردار	«	١٠٢٤هـ (١٦١٥)م
٣٧	« مصطفى باشا المنكلى	«	١٠٢٦هـ (١٦١٧)م
٣٨	« جعفر باشا	«	١٠٢٧هـ (١٦١٨)م
٣٩	« مصطفى باشا الحميدى	«	١٠٢٨هـ (١٦١٩)م
٤٠	« حسين باشا ارناؤوط	«	١٠٢٩هـ (١٦٢٠)م
٤١	« محمد باشا البستنجى	«	١٠٣١هـ (١٦٢٢)م
٤٢	« حسن الدفتردار	«	١٠٣١هـ (١٦٢٢)م
٤٣	« ابرهيم باشا السلحدار	«	١٠٣١هـ (١٦٢٢)م
٤٤	« مصطفى باشا قره	«	١٠٣٢هـ (١٦٢٣)م
٤٥	« على باشا الششنجى	«	١٠٣٢هـ (١٦٢٣)م
٤٦	« بيرم باشا	«	١٠٣٦هـ (١٦٢٦)م
٤٧	« محمد باشا عزت	«	١٠٣٩هـ (١٦٢٩)م
٤٨	« موسى باشا السلحدار	«	١٠٤٠هـ (١٦٣٠)م
٤٩	« خليل باشا البوستانجى	«	١٠٤١هـ (١٦٣١)م

٥٠	الأمير احمد باشا بكيرجى	سنة ١٠٤٢هـ	(١٦٣٢)م
٥١	« حسين باشا الدالى	« ١٠٤٥هـ	(١٦٣٥)م
٥٢	« محمد باشا زاده	« ١٠٤٧هـ	(١٦٣٧)م
٥٣	« مصطفى باشا البوستانجى	« ١٠٤٩هـ	(١٦٤٠)م
٥٤	« مقصود باشا	« ١٠٥٢هـ	(١٦٤٢)م
٥٥	« شعبان بك الدفتردار	« ١٠٥٤هـ	(١٦٤٤)م
٥٦	« أيوب باشا	« ١٠٥٥هـ	(١٦٤٥)م
٥٧	« محمد باشا حيدر	« ١٠٥٧هـ	(١٦٤٧)م
٥٨	« احمد باشا	« ١٠٥٨هـ	(١٦٤٨)م
٥٩	« شريف محمد باشا	« ١٠٥٩هـ	(١٦٤٩)م
٦٠	« عبدالرحمن باشا الطويشى	« ١٠٦١هـ	(١٦٥١)م
٦١	« محمد باشا السلحدار	« ١٠٦٣هـ	(١٦٥٢)م
٦٢	« مصطفى باشا	« ١٠٦٦هـ	(١٦٥٦)م
٦٣	« محمد باشا	« ١٠٦٧هـ	(١٦٥٧)م
٦٤	« مصطفى باشا الكورجى	« ١٠٦٧هـ	(١٦٥٧)م
٦٥	« عمر باشا السلحدار	« ١٠٧٤هـ	(١٦٦٣)م
٦٦	« ابرهيم باشا الصوفى	« ١٠٧٧هـ	(١٦٦٦)م
٦٧	« على باشا قره قاش	« ١٠٧٨هـ	(١٦٦٨)م
٦٨	« ابرهيم كتخدا باشا	« ١٠٨٠هـ	(١٦٦٩)م
٦٩	« حسين باشا	« ١٠٨٤هـ	(١٦٧٣)م
٧٠	« احمد باشا الدفتردار	« ١٠٨٦هـ	(١٦٧٥)م
٧١	« عبد الرحمن باشا	« ١٠٨٧هـ	(١٦٧٦)م
٧٢	« عثمان باشا	« ١٠٩١هـ	(١٦٨٠)م
٧٣	« حمزه باشا	« ١٠٩٤هـ	(١٦٨٣)م
٧٤	« حسن باشا كتخدا	« ١٠٩٨هـ	(١٦٨٧)م
٧٥	« الدامادحسن باشا (أولا)	« ١٠٩٩هـ	(١٦٨٨)م
٧٦	« ابرهيم باشا الصوفى	« ١١٠٠هـ	(١٦٨٩)م
٧٧	« احمد باشا الكتخدا	« ١١٠١هـ	(١٦٨٩)م
٧٨	الأمير على باشا قليج	سنة ١١٠٢هـ	(١٦٩٠)م
٧٩	« اسماعيل باشا	« ١١٠٦هـ	(١٦٩٤)م
٨٠	« حسين باشا البشناق	« ١١٠٩هـ	(١٦٩٧)م
٨١	« قره محمد باشا	« ١١١١هـ	(١٦٩٩)م
٨٢	« محمد رامى باشا	« ١١١٦هـ	(١٧٠٤)م
٨٣	« مسلم على باشا	« ١١١٨هـ	(١٧٠٦)م
٨٤	« الدامادحسن باشا (ثانياً)	« ١١١٩هـ	(١٧٠٧)م
٨٥	« ابرهيم باشا القبودان	« ١١٢١هـ	(١٧٠٩)م
٨٦	« خليل باشا الكوسج	« ١١٢٢هـ	(١٧١٠)م
٨٧	« شريف والى باشا	« ١١٢٣هـ	(١٧١١)م
٨٨	« عابدى باشا	« ١١٢٦هـ	(١٧١٤)م
٨٩	« على باشا الأزميرلى	« ١١٢٩هـ	(١٧١٧)م
٩٠	« رجب باشا	« ١١٣١هـ	(١٧١٩)م
٩١	« محمد باشا النيشانجى (أولا)	« ١١٣٣هـ	(١٧٢١)م
٩٢	« على باشا المورلى	« ١١٣٨هـ	(١٧٢٥)م
٩٣	« محمد باشا النيشانجي (ثانيا)	« ١١٣٨هـ	(١٧٢٦)م
٩٤	« بكر باشا (أولا)	« ١١٤٠هـ	(١٧٢٧)م
٩٥	« عبد الله باشا	« ١١٤١هـ	(١٧٢٨)م
٩٦	« محمد باشا السلحدار	« ١١٤٥هـ	(١٧٣٣)م
٩٧	« عثمان باشا الحلبى	« ١١٤٦هـ	(١٨٣٤)م
٩٨	« بكر باشا (ثانياً)	« ١١٤٨هـ	(١٧٣٥)م
٩٩	« مصطفى باشا	« ١١٤٩هـ	(١٧٣٦)م
١٠٠	« سليمان باشا العظم	« ١١٥٢هـ	(١٧٣٩)م
١٠١	« على باشا الحكيم (أولا)	« ١١٥٣هـ	(١٧٤٠)م
١٠٢	« يحيي باشا	« ١١٥٤هـ	(١٧٤١)م
١٠٣	« محمد باشا اليدكشى	« ١١٥٦هـ	(١٧٤٣)م
١٠٤	« محمد راغب باشا	« ١١٥٨هـ	(١٧٤٥)م
١٠٥	« احمد باشا كور	« ١١٦١هـ	(١٧٤٨)م

١٠٦ الأمير الشريف عبدالله باشا سنة ١١٦٣هـ (١٧٥٠)م
١٠٧ « ملك محمد امين باشا « ١١٦٦هـ (١٧٥٣)م
١٠٨ « مصطفى باشا بلطجى « ١١٦٧هـ (١٧٥٤)م
١٠٩ « على باشا الحكيم (ثانياً) « ١١٦٩هـ (١٧٥٥)م
١١٠ « مصطفى باشا الصدر « ١١٧١هـ (١٧٥٨)م
١١١ « احمد كامل باشا « ١١٧٤هـ (١٧٦٠)م
١١٢ « بكير باشا « ١١٧٥هـ (١٧٦١)م
١١٣ « حسن باشا « ١١٧٦هـ (١٧٦٢)م
١١٤ « حمزه باشا « ١١٧٩هـ (١٧٦٥)م
١١٥ « محمد راقم باشا « ١١٨١هـ (١٧٦٧)م
١١٦ « محمد باشا الأورفلى « ١١٨٢هـ (١٧٦٨)م

هنا استقلت مصر فى عهد

١١٧ على بك الكبير « ١١٨٣هـ (١٧٦٩)م

ثم أرسل الترك

١١٨ « قره خليل أغا باشا سنة ١١٨٧هـ (١٧٧٣)م
١١٩ « مصطفى باشا النابلسى « ١١٨٨هـ (١٧٧٤)م
١٢٠ « ابرهيم باشا عرب كيرلى « ١١٨٩هـ (١٧٧٥)م
١٢١ « محمد باشا عزت « ١١٩٠هـ (١٧٧٦)م
١٢٢ الأمير اسماعيل باشا سنة ١١٩٣هـ (١٧٧٩)م
١٢٣ « محمد باشا مالك (يكن) « ١١٩٥هـ (١٧٨١)م
١٢٤ « الشريف على باشا القصاب « ١١٩٦هـ (١٧٨٢)م
١٢٥ « محمد باشا السلحدار « ١١٩٧هـ (١٧٨٣)م
١٢٦ « مراد بك « ١١٩٨هـ (١٧٨٣)م
١٢٧ « محمد باشا يكن « ١٢٠٠هـ (١٧٨٦)م
١٢٨ « حسن باشا الجزائرى « ١٢٠٠هـ (١٧٨٦)م
١٢٩ عابدى باشا « ١٢٠١هـ (١٧٨٧)م
١٣٠ « اسماعيل باشا التونسى « ١٢٠٣هـ (١٧٨٨)م
١٣١ « محمد باشا عزت « ١٢٠٥هـ (١٧٩٠)م
١٣٢ « صالح باشا القيصولى « ١٢٠٩هـ (١٧٩٤)م
١٣٣ « أبو بكر باشا الطرابلسى « ١٢١١هـ (١٧٩٦)م

وهنا احتل بونابرت مصر وظل الفرنسيون بها من سنة ١٧٩٩ إلى سنة ١٨٠١ . ثم أرسل الترك :

١٣٤ الأمير محمد خسرو باشا سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١)م
١٣٥ « على باشا الجزائرلى « ١٢١٨هـ (١٨٠٣)م
١٣٦ « خورشيد باشا « ١٢١٨هـ (١٨٠٣)م

المساجد التى حدثت فى العصر التركى :

وقد قام بعض هؤلاء الولاة بإنشاء وتجديد كثير من مساجد القاهرة مثل مسجد فاطمة الشقراء زوجة قايتباى و يعرف أيضاً بجامع المرأة بشارع تحت الربع ، ومسجد يوسف الحين بميدان باب الخلق وهو تحفة فنية بديعة . ومسجد الشيخ على البيومى بشارع الحسينية ، ومسجد الإمام عبد الوهاب الشعرانى وهو يطل على شارع الخليج المصرى من جهته الغربية وعلى شارع الشعرانى البرانى من جهته الشرقية و يقع بالقرب من ميدان باب الشعرية ، ومسجد آق سنقر الفرقانى جدده الأمير محمد كتخدا مستحفظان سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩) م و يقع بدرب سعادة خلف محافظة مصر .

الأسبلة :

وقد انتشر بناء الأسبلة المربعة التى تعلوها الكتاتيب فى العصر التركى انتشاراً هائلا ، حتى أصبح علماً على هذا العصر .

أهم الآثار التى شيدت بالقاهرة فى العصر التركى

ولكن لم يترك كل هؤلاء الولاة على وفرة عددهم إلا آثاراً قليلة كما قلنا سابقا أهمها مبين فى الجدول التالى :

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
جامع سليمان باشا	٩٣٥	١٥٢٩	داخل القلعة .
سبيل وكتاب خسرو باشا	٩٤٢	١٥٣٥	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) .
تكية السليمانية	٩٥٠	١٥٤٣	شارع السروجية .
مسجد المحمودية	٩٧٥	١٥٦٧	ميدان محمد على باشا مقابل القلعة .
جامع سنان باشا	٩٧٩	١٥٧١	ميدان السنانية ببولاق .
مسجد الملكة صفية	١٠١٩	١٦١٠	ميدان الدوادية .
بيت الجريدلية (متحف اندرسون باشا)	١٠٤١	١٦٣٢	ميدان الجامع الطولونى .
بيت جمال الدين الذهبى	١٠٤٧	١٦٣٧	بحارة خشقدم بقسم الدرب الاحمر .
بيت السحيمى	١٠٥٨ — ١٢١١	١٦٤٨ - ١٧٩٦	الدرب الاصفر بالجمالية .
بيت وسبيل وكتاب أوده باشى	١٠٨٤	١٦٧٣	شارع الجمالية .
سبيل وكتاب بشير أغادار السعادة	١١٣١	١٧١٩	شارع درب الجماميز .
سبيل وكتاب عبدالرحمن كتخدا	١١٥٧	١٧٤٤	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا).
تكية وسبيل السلطان محمود	١١٦٤	١٧٥١	شارع الحبانية .
جامع محمد أبو الذهب	١١٨٧	١٧٧٣	شارع الأزهر مقابل الجامع الأزهر .
سراى المسافرخانة (حيث ولد الخديوى اسماعيل)	١١٩٣ - ١٢٠٣	١٧٧٩ - ١٧٨٩	شارع درب المسمط بالجمالية .
بيت ابراهيم كتخدا السنارى	١٢٠٩	١٧٩٤	حارة مونج بالسيدة زينب .

على بك الكبير :

كانت النتيجة الحتمية لتقسيم السلطة فى مصر بين ثلاث هيئات متنازعة هى ازدياد قوة المماليك حتى أصبح رئيسهم « شيخ البلد » يتمتع بسلطة واسعة . وتمكن أحدهم وهو على بك الكبير من إعلان استقلال مصر عن الدولة العثمانية سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) بعد أن خلع الوالى التركى محمد باشا أورفلى أثناء اشتغال تركيا بالحرب الروسية فى عهد الامبراطورة كاترينة . وأمر أن يخطب باسمه فى المساجد . وأن تضرب النقود باسمه . ولكى يقوى

مركزه تحالف مع « الشيخ ضاهر » والى عكا بالشام ، وأخذ يصلح البلاد وينشر الأمن فيها ويعمل على نشر التجارة فى مصر والخارج . وبعد أن تم لعلى بك الاستقلال بمصر وإصلاح أحوالها ، عزم على توسيع أملاكه ، فأرسل حملة استولت على اليمن وجدة ومكة ونشر نفوذه على شبه جزيرة العرب كلها . ثم أرسل حملة أخرى إلى سوريا بقيادة أحد مماليكه وزوج ابنته محمد بك أبو الذهب ، فانتصرت جيوشه وتقدمت حتى وصلت إلى دمشق واستولت عليها . ولكن بدلاً من أن يتم فتح الشام ، خان أبو الذهب سيده واتفق مع الأتراك ضده حسداً وغيرة منه على اتساع ملكه . وكان الترك قد وعدوه أن يكون شيخاً للبلد ، فعاد إلى مصر بالجيش واستولى على الصعيد ، واستمال أنصار على بك إليه بالمال والوعود . ولما زحف على القاهرة غادرها على بك إلى عكا ، وانضم إلى حليفه الشيخ ضاهر ، فأعدّ له جيشاً انتصر به فى الشام ، ثم هاجم مصر وقاتل أبا الذهب ، فهزمه أبو الذهب عند الصالحية وأصيب على بك أثناء القتال بجروح كثيرة سقط بعدها أسيراً فى أيدى رجال أبى الذهب فقادوه إلى القاهرة وما لبث أن مات متأثراً بجروحه سنة ١٧٧٣م . فعادت مصر ثانية إلى الحكم التركى وعين السلطان محمدا أبا الذهب شيخاً للبلد ، ووصل إلى القاهرة الوالى التركى خليل باشا ولكنه لم يكن له من الأمر شىء ، بل كان تصريف الأمور بيد أبى الذهب يساعده اثنان من زعماء المماليك هما إبراهيم بك ومراد بك . فى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥) م أى بعد عامين من ولايته مشيخة البلد عزم أبو الذهب على فتح الشام وضمها إلى طاعته فسافر إلى هناك وتم له فتحها وتولى عليها ولكنه توفى بعد ثلاثة أيام من توليته ونقلت جثته إلى مصر ودفنت بمسجده المواجه للجامع الأزهر بالقاهرة .

القاهرة — سبيل عبد الرحمن كتخدا بشارع المعزلدين الله

وبعد موته استفحل أمر ابراهيم بك ومراد بك واستبدا بمصر استبداداً أدى إلى ضعفها ، وجعلا من القاهرة مركزاً لمعاركهم الدموية الخاصة باخضاع أمراء المماليك فى الريف لسلطتهم ، فاختل الأمن وانتشرت الفوضى وكثرت المظالم فكان الحكام يأخذون الأموال بالقوة من المصريين والأجانب المقيمين بمصر وبخاصة التجار الفرنسيين الذين شكوا أمرهم إلى الحكومة الفرنسية فجاءت الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت سنة ١٧٩٨ إلى مصر واحتلتها .

وحدث فى خلال عام ١٧٧٥م أن قام چيمس بروس قنصل انجلترا فى الجزائر بسياحة فى البحر الأحمر ، فلما وصل إلى مصر ، أسرع فعقد معاهدة باسم دولته مع محمد أبى الذهب ، الغرض منها رفع الحجر عن التجارة الانجليزية بين السويس وجدة ، إلا أن تركيا ظلت تعارض هذه المعاهدة حتى الغيت . و بعد سنة ١٧٨٣ ، عقد جورج بلدوين من كبار التجار الانجليز معاهدة مع مراد بك وابراهيم بك الغرض منها الحصول على تصريح بحرية الملاحة للمراكب الانجليزية ومرور البضائع والبريد والركاب بالأراضى المصرية ، و بين السويس والقاهرة و بينها و بين الاسكندرية واعتمدت السلطات الهندية على هذا الطريق فى تصدير مراسلاتها وفى نقل البضائع والركاب ، ولكن معاهدة بلدوين فشلت بسبب التنافس بين انجلترا وفرنسا على هذا الطريق و بسبب احتلال فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨ .

القاهرة — العمارة الإسلامية نماذج من الأحواش الداخلية

الفصل السادس

عصر الحملة الفرنسيه

من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١

فى الوقت الذى كان فيه ابراهيم بك ومراد بك زعماء المماليك بالقاهرة يستبدان بشئون الأهالى ويأخذان الأموال بالقوة من المصريين والتجار الفرنسيين ، كانت فرنسا تعد فى الخفاء حملة أسندت قيادتها إلى القائد الفرنسى العظيم نابليون بونابرت ، ووجهتها إلى مصر للقضاء على تجارة انجلترا مع الهند وقطع اتصالها بالشرق ، ولكنها ادعت بأنها تريد من إرسال هـذه الحملة إلى مصر خدمة السلطان العثمانى بإرجاع نفوذه فى مصر ، والقضاء على المماليك لتعديهم على التجار الفرنسيين النازلين بالقاهرة .

ولما علم أهل القاهرة بقدوم حملة بونابرت فعلا خافوا وعزم الكثيرون على ترك المدينة ، وأعد المماليك جيشين لمقاتلة الفرنسيين . سار الجيش الأول بقيادة مراد بك على الشاطئ الغربى للنيل ووقف الجيش الثانى فى بولاق على الشاطئ الشرقى للنيل بقيادة ابراهيم بك للدفاع عن العاصمة .

وتقابل جيش مراد بك بجيش نابليون عند شبراخيت ، واستبسل فرسان المماليك فى الحرب ولكنهم لم يستطيعوا الثبات أمام مدافع نابليون فاضطروا إلى التقهقر إلى امبابة .

ولما وقفت جنود بونابرت فى امبابة فى تشكيلات مربعة منظمة لمهاجمة المماليك راعهم منظر الأهرام وبريق سروج المماليك فوق خيولهم المطهمة ولمعان سيوفهم المصقولة وكادوا يتخاذلون لولا أن وقف نابليون فى وسطهم قائلا : « أيها الجنود ، من فوق قمة هذه الأهرام ، أربعون قرناً تنظر إليكم ، وسوف تكون شاهد عدل على نصركم المبين » فتحمس الجنود وانتهت الموقعة قرب الأهرام بهزيمة المماليك وفرار مراد بك مع من بقى من جيشه إلى الصعيد .

أما ابراهيم بك فلما رأى وهو على الشاطئ الشرقى من النيل ما حل بزميله استولى عليه الخوف وأسرع بالفرار من القاهرة ومعه بعض المماليك والأعيان قاصدين بلبيس والصالحية .

و بعد فرار المماليك وجد أعيان القاهرة وعلماؤها أن المدينة خالية ممن يمكن أن يدافع عنها ، فاجتمعوا بالأزهر ، وأحضروا قنصل فرنسا الذى كان مقبوضاً عليه منذ نزل الفرنسيون بالاسكندرية وتشاوروا معه فى الأمر ، فنصحهم بإرسال وفد إلى نابليون بالجيزة يعرض عليه تسليم القاهرة ، لعجزهم عن الدفاع عنها ، فعملوا بنصيحته فأحسن نابليون مقابلة وفدهم وأمنهم على أموالهم وحياتهم وأفهمهم أنه إنما جاء لقتال المماليك ، وتوطيد نفوذ السلطان فاطمأن الناس ،

ودخل نابليون القاهرة فى ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٨ وسكن فى سراى الألفى بك بالأزبكية وفيها اعترف له العلماء والأعيان بالسلطان على مصر. وتقوم لوكندة شبرد الآن مكان سراى ألفى بك التى سكنها نابليون أثناء حملته على مصر.

و بعد دخول نابليون القاهرة ، أرسل أحد قواده (دونزيلو) لمقاتلة مراد بك ومن معه من المماليك فى الصعيد ، فانتصر دونزيلو عليهم وصار يطاردهم حتى وصل إلى أسوان . وطارد نابليون بنفسه ابراهيم بك وهزمه عند الصالحية فقر ابراهيم بك إلى الشام . و بينما كانت هذه المطاردة فى أعنف أدوارها ظهر فجأة الأسطول الإنجليزى بقيادة الأميرال نلسن فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ أمام السواحل المصرية بعد شهر واحد من وصول الحملة وبدأت بينه و بين الأسطول الفرنسى المرابط بخليج ابى قير الموقعة المعروفة « بموقعة ابى قير البحرية » التى انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى عن آخره و باضعاف قوة الحملة ، وقطع مواصلاتها مع فرنسا ومنع وصول المؤن والذخائر إليها . وكان عدد قطع هذا الأسطول العائر الحظ ٢٣ سفينة منها سفينة القيادة العليا التى كان بها ١٨٠ مدفعاً وفيها ألف جندى خلاف البحارة و فيها الأموال والسبائك الذهبية والذخائر والتحف التى أخذها الفرنسيون من المماليك بالقاهرة وسواها .

ومما يذكر بهذه المناسبة أنه فى السنين الأخيرة قامت بعض محاولات لاستخراج هذه الكنوز من قاع البحر إلا أن الحرب العالمية الثانية حالت دون الاستمرار فيها . أما نابليون فلما علم بهذه الكارثة ، أيقن لساعته أنه أصبح محصوراً هو وجنوده بمصر ، فبدأ فى إنشاء المصانع الكثيرة بالقاهرة لاعداد مايلزم لجيشه من ذخيرة وملابس . ويعتبر هذا العمل مقدمة لقيام الصناعات الحديثة بهذه البلاد . ثم أخذ نابليون يتودد إلى المشايخ ، ويزور كبار الأعيان فى منازلهم واشترك فى الحفلات الوطنية كالاحتفال بالمولد النبوى ووفاء النيل . وكانت حفلة وفاء النيل من أبدع ما وصفه علماء الحملة فى كتاب « وصف مصر » . وقف بونابرت و بجواره محافظ القاهرة تحت ظل خيمة جميلة أقيمت عند فم الخليج . و بعد فتح السد ساد الفرح والمرح والرقص والطرب واشترك الفرنسيون مع الشعب فى أفراحه .

وقد أمر نابليون بإنشاء نظام جديد للحكومة ، فعين أحد قواد جيشه الجنرال ديبوى حاكما على القاهرة ، وأنشأ لمساعدته ديواناً وطنياً أو وزارة وطنية تتألف من تسعة أعضاء من العلماء برياسة الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر ، وكان هذا الديوان يجتمع كل يوم للنظر فى الشئون الداخلية المختلفة . كما عين حاكما فرنسياً فى كل مديرية من المديريات يعاونه ديوان وطنى على نظام ديوان القاهرة . و بذلك عمل نابليون على إرضاء المصريين باشراكهم فى الحكم لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث . واهتم نابليون بالوسائل الصحية فى القاهرة ، فأمر بتنظيف الشوارع والحارات والمنازل و إضاءتها ليلا وحرم دفن الموتى فى داخل المنازل . وقد اعتبر هذا العمل أساساً لوضع لائحة التنظيم ولائحة الجبانات اللتان تطبقان الآن فى القاهرة ومدن القطر المصرى .

واهتم نابليون بتجميل القاهرة وتحصينها ، فأقام فيها الميادين والشوارع والحصون مثل ميدان الأزبكية أمام سراى الألفى بك (لوكندة شبرد الآن) الذى ردمه وزرعه ، وشارع الفجالة ، وشارع بولاق (فؤاد الأول) وخلاف

ذلك وقد استدعى ذلك هدم كثير من المساجد وأبواب الحارات القديمة التى تقفل ليلا لحماية الأهالى من اللصوص .

المجمع العلمى المصرى :

وأصدر نابليون فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٨ أمراً بإنشاء المجمع العلمى المصرى لدرس طبيعة البلاد وتاريخها وأنظمتها وعادات أهلها . وكان من أعضاء هذا المجمع علماء الحملة الفرنسية : مونج ، وبرتوليه ، وكلير ، وديسكس ، وچيوفروا ، وسان هيلير ، ودولوميه ، ومالويس ، وكورديه والدكاترة ديجينيت ولاريى وسواهم ، وقد جعل مقر هيئة المجمع بالناصرية فكان قصر حسن كاشف چركسى مقراً لإدارة المجمع ، ثم الحق به قصر قاسم بك وقصر أبى يوسف أمير الحج .

وقد رسمت فى هذه القصور الفخمة أطالس فيها صور معابد قدماء المصريين وآثارهم الأخرى وخرائط البلاد والمدن وما بها من فنون اسلامية رائعة . كما صورت بها حيوانات وطيور ونباتات القطر المصرى . وكما دونت بها تواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء الذين تتصل تواريخهم بتاريخ مصر الطويل الزاخر . وسوى ذلك من العلوم والمعارف .

وقد أفرد قصر ابراهيم كتخدا السنارى القائم خلف المدرسة السنية للآن للمهندسين والرسامين والمصورين وعمال التحنيط . وفيه قام المصور أريجو بتصوير أعضاء الديوان الوطنى وهم وزراء مصر فى هذا العهد فأبدع أيما أبداع كما قام عمال التحنيط بتحنيط كثير من الطيور والأسماك والحيوانات .

وسكن الدكتور لاريى بقصر ذى الفقار كتخدا وسكن معه كثير من رجال الطب والجراحين . واستمر العمل فى هذا المجمع شهوراً متتالية تحت رياسة مونج ووكالة بونابرت وسكرتارية فوريه فكانت نتيجة هذه الجهود أخراج كتاب « وصف مصر » الذى يعد معجزة من معجزات التأليف فى العالم .

ولو أن هذا الكتاب كان موضوعه أى بلد آخر من بلاد العالم غير مصر لما خلت منه مكتبة ولا مدرسة ولا جامعة ولا مصلحة ولا إدارة . ومع ذلك لا توجد منه فى مصر ألا نسخاً معدودة . . .

فهل آن لنا أن نفكر فى هذا الكنز الثمين فتأمر وزارة المعارف بترجمة هذا السفر النفيس الخالد إلى اللغة العربية لنشره بهذه البلاد . . . هذا ما نرجوه خدمة للعلم وللثقافة الشعبية .

ثورة القاهرة الأولى :

كان من الطبيعى أن يحتاج نابليون إلى المال للقيام باصلاحاته والانفاق على جنوده ففرض ضرائب متنوعة على سكان القاهرة وباقى الشعب المصرى منها رسوم تسجيل الأملاك ، وأثبات الوراثة ، وقيد المواليد ، والتصريح

بدفن الموتى وخلاف ذلك . ولكن سكان القاهرة الذين لم يتعودوا سابقاً على دفع مثل هذه الضرائب تضايقوا جداً منها ، وكانت أخبار تدمير الأسطول الفرنسى بأبو قير قد شجعتهم ، فتجمهروا فجر يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ وقاموا بثورة عنيفة قتلوا فيها حاكم القاهرة الفرنسى الجنرال ديبوى وأقاموا المتاريس فى الشوارع وقتلوا كثيراً من الفرنسيين . فأمر نابليون باطلاق المدافع على الأزهر لأنه كان مركز الثورة . فخاف الثائرون وتوجه وفد من العلماء إلى نابليون يسترضونه فعفى عنهم بعد أن لامهم على ما فعل الثائرون .

ألا أن الفرنسيين كانوا قد دخلوا الأزهر الشريف أثناء الثورة بخيولهم وجعلوا منه اسطبلا لمدة يومين مما زاد فى كره سكان القاهرة لهم خصوصاً وقد كان الإنجليز والأتراك والمماليك دائبى التحريض لهم على الثورة .

نتائج الثورة :

وكان من نتائج هذه الثورة أن غيّر نابليون سياسته نحو سكان القاهرة فأخذ يعاملهم بشدة وفرض عليهم غرامات مالية كبيرة ، ثم استدعى كفاريللى كبير مهندسيه العسكريين وأمره بإنشاء أربع قلاع بالقاهرة فى جهاتها الأربعة . فاقيمت قلعة الناصرية بكوم العقارب قريبا من دار السنارى . وقلعة « كامان » بالقرب من قنطرة الليمون (حيث محطة كوبرى الليمون الآن) . وقلعة سلكوفسكى فى جامع الظاهر وجعلت مئذنته مرصداً للاستكشاف . وقلعة الغريب بجوار القلعة وكانت متحكمة فى حى الأزهر . وعين الجنرال دوسطين حاكماً للقاهرة بدلا من الجنرال ديبوى الذى قتل .

وأخذ فى أقامة تحصينات أخرى فى مصر القديمة وشبرا والمقياس وجزيرة الروضة هدم من أجلها بعض المساجد والمساكن ومنها المساجد المجاورة لقنطرة أمبابة ومسجد المقس (أولاد عنان) على الخليج الناصرى بباب البحر ومسجد الكازرونى بجزيرة الروضة وهدم دوراً كثيرة ببولاق . ثم أمر باخلاء البيوت المطلة على بركة الأزبكية ليسكنها كبار رجال الحملة الفرنسيه ليكونوا كلهم فى منطقة واحدة . وكذلك أمر سكان القلعة بالخروج من منازلهم والسكنى فى المدينة وأجرى بها تعديلات كثيرة وزادها تحصيناً وركز بها كثيراً من المدافع و بنى بدنات باب العزب

الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين :

ما كاد نابليون يخمد ثورة القاهرة ، حتى صادفه خطر آخر ، هو اتفاق تركيا وانجلترا على أخراجه من مصر ، وذلك بارسال جيشين عثمانيين أحدهما برى لغزو مصر شرقاً من جهة الشام والآخر بحرى لمهاجمة سواحلها الشمالية . فأراد نابليون أن يهاجم أعداءه قبل أن يتم استعدادهم ، فخرج على رأس حملة مكونة من ١٢ ألف جندى إلى الشام وادعى أنه يقصد القضاء على بقية المماليك فى الشام فاستولى فى طريقه على العريش ثم أحتل يافا ولكنه خذل أمام

عكة لمتانة تحصيناتها وقوة دفاع أحمد باشا الجزار حاكم المدينة عنها ومساعدة السير سدنى سميث قائد الأسطول الانجليزى لها بالأسلحة والذخائر عن طريق البحر ثم لانتشار الطاعون بين الجنود الفرنسيين ، فعاد نابليون من الشام بعد أن هلك ثلث رجاله .

و بعد وصوله بقليل حضر الجيش العثمانى بحراً ونزل فى « أبو قير » فأسرع نابليون لمقابلته وتمكن من هزيمته وأسر قائده فى ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩ أى بعد موقعة أبوقير البحرية السابقه بسنة واحدة تقريباً وابتهج الفرنسيون لهذا النصر الذى غسل عار الموقعة السابقة .

و بعد هذه الموقعة وصلت بعض الصحف الأوربية إلى نابليون وكانت بها أخبار سيئة عن حالة فرنسا فعزم على مغادرة مصر وسافر منها خلسة فى أغسطس سنة ١٧٩٩ بعد أن عين الجنرال كليبر قائداً على الحملة من بعده وكان قد مضى عليه سنة وشهر و بضعة أيام فى بلاد الفراعنة .

ورأى كليبر أن الحملة لا تستطيع البقاء بمصر ، فعقد مع الأتراك معاهدة العريش فى يناير سنة ١٨٠٠ وكان من أهم شروطها جلاء الجيوش الفرنسية عن مصر بكل معداتها واسلحتها على أن يقوم الأتراك بتقديم السفن اللازمة لنقلها إلى فرنسا . إلا أن انجلترا قاومت هذا الأتفاق ودفعت تركيا إلى العبث به فاضطر كليبر إلى محاربة الأتراك الذين كانوا قد دخلوا البلاد وهزمهم عند عين شمس وطاردهم إلى الصالحية ثم إلى سوريا .

ثورة القاهرة الثانية :

وكان بعض الأتراك والمماليك قد انتهزوا هذه الفرصة وانسلّوا إلى داخل القاهرة خلسة وقاموا بتحريض سكانها على الثورة ضد النصارى وانضم اليهم فى ذلك بعض العلماء والزعماء ، فاشتعلت نيران الثورة فى القاهرة للمرة الثانية ضد الفرنسيين وقتل منهم الكثيرون . وكان زعماء الثورة هم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والسيد احمد المحروقى كبير التجار والشيخ الجوهرى من كبار العلماء .

فانذرهم الجنرال كليبر بالتسليم لكنهم لم يعبأوا بانذاره فانهال هدما وتخريباً وحرقاً فى أحياء القاهرة العامره وأرتكب الفظائع الكثيرة وضرب المدينة بمدافعه فانتشرت الحرائق فى أخطاط الأزبكية والساكت والفوالة والرويعى وبولاق وبركة الرطلى وباب البحر والخروبى والعدوى وباب الشعرية . وقاست القاهرة من هذه النيران أهوالا . ثم قام الفرنسيون بهدم كثير من البيوت والوكالات لأخذ أخشابها وأبوابها وأدوات البناء فيها لإتمام بناء القلاع والحصون فى القاهرة . وهدموا خططاً بأكملها كالحسينية وأجزاء من مصر القديمة واجزاء من باب الشعرية وبركة الفيل . ثم كشفوا سور القاهرة من باب النصر إلى باب الحديد وحصنوا أبوابه وسدوا كلا من أبواب الفتوح والبرقية والمحروق بالمبانى . وقاموا بكشف ما حول حصونهم فهدموا لذلك جامع الجنبلاطية بباب النصر

وجزء من المدرسة النظامية وجامع السبعة سلاطين وجامع الچركسى وجامع خوند بركة خارج باب البرقية وجزء من جامع عثمان كتخدا القزدوغلى وجامع خير بك ببركة الفيل وجامع البنهاوى وجامع الطرطوشى وجامع العدوى وجامع عبدالرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح وخلاف ذلك كثيراً .

ثم هدمو المصاطب أمام الحوانيت بحجة توسيع الشوارع والحقيقة أن هدمها كان لمنع اتخاذها متاريس فى حالة الثورة . وقد أزيلت هذه المصاطب من أحياء كاملة كالصليبة وقناطر السباع (السيده زينب) ودرب الجماميز ودرب سعادة و باب الخلق وما يليه إلى باب الشعرية . وقد تضايق التجار من ذلك كثيراً لأن هذه المصاطب كانت لهم بمثابة استراحات ومقاعد للزوار والزبائن يجلسون عليها أثناء معاملاتهم التجارية وسواها .

و بعد أن كان الجنود الفرنسيون يتحاشون إثارة شعور المسلمين ضدهم ويعاملونهم بالحسنى انقلبوا إلى تحديهم بشكل جارح فنشروا البغاء الرسمى فى البلاد وشجعوا النساء على الفساد وجعلوا من جامع الرويعى حانة يحتسون فيها الخمر . وفرضوا على المدينة غرامة كبيرة قدرها أكثر من ٥٠٠ الف ريال . ومما زاد الطين بلة أثناء هذه الثورة الجامحة نزول السيول الجارفة من وديان جبل المقطم المحيطة بالمدينة واكتساحها كثيراً من أحيائها . كما أنه فى هذه السنة ارتفع فيضان النيل ارتفاعا غير مألوف فغرقت البلاد وفاض الماء ببركة الفيل وأغرقت درب الشمسى (شارع نور الظلام) وحى الناصرية وسقطت عدة بيوت من المطلة على الخليج وعم الخراب المدينة .

أما كليبر فقرر نهائياً البقاء بمصر وزاد فى جيشه باضافة عناصر أجنبية من جنود العرب وسواهم اليه . ثم أنشأ حصوناً جديدة بالقاهرة وزاد فى تحصينات جزيرة الروضة وجعل فم مجرى العيون قلعة باسم قلعة السبع سواقى وحول قصر ابراهيم بك (القصر العينى) وماحوله من البيوت إلى مستشفى عسكرى محصن وجعل بيت محمد الكاشف الأرناءوطى المجاور للقصر العينى مصنعاً للذخيرة . غير أن عمره لم يطل بعد ذلك . إذ قتله رجل من فئة الحشاشين اسمه سليمان الحلبى فى يونيو سنة ١٨٠٠ بايعاز من الأتراك والمماليك ، بان اختفى فى حديقة قصر الألفى (شبرد) وفاجأه بطعنة من خنجر فغضب الفرنسيون لقتله ، وحكموا على قاتله ومحرضيه بالاعدام مخوذقاً و بوسائل وحشية أخرى .

جلاء الفرنسيين عن مصر :

بعد قتل كليبر تولى قيادة الحملة الجنرال مينو ، وكان غير محبوب من أحد . فقد كرهه الجيش لاعتناقه الدين الاسلامى وتزوجه من سيدة مصرية هى السيدة زبيدة كريمة أحد تجار القاهرة ، وكرهه المصريون لثقل الضرائب التى فرضها عليهم .

ولعدم مقدرة مينو الحربية تغلب عليه الإنجليز والأتراك بسرعة فسلم لهم على شرط أن ينقل هو ورجاله إلى

فرنسا بمعداتهم على مراكب انجليزية . وفعلا تم الجلاء عن مصر نهائياً فى اكتوبر سنة ١٨٠١ وعادت مصر كما كانت ولاية من الولايات العثمانية .

فشلت أذن الحملة الفرنسية فى تحقيق أغراضها إذ عجزت عن ضرب انجلترا فى الهند وعن جعل مصر مستعمرة فرنسية . ويرجع فشلها إلى قوة انجلترا البحرية التى ظهر أثرها فى موقعة أبو قير البحرية وفى حصار عكا . ولكن بالرغم من هذا الفشل كان لها نتائج ذات آثار بالغة فى تاريخ القاهرة والقطر المصرى .

فأولا : أظهرت الحملة أهمية موقع مصر الجغرافى بالنسبة لربط أوربا بالشرق وجعلتها هدفاً لعيون الساسة الانجليز .

وثانياً : أيقظت الشعور القومى لدى المصريين ، إذ كانت السلطة كلها بيد المماليك قبل ذلك ، فلما كوّن نابليون الدواوين فى القاهرة والأقاليم من العلماء والأعيان والتجار ، اشترك المصريون فى الحكم وأصبحوا يشعرون بأنهم أصحاب البلاد وأصحاب الحق الأول فى حكمها .

وثالثا : كان لهذه الحملة الفضل الأول فى حل الرموز الهيروغليفية وفى معرفة تاريخ مصر الفرعونى القديم وفى بعث علم الآثار ورواج صناعة السياحة بهذه البلاد . فقد درس علماء الحملة جميع الشؤون المصرية ورسموها فى كتابهم « وصف مصر » وبذا عرفت أوربا حقيقة هذه البلاد وتهافت الزوار عليها سنة ١٧٩٩ . وحدث أن عثر بوسار أحد ضباط الحملة على حجر فى قلعة رشيد مكتوب عليه بثلاث لغات : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية قرار لكهنة منف باحقية بطليموس الخامس فى عرش مصر . وقد قضت المادة السادسة عشرة من معاهدة التسليم التى أبرمها مينو بأن يسلم حجر رشيد هذا ومجموعة أخرى من الآثار المصرية إلى الأنجليز فنقلوها إلى لندن . وفى سنة ١٨٢٢ استطاع شامبليون العالم الفرنسى فك رموز الهيروغليفية — كتابة قدماء المصريين — من مقارنتها بالنصين الآخرين ، فأمكن معرفة هذه اللغة وفهم تاريخ مصر القديم . ولا يزال هذا الحجر بالمتحف البريطانى للآن فى انتظار عودته لبلاده!

ورابعاً : درس مهندسو الحملة وعلى رأسهم لوبير مشروع ترعة لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر . وبالرغم من غلطتهم حين قرروا أن منسوب البحر الأحمر أعلى من منسوب البحر الأبيض بعشرة أمتار ، فإن هذه الدراسة مهدت لتنفيذ مشروع قنال السويس بعد حوالى ٨٠ عاماً .

وخامساً : أقام الفرنسيون بالقاهرة وسواها مصانع النسيج والورق والذخائر ودبغ الجلود وهكذا وضعوا أساس الصناعة الحديثة بهذه البلاد .

وسادساً : أدخلوا الطباعة وانشأوا المكاتب والجرائد بالقاهرة ، وبذلك بدأت نهضة مصر الحديثة التى تعهدها محمد على باشا الكبير وخلفاؤه فيما بعد .

وصف علماء الحملة للقاهرة :

ومع أن هذه الحملة لم تمكث بمصر أكثر من ثلاثة أعوام وشهرين ألا أنها تركت لنا عن القاهرة مراجعاً لا يمكن تقديرها بثمن . أنظر إلى خريطة القاهرة التى رسمها علماء هذه الحملة . أنظر إلى الصور واللوحات الفنية الواردة فى كتاب « وصف مصر » عن أحياء القاهرة ومعالم القاهرة ومساجد القاهرة ومعابد القاهرة وقلاع القاهرة وقصور المماليك ونساء المماليك بملابسهن الحريرية الزاهية وقباقيبهن المرتفعة وهن داخل الحريم وعن راقصات القاهرة باوضاعهن المغرية وعن ملاهى القاهرة وعن إحصائيات القاهرة وعن الحياة الاجتماعية فيها . الخ الخ .

أنظر إلى الأوصاف البديعة التى تركها لناچومار عن هذه العاصمة . وقل مع هذا العالم الذى أشرف على إخراج كتاب « وصف مصر » : « ما أدق هذه الأوصاف وما أصدقها وما أكثر انطباقها على الواقع »

رقص العوالم

وقف چومار يوماً فوق أسوار القلعة وجعل يصف تلك المدينة الخالدة التى وهبها قلبه ومشاعره فقال : « ليسمح لى القارىء أن أصف له منظر القاهرة الرائع الذى يتجلى أمام أعين الناظر من فوق أسوار القلعة ، فإن جمال هذا المنظر الآخاذ فوق كل تصور . فمن ناحية يمتد النظر بعيداً جداً فى صحراء ليبيا الشاسعة ويصل إلى ثلاثة أو أربعة فراسخ بعد أهرام الجيزة وسقارة ومصاطب الفراعنة إلى آخر سلسلة جبال ليبيا فترتسم أمامه حقول الوادى الخضراء وغابات النخيل الكثيفة الممتدة تحت أقدام هذه الآثار الخالدة الهائلة ثم يرى نهر النيل الملتوى اللامع مثل شريط من الفضة ، وجزيرة الروضة الجميلة ، وشاطىء النيل الشرقى بأجزائه الخضراء وأجزائه الصحراوية . وإلى يمينك ترى مدينة بولاق وإلى يسارك ترى مدينة مصر القديمة . ويقع نظرك على وادى التيه ، ثم تقترب منك مدينة الأموات وقناطر العيون . وأقرب من ذلك أيضاً تمتد تحت ناظريك مدينة القاهرة المتسعة بمآذنها التى يقدر عددها بين ثلاثمائة وأربعمائة مئذنة . وأخيراً ترى تحت أقدامك ميداناً فسيحاً مزدحماً بالأهالى المسرعين يزينه هذا الصرح الضخم

عوالم وأمامهن صندوق به الملابس والآلات

وهو جامع السلطان حسن بمئذنتيه الضاربتين إلى ما فوق القلعة نفسها وقد يكون هذا الجامع أجمل مبنى بالمدينة كلها. هذه المناظر النادرة التى تجمع بين معالم مصر الفرعونية ومصر الإسلامية، و بين مقابر عاصمتها القديمة وعاصمتها الحديثة، و بين آثار عين شمس فى أقصى اليمين وآثار منف فى أقصى اليسار، أقول هذه المجموعة الهائلة تحرك مشاعر الناظر مهما قل اهتمامه بها، وتزيد تأمل العالم وحماسة الفنان، وتجذب أنظار الرجل العادى مهما كان جاهلاً بقواعد الجمال».

وسبق لأرتور رونيه أن وصف القاهرة من فوق القلعة سنه ١٨٦٤ فقال:

«من أعلى قصر الجبل الذى يشرف على القاهرة، يبدو المنظر ساحراً كله جمال لأن هذه المجموعة الهائلة من الشوارع والحارات والميادين غير المنتظمة القائمة بلا قاعدة طبقاً لأهواء ساكنيها، تحوى منازل وعمارات يبدو كل منها كأنه قطعة فنية منفردة بذوقها وأحلامها! فكيف يمكن وصف هذا الجو الساكن، كيف يمكن وصف هذه الأنوار المتلألئة التى تسبح فيها المآذن المزخرفة. ثم تليها هذه الظلال الوديعة التى تسود قاع الطرقات. هنا كل شىء يفرح القلب و يسر الفؤاد: الجمال، الألوان، الحركة بلا توزيع خاص. كل شىء يحرك المشاعر و يلمع و يصيح؛ كل شىء يتحرك و يثير الغبار فيبدو مثل الذرات الفرحة التى تراها خلال شعاع الشمس. وتستمر هذه الحركة حتى الغروب حين يرتفع صوت المؤذنين من أعلى هذه المآذن العالية مسبحين بحمد الله وداعين إلى الصلاة.»

الوكالات وتجارة القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية:

القاهرة — وكالة الغورى بشارع البلبطة

كانت الوكالات المكونة من أحواش سماوية داخلية كبيرة ومربعة تحيط بها حوانيت مسقوفة وتعلوها أدوار متعددة ومساكن ذات شرفات مخصصة لنزول القوافل حين وصولها إلى القاهرة. وقد عرف علماء الحملة من هذه الوكالات ومن سجلات الجمارك كيف كانت تسير الحركة التجارية بالقاهرة.

كانت ترد إلى القاهرة سنويا ثلاث قوافل هائلة. وكانت كل قافلة مكونة من حوالى ألف جمل وحمار وحصان.

أما القافلة الأولى فكانت ترد من بلاد المغرب تحمل الحجاج فى طريقهم إلى الحجاز.

أما القافلتان الثانيتان فكانتا تردان من بلاد النوبة ومن دارفور بالسودان تحملان تجارة الرقيق من البغاث

والنساء السود . وكان تاجر الرقيق يأمر هؤلاء التعسة المسكينات أن يقفزن ويجرين وهن عاريات . بينما كان هو متدثراً بثوب طويل ويحمل فوق رأسه تاجاً من الفضة .

وكانت هناك قوافل أخرى ترد إلى القاهرة من السودان ومن بلاد الشرق . أما البضائع التى كانت تصل مع هذه القوافل فهى ريش النعام وتبر الذهب وسن الفيل والعاج وقط الزباد والمسك والقرود من أعالى النيل. والكليم والشيلان والصوف من مديرية الفيوم . والحرائر والمنسوجات والسجاجيد والتين والورد من بلاد العجم ومن الشام . والحلوى والملابس والمقاذيف وأعواد الرماح من تركيا . والكتان والدخان والبلح والغلال والمسلى والزيوت والعسل والسكر والبيض وزبل الحمام من الوجه القبلى . والبطاطين والطرابيش من تونس والزجاج من قبرص والزبيب من بلاد اليونان . والقهوة والمر والبخور من الحجاز وجزيرة العرب .

وتحت عنوان « بضائع النصرانية » كانت سجلات الجمارك تشمل كل مايرد إلى القاهرة من أوربا الغربية وأوربا الجنوبية عن طريق ثغور الاسكندرية ودمياط ورشيد . وكانت هذه البضائع تشمل :

أجواخ سيدان ولوفريه ولنجدوك ، وحرائر وخيوط الذهب الواردة من ليون ، وأسلحة من سان أتيين ، وخردوات وطرابيش من مرسيليا التى كانت تصدر إليها أيضاً أخشاب من البرازيل ، ودود القز والحشيشة المغربية والقصدير الإنجليزى ، والحديد السويدى ، والورق الفرنسى والساعات السويسرية والأسلحة الألمانية . وكانت تصل من انجلترا الأصواف والفراء الثمينة .

كما أن القاهرة كانت تصدّر الأرز والغلال والنطرون والسمسم والجلود والأقمشة القطنية والمنسوجات الكتانية إلى أوربا والبلاد الشرقية .

خريطة القاهرة التى رسمها علماء الحملة الفرنسية :

ومن أثمن المراجع التى تركتها لنا الحملة الفرنسية خريطة مدينة القاهرة التى رسمها علماؤها حوالى سنة ١٨٠٠ م . وترى من هذه الخريطة كيف أن القاهرة فى ذلك العهد كانت مكونة من ثلاث مدن منفصلة عن بعضها بالحقول والتلال وهى : بولاق والقاهرة ومصر القديمة .

أما مدينة بولاق فكانت ثغر القاهرة على النيل تبعد عنها حوالى كيلو متر . وقد قام المسيو لوبير كبير مهندسى الطرق والكبارى فى عهد الحملة بتمهيد طريق أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) وغرس الأشجار على جانبيه تسهيلاً لمرور فرق الجيش الفرنسى . وكان هذا الطريق يصل مابين بولاق والأزبكية بعد مروره فوق قنطرة المغربى التى كانت تقوم فوق الخليج الذى عرف إذ ذاك باسم خليج الطوابة (الخليج الناصرى القديم) . وكان هذا الخليج يخرج من النيل بالقرب من موردة البلاط عند كوبرى محمد على الحالى شمالى القصر العينى ، ويصب فى الخليج

الكبير فى نهاية أرض الطبالة بالقرب من جامع الظاهر . وتشمل أرض الطبالة هذه المنطقه المعروفة اليوم بمحطة كوبرى الليمون والفجالة و بركة الرطلى . وكان على هذا الخليج قناطر أخرى كثيرة منها قنطرة البكرية ولا تزال آثارها معروفة للآن بجوار شارع الظاهر ، وقنطرة الليمون (حيث محطة كوبرى الليمون) وقنطرة الدكة (حيث ميدان قنطرة الدكة) ، وقنطرة المدابغ (أمام دار القنصلية البريطانية بشارع جامع چركس) وغير ذلك من القناطر .

وفى زمن الفيضان كان هـذا الخليج يتصل ببركة الأزبكية و يغمرها بمياه النيل و يحولها من أرض متربة قفرة إلى بركة تسبح فيها الفلائك وتنعكس عليها أضواء النجوم والقمر ليلا فتجعل منها مكاناً ساحراً جذاباً طالما تغنى بجماله جنود بونابرت . كما كان يتصل ببركة الشيخ قمر و بركة الرطلى بالظاهر بالقرب من مصبه ، و ببركة الفوالة وبركة الصابر بقسم الأزبكية . و ببركة الفراعين ومكانها الآن ميدان عابدين و ببركة السقايين و ببركة كريم بك . وكانت هذه البرك الثلاث الأخيرة متصلة من جهة أخرى بالخليج الكبير (الخليج المصرى) الذى كان يغذى أيضاً بركة الناصرية و بركة الفيل ومكانها الآن بقسم السيدة زينب .

أما مدينة القاهرة فقد أدهشت جنود الحملة بسعتها المفرطة و بدت أمامهم كأنها أوسع مدينة فى العالم مع العلم أن عدد سكانها فى هذا العهد لم يكن يزيد عن ٤٠٠ الف نسمة .

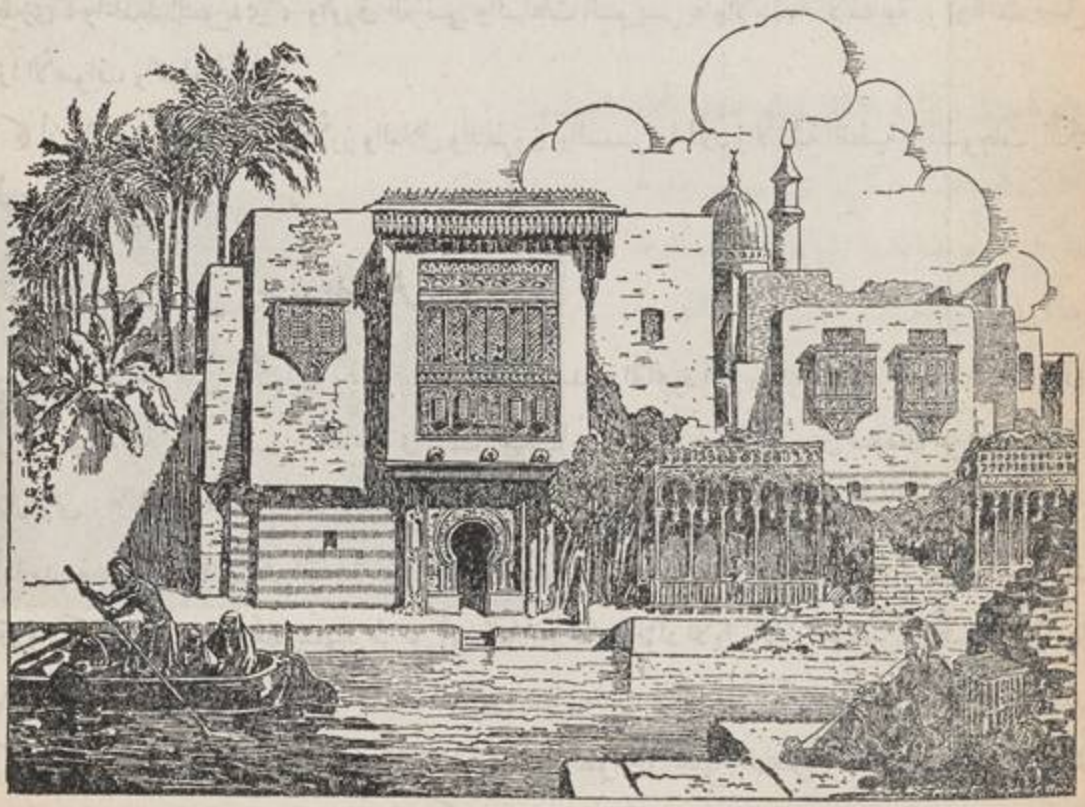

منظر للخليج المصرى ومنازل القاهرة التى كانت تطل عليه

Kordofan
Dongola
Sennaar
Gezira
Brenche principal du Nil

أما المدينة الثالثة وهى مصر القديمة أو دير النصارى فقد زارها الفرنسيون حيث أراهم الرهبان القبط مغارة كنيسة أبى سرجة التى نزلت بها العائلة المقدسة عائلة السيد المسيح أثناء إقامتها بمصر هرباً من هيرودس الرومانى حاكم فلسطين فى عهد الميلاد . كما أروهم جامع عمرو أو الجامع العتيق بأعمدته الأربعمائة .

أما قلعة الجبل — محل إقامة الباشوات أو الولاة فى العصر التركى — فكانت تزدان إذ ذاك بقصر فخم مربع هائل اسمه «الديوان» ، وكان هذا القصر مكوناً من صحن مكشوف تحيط به أعمدة فخمة من الجرانيت الأحمر ويجنو به إيوان بديع كانت تصنع به الكسوة الشريفة . وحول هذا القصر كان يوجد بالقلعة كثير من المبانى والمساكن ذات القباب يقيم بها الجنود وعائلاتهم .وكان عدد سكان القلعة لايقل عن ثلاثين ألفاً كما ذكر المستر بارسنس الإنجليزى.

وفى عهد محمد على باشا الكبير هدم هذا القصر وقام فى مكانه جامع محمد على الفخم وقصر الجوهرة البديع وأرسلت الأعمدة الجرانيتية الحمراء إلى الإسكندرية حيث أعيد بناؤها فى قصر رأس التين .

ومما يلفت النظر فى خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ أن عرض مجرى النيل فى منطقة القاهرة كان ضعف عرضه الحالى تقريباً . ويتضح من هذه الخريطة أن الشاطىء الغربى للنيل كان واقعاً تحت الأمكنه الآتيه :

بعد أن يمر النيل تحت سكن مدينة الجيزه يسير شمالا مائلا إلى الغرب قليلا ثم يمر تحت سكن بولاق الدكرور ثم يمر تحت سكن الدقى ثم يمر تحت سكن امبابه حيث مجراه الحالى .

ولا تزال آثار طراد النيل الغربى القديم هذا باقية إلى اليوم بين الدقى وامبابة ومبينة على خريطة القاهرة .

وفى عصر الخديو اسماعيل تم نقل هذا الشاطىء الغربى إلى مكانه الحالى بإقامة جسر فى النيل بين الجيزه وامبابة وذلك سنة ١٨٦٥ فطمت الأرض خلف هذا الجسر وتكونت منها المناطق المعروفة اليوم باسم أراضى شركة الجيزة والدقى .

جزيرة الزمالك :

يتصل هذا البحث برسم هذه الجزيرة المبين على خريطة القاهرة لعلماء الحملة الفرنسية فنقول :

فى القرن الخامس عشر الميلادى ظهرت فى مجرى النيل جزيرتان منفصلتان فى مكان جزيرة الزمالك الحالية. وقد سميت الجزيرة الشمالية منهما جزيرة حليمة والجزيرة الجنوبية المثلثة الشكل جزيرة أروى . (انظر الرسم ص ٤٥٩)

وفى زمن الحملة الفرنسية كان هناك ثلاث جزائر سميت فى خريطة القاهرة لهذه الحملة بالأسماء التالية : جزيرة عازار وجزيرة بولاق الكبيرة وجزيرة مصطفى آغا . ثم اتصلت هذه الجزائر ببعضها وأصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم الجزيرة الكبيرة أو جزيرة بولاق لمواجهتها لقرية بولاق ، ثم عرفت فى عصر محمد على باشا باسم جزيرة الزمالك .

ولما قام ديوان الأشغال فى عصر الخديو إسماعيل باشا ببناء جسر فى النيل بين مدينتى الجيزة وامبابة فى سنة ١٨٦٥

لتحويل شاطىء النيل الغربى إلى مكانه الحالى كما قلنا سابقا أخذت هذه الجزيرة شكلها الحالى .

أما الزمالك فكلمة ألبانية معناها الاخصاص والعشش المصنوعة من البوص أو القش مثل عشش رأس البر . حدث فى سنة ١٨٣٠ أن أنشأ محمد على باشا الكبير قصراً بين المزارع فى الجهة الشمالية من أرض الجزيرة الكبيرة حيث يقوم اليوم نادى ضباط الجيش والحديقة الملحقة به واتخذه للنزهة وكان بالقرب من هذا القصر « زمالك » يصطاف فيه رجال حاشيته وعساكر حرسه . فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك . ثم أطلق هذا الاسم على الجزيرة كلها بعد ذلك .

والصورة المنشورة تحت هذا الكلام تعطى للقارىء فكرة عن تحول شكل الجزائر الرسوبية التى تتكون وسط النيل تحت تأثير التيارات المائية وقوة الرياح . وهى تمثل تطورات جزيرة الذهب فى ظرف ١٥ عاماً فقط .

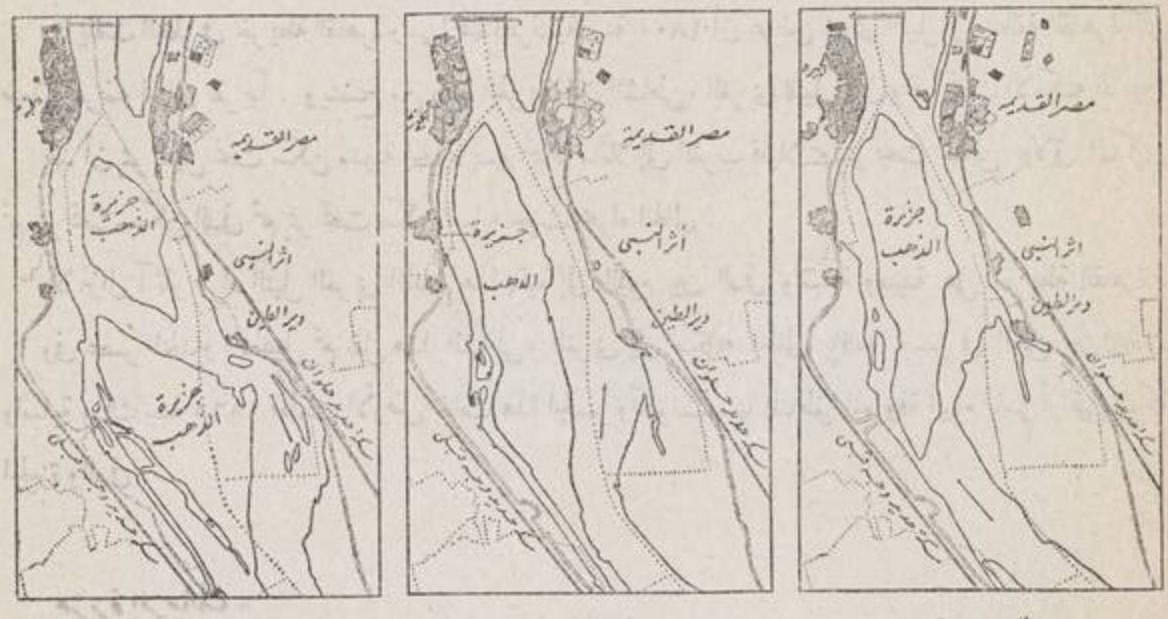

جزيرة الذهب سنة ١٩٣٠ جزيرة الذهب سنة ١٩١٤ جزيرة الذهب سنة ١٩٠٥

تكوين الجزائر فى مجرى النهر وتغيير شكلها تبعاً لتأثير الرياح وقوة التيار واتجاهاته

الفصل السابع

عصر محمد على باشا

من سنة ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر سنة ١٨٠١ ، عادت هذه البلاد كما كانت ولاية من الولايات العثمانية وعين السلطان من قبله خسرو باشا والياً عليها إلا أنه فى الواقع كانت هناك ثلاث قوات تتنافس على السلطة : أولها المماليك الذين كانوا يرغبون فى استعادة سلطانهم القديم فى مصر كما كانت عليه الحالة قبل الحملة الفرنسية ، وثانيها الإنجليز الذين كانوا يميلون إلى مساعدة المماليك و إسناد الحكم إليهم نظير احتلالهم لسواحل مصر الشمالية و بسط نفوذهم على هذه البلاد بعد أن ظهرت لهم أهميتها فى الاحتفاظ بطريق الهند ، وثالثها الأتراك الذين أرادوا الانفراد بالحكم بعد أن استردوا مصر بالقوة ، فسعوا إلى التخلص من المماليك تارة بالدسائس وطوراً بالحروب ودبروا مؤامرة لقتل زعمائهم إلا أن الإنجليز تدخلوا فى الأمر فخضع الأتراك وفقد المماليك كل ثقة بهم وانتقلوا إلى الوجه القبلى استعداداً لمقاتلتهم .

وبجانب هذه القوات ، كانت هناك قوة جديدة ، بدأ ظهورها فى عهد الحملة هى قوة الشعب المصرى ، الذى صمم على عدم الخضوع لاستبداد أية قوة من هذه القوات الثلاث . وكان بين الأتراك فى ذلك الوقت ضابط شجاع ظل يرقب مجرى الحوادث ، واستطاع بدهائه وتحببه إلى الشعب أن يفوز لنفسه بعرش مصر . ذلك الضابط هو محمد على الكبير .

قدم محمد على إلى مصر لأول مرة سنه ١٧٩٩ ضابطاً فى الحملة البحرية التى أرسلها السلطان التركى سليم الثالث لإخراج الحملة الفرنسية من مصر ، ولكنه عاد إلى بلاده بعد هزيمة العثمانيين فى موقعة أبو قير البرية ، ثم رجع إلى مصر ثانية سنة ١٨٠١ مع الجيش التركى البحرى الذى تحالف مع الجيش الإنجليزى لمقاتلة الجنرال مينو الذى تولى قيادة الحملة الفرنسية بعد قتل الجنرال كليبر . وانتهى الأمر بإخراج الفرنسيين من مصر . وقد أظهر محمد على شجاعة فائقة أثناء هذه الحرب فرقى إلى رتبة قائد .

وفى سنة ١٨٠٣ خرج الإنجليز من مصر ، بعد اتفاقهم على ذلك مع فرنسا وتركيا . وكان الوالى خسرو باشا قد اختلف مع محمد على لامتناعه عن مساعدته ضد المماليك قرب دمنهور ، فلما قرر محاربة المماليك الذين تحصنوا فى الصعيد أصدر أمراً إلى الجنود الألبانيين بقيادة طاهر باشا ومحمد على بالسفر إلى الصعيد لمحاربتهم ، فأوعز محمد على إلى جنوده بطلب رواتبهم المتأخرة ، فثاروا ضد خسرو وألجأوه إلى الفرار إلى دمياط ، وأقام طاهر باشا القائد الأكبر للجنود الألبانية نفسه والياً على مصر بعد اتفاقه مع العلماء ، ولكنه عجز أيضاً عن دفع رواتب الجنود فقتلوه .

خلا الجو لمحمد على لتولى الحكم إذ أنه كان يلى طاهر باشا فى المرتبة العسكرية ، ولكنه رفض ذلك خوفاً من ثورة الجنود ، وفضل أن يتحد مع المماليك بدلا من محاربتهم ، فتحالف مع زعيمهم البرديسى ، وتسلم المماليك الحكم فى مصر ، ولكن السلطة الحقيقية كانت مع ذلك فى يد محمد على .

ثم ذهب البرديسى ومحمد على على رأس قوة إلى دمياط وقبضا على خسرو باشا وسجناه فى القلعة . ولما عين السلطان سليم الثالث والياً جديداً على مصر بدلا من خسرو وهو على باشا الجزايرلى منعه المماليك من دخول القاهرة وقتلوه بإيعاز من محمد على .

وفى ذلك الحين عاد من انجلترا محمد بك الألفى أحد زعماء المماليك ، وكان قد صحب الإنجليز عند خروجهم من مصر وعقد معهم اتفاقاً سرياً ، ساعده الإنجليز بموجبه على استخلاص السلطة لنفسه فاشترك محمد على مع البرديسى فى محاربته ففر الألفى مع أتباعه إلى الصعيد .

عزم محمد على بعد ذلك على التخلص من البرديسى نفسه ، فلما طالب الجنود بما تأخر لهم من الرواتب أحالهم محمد على على البرديسى الذى اضطر أن يرضيهم بفرض ضريبة جديدة على الأهالى ، استعمل القسوة فى جمعها

فغضب الناس وشكوا أمرهم إلى محمد على ، فحاصر محمد على البرديسى فى قصره ولكنه تمكن من الفرار إلى سوريا وألغى محمد على الضريبة التى فرضها البرديسى على المصريين فسروا لذلك .

و بعد فرار البرديسى سنحت الفرصة مرة أخرى لمحمد على ليكون والياً على مصر ، ولكنه تردد فى الأمر لأن جيشه الصغير كان لا يقوى على محاربة المماليك والأتراك إذا اتحدوا ضده . ولهذا تظاهر بالولاء للسلطان ، وأطلق سراح خسرو باشا وأعاده إلى الحكم ، ولكن الجند رفضوا قبول خسرو باشا والياً عليهم فسافر إلى الإستانة وخلفه خورشيد باشا حاكم الإسكندرية .

ولما خشى خورشيد نفوذ محمد على ، أراد التخلص منه ، فاستحضر لهذا الغرض جنوداً من الشام اعتدوا على الأهالى ونهبوا المساكن والحوانيت . فضج الناس بالشكوى من استبداد جنود خورشيد ولجأ الشعب مرة أخرى إلى محمد على ليخلصه من أذاهم .

مبايعة محمد على والياً على مصر :

اجتمعت ألوف من المصريين فى يوم الإثنين ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ عند بيت القاضى بالجمالية وأقبل زعيمهم الشعبى العظيم السيد عمر مكرم يشق صفوفهم ، حتى إذا دخل البيت وجد به نخبة من شيوخ مصر وعلمائها وأهل الرأى فيها . واستقر الرأى على عزل الوالى خورشيد وتعيين محمد على والياً مكانه .

وما إن ذاع هذا القرار حتى طار الشعب فرحاً ، واتجه خلف زعمائه نحو بيت الوالى الجديد محمد على بالأزبكية (سراى الألفى بك ومكانه الآن لوكندة شبرد) . وهناك دخل الزعماء والعلماء والأعيان واستقبلهم محمد على هاشاً باشاً وكان عمره لا يزيد عن ٣٥ سنة . ولما قال له السيد عمر مكرم : « لا نرض إلا بك تكون والياً علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » أجابه محمد على بقوله فى شىء من القلق : « أننى لا أحب هذا ، ففيه ثورة على السلطان » .

وعندئذ رد السيد مكرم قائلا : « إن هذه إرادة الشعب ، ولن يقبل غير محمد على حاكما » .

وانتهت المناقشة بأن نزل محمد على على إرادة الشعب المصرى فنهض السيد عمر والشيخ الشرقاوى وخلعا عليه كركا وقفطاناً إعلاناً لولاء الشعب له .

وأرسل الزعماء إلى خورشيد باشا قرار العزل طالبين منه أن يبرح القلعة لتصير مقراً للوالى الجديد . فضحك خورشيد مستهزئاً وقال : « أمن يوليه السلطان يخلعه الفلاحون » . فكان جواب الفلاحين على ذلك أن أحاط الجيش المصرى بالقلعة لإخراج خورشيد بالقوة ، ووصلت أخبار هذه الثورة إلى استامبول فلم يلبث السلطان التركى سليم الثالث أن أدرك حرج الموقف فبعث فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ بفرمان سلطانى يستدعى به خورشيد باشا ويولى

مكانه محمد على ابتداء من ١٨ يوليو . ولكن خورشيد باشا مضى فى عناده حتى أكره على التسليم . ودخل محمدعلى القلعة يوم ٥ أغسطس سنة ١٨٠٥ حيث جلس على كرسى الحكم بين أعظم مظاهر ابتهاج الشعب وتأييده .

اصلاحات محمد على باشا :

تولى إذن محمد على الحكم فى مصر ، برغبة شعبها وعلمائها وزعمائها ، فأراد أن يعمل على إصلاح ما أفسده الأتراك والمماليك و بالفعل لقد عمل محمد على فى ٤٣ سنة ما لم يعمله الولاة الأتراك فى ثلاثة قرون كاملة فأصلح الإدارة والمالية والقضاء وأنشأ الجيش والأسطول . وقضى على فتن المماليك والإنجليز والترك والألبانيين والأكراد والشراكسة والبدو . ثم بطش بزعماء المماليك وقتل منهم ٤٥٠ فى القلعة وقضى على الباقين وذلك فى أول مارس سنة ١٨١١ أثناء حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصرى الذى سافر إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين .

ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى أنشأ محمد على إمبراطورية مترامية الأطراف تشمل مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت ونهض بكل مرفق من مرافق البلاد على أسس مدروسة وخطط مدبرة مستعيناً برجال الإصلاح و بالإخصائيين فى كل فن يجزل عطاءهم ويبالغ فى إكرامهم فلازمه التوفيق وحالفه النجاح . وبفضل هذه الروح تم إصلاح الجيش بواسطة الاستعانة بضباط من جيش نابليون منهم الكولونيل « سيف » الذى أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوى الجد الأعلى للملكة نازلى ، والكولونيل فيسير ، والكولونيل بلانا الذى صار فى وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وسيريزى الذى أنشأ ترسانة الإسكندرية وأنشأ الأسطول المصرى ، وكلوت بك الذى أنشأ مدرسة الطب بأبى زعبل وأخرج لجيش محمد على أطباء بارعين ويوسف حقيقيان بك الذى أنشأ مدرسة المهندسخانة ببولاق ومدرسة المعادن بمصر القديمة . ومع أن محمد على كان أمياً إلا أنه كان يحب العلم والعلماء فكان ذلك حافزاً له على التوسع فى إرسال بعثات من المصريين لكيلا تبقى مصر عالة على أوربا ولكى تجد فى أبنائها كفايتها من القواد والضباط والمهندسين والأطباء والمعلمين . و بالإجمال كان العلم سبيله إلى مشروعاته حتى أنه أنفق على طلاب البعثات فى عهده ، وكان عددهم حوالى الأربعمائة ، ما يقرب من نصف مليون من الجنيهات .

وكان محمد على يدير بنفسه دفة إمبراطوريته العظيمة فكان هو نفسه فى الواقع وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية . أى أنه كان هو الحكومة والحكومة هو . وما كان أحد من وزرائه يجرؤ على أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه .

وكانت عناية محمد على بشئون الجيش والأسطول تفوق كل عناية فأنشأ مدارس البيادة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب والبحرية وغير ذلك ليصل بجيشه إلى حد الكمال . كما كان أسطوله يتألف من ٥١ سفينة حربية

و١٤٦ سفينة نقل ووصل عدد جيشه إلى ٢٣٥٫٨٨٠ ضابطاً وجندياً كما وصل عدد ضباط الأسطول وجنوده إلى ١٥٥٣٤ رجل . وهـذه النهضة الرائعة كانت مع ذلك لا تعتمد إلا على ميزانية ضئيلة قدرها ٢٫٩٢٩٫٦٢٥ جنيهاً مصرياً طبقاً لميزانية سنة ١٨٤٢ .

و بذلك نشأت فى عصر محمد على الدولة المصرية الحديثة وتحقق الاستقلال القومى . واعتبر محمد على بحق مؤسس مصر الحديثة ومجدد نهضتها ومجدها القديم .

تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا :

كان من الطبيعى أن تؤثر كل هذه الأعمال الإصلاحية فى تطورات مدينة القاهرة العمرانية وفى حياتها الاجتماعية فقد وصلت هذه المدينة فى عصر محمد على باشا لأن تكون عاصمة امبراطورية عظيمة كما كانت قبل الاحتلال التركى فازدحمت بالمصانع والمدارس والجيوش والقصور وامتدت حدودها شمالا وغربا وامتلأت ضواحيها بالثكنات العسكرية والمصانع الحربية ومدارس البيادة والمدفعية والفرسان والطب والهندسة وغير ذلك كثير جداً . ودبت الحياة قوية نامية فى القلعة وما حولها .

جاء محمد على إلى القاهرة بعد الحملة الفرنسية وكان من المنظور أن يجدها قد تحولت إلى مدينة أوربية جميلة جديرة بعبقرية بونابرت وأساليب بونابرت . ولـكنه وجد بدلا من ذلك مدينة مهدمة مشعثة خربتها مدافع بونابرت وكليبر أثناء إخماد ثوراتها المتتالية . هذا فوق أن بونابرت اضطر إلى تحصين المدينة فأقام قلاعاً فى كل جانب من جوانبها وأزال ما حول هذه القلاع من مبان ومساكن وجوامع ، فبدت المدينة مخربة . وكان مقدرا لمحمد على باشا الـكبير أن يعيد هو إلى هذه المدينة ما كان يحلم بتحقيقه الجنرال بونابرت لو واتته الظروف ، وأن يصلحها وينهض بها أثناء نهضته العظيمة بمصر . وقد ساعده على ذلك بنجاح تام نبوغه وروحه الطموحة إلى البناء والتجديد وما وجده من تعضيد الجاليات الفرنسية لمشروعاته العمرانية .

و كانت مراكز القاهرة الرئيسية تقع فى هذا العهد حول بركة الأزبكية وحول بركة الفيل وحول القلعة وعلى شاطىء الخليج المصرى . وكانت المدينة محصورة بين جبل المقطم شرقا وبركة الأزبكية غربا والحسينية شمالا والقلعة جنوبا .

الخليج المصرى :

وكان الخليج فى عصر محمد على باشا العمود الفقرى لمدينة القاهرة ، يخترقها من الجنوب إلى الشمال ويقسمها إلى نصفين . وكان يخرج من النيل جنوبى قصر العينى عند السواقى السبع التى كانت توصل المياه من النيل للقلعة فى

مجرى بنى فوق حائط العيون . وهذه السواقى الآن خلف نقطة البوليس بفم الخليج . وقد أصلحها محمد على سنة ١٨٠٨ ومد مجرى جديداً للمياه فوق حائط تبدأ من قرافة السيدة نفيسة وتنتهي إلى مقابر العائلة الملكية بالإمام الشافعى .

وكان الخليج يسير من ناحية السواقى المذكورة نحو الشمال الشرقى ثم ينعطف نحو الشرق الجنوبى حتى يصل إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب الآن) ثم يعود إلى سيره نحو الشمال الشرقى ماراً غربى بركة الفيل ثم غربى درب الجماميز ثم غربى باب الخرق ثم يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية (العدوى الآن) ويسير خارج القاهرة إلى جامع الظاهر ومن هناك يسير بين الحقول والمزارع إلى ناحية الزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس والخانكة وسواها .

القاهرة — الخليج المصرى كما كان فى عصر محمد على باشا

ولما كان الخليج معتبراً كالعمود الفقرى لمدينة القاهرة فى عصر محمد على كما قلنا فلا بد من دراسة كل من الأحياء الواقعة على ضفتيه على حدة ، لأجل أن تكون دراسة مدينة القاهرة فى عصر محمد على على أساس صحيح .

الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الغربية للخليج :

من الشمال إلى الجنوب كنت تجد إلى غرب الخليج أرض الطبالة وهى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة ، ومن الغرب بشارع غمره إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر فميدان باب الحديد حيث كان النيل فى العصر الفاطمى . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى . ويدخل الآن فى هذه المنطقة محطة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطلى . وتقدر مساحة هذه المنطقة بحوالى مائتى فدان كان الخليفة المستنصر الفاطمى قد وهبها إلى كبيرة مطرباته السيدة نسب الطبالة فسميت هذه المنطقة باسم أرض الطبالة . وكانت بها بركة كبيرة اسمها بركة الرطلى وكذا كانت بها بركة الطبالة . وقد أطلق اسم بركة الرطلى على حى كبير من أحياء هذه المنطقة الآن .

وإلى جنوب هذه البركة كانت تلال وآكام تمتد خارج باب الحسينية حتى محطة كوبرى الليمون وميدان محطة مصر الحالى. وإلى شمال هذه البركة كان يمر خليج الطوابه بعد اختراق هذه الآكام. وكان هذا الخليج يعرف أيضاً باسم خليج المغربى وهو الخليج الناصرى القديم. وكان يصب فى الخليج الكبير بالقرب من جامع الظاهر. وفى مدة الفيضان كانت بركة الرطلى تمتلىء بمياه النيل وتسبح فيها القوارب والفلائك وتنعكس عليها الأضواء فتصبح من أجمل أمكنة النزهة بالقاهرة. وكانت أرض الطبالة هذه خارج سور القاهرة. وفى عصر محمد على ردمت بركة الطبالة وبركة الرطلى بأتربة التلال التى كانت محيطة بها فتحولت أراضيها إلى بيوت ومساكن. وكان بيت لينان بك دى بلفون كبير مهندسى محمد على باشا يقع إلى غرب بركة الرطلى القديمة.

وكان يلى أرض الطبالة، خط المقس، وكان هذا القسم يشمل المنطقة الكبيرة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى ومن الشمال بشوارع الطبلة والطواشى والشمبكى وبين الحارات. ومن الغرب بميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلى وشارع عماد الدين. ومن الجنوب بشارع قنطرة الدكه وشارع القبيلة ودرب القطة وشارع الفوطية وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين حتى تقابله بشارع الخليج. وأهم معالم هذه المنطقة هو جامع أولاد عنان الذى كان يعرف أيضاً باسم جامع المقس.

وإلى جنوب خط المقس كانت أراض زراعية يغمرها ماء النيل سنويا وكان يتخلف فيها بعد الفيضان بركة كانت تعرف ببركة الأزبكية. وإلى هذه البركة ينسب شارع وجه البركة المعروف اليوم باسم شارع قنطرة الدكة. فإلى الشمال الغربى من بركة الأزبكية كان يقع حى النصارى بدرو به وأزقته الضيقة ومساكنه الحقيرة الخشبية حيث كان يقيم أقباط القاهرة. وكان هذا الحى ضمن خط المقس المذكور سابقا. وقد نقلت إليه البطريركية

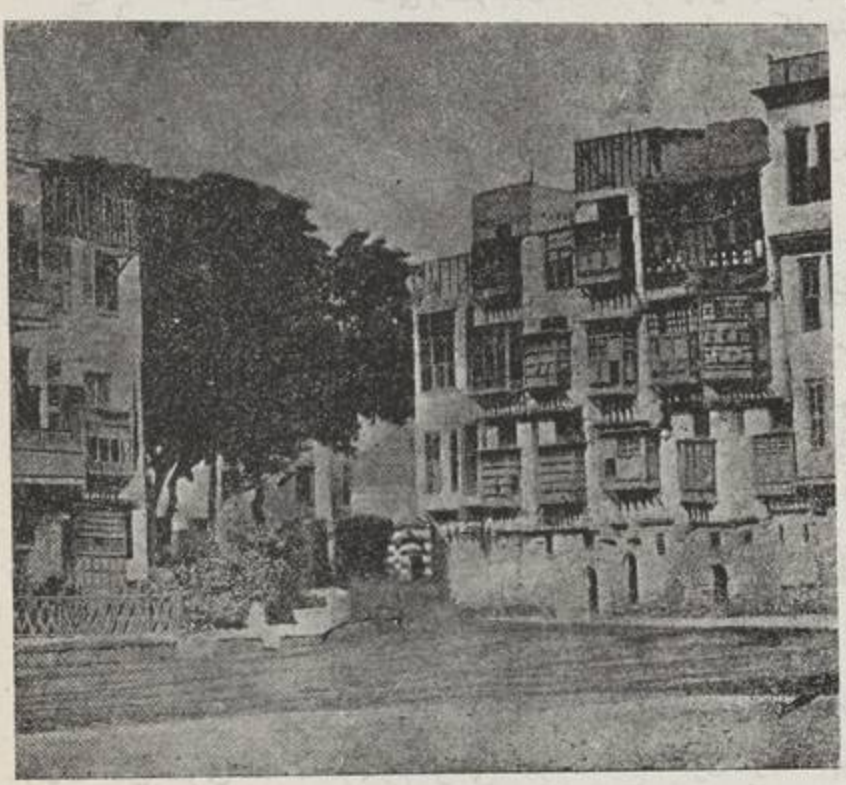

بيوت الأقباط بحى النصارى الذى كان يقع إلى الشمال الغربي من بركة الأزبكية

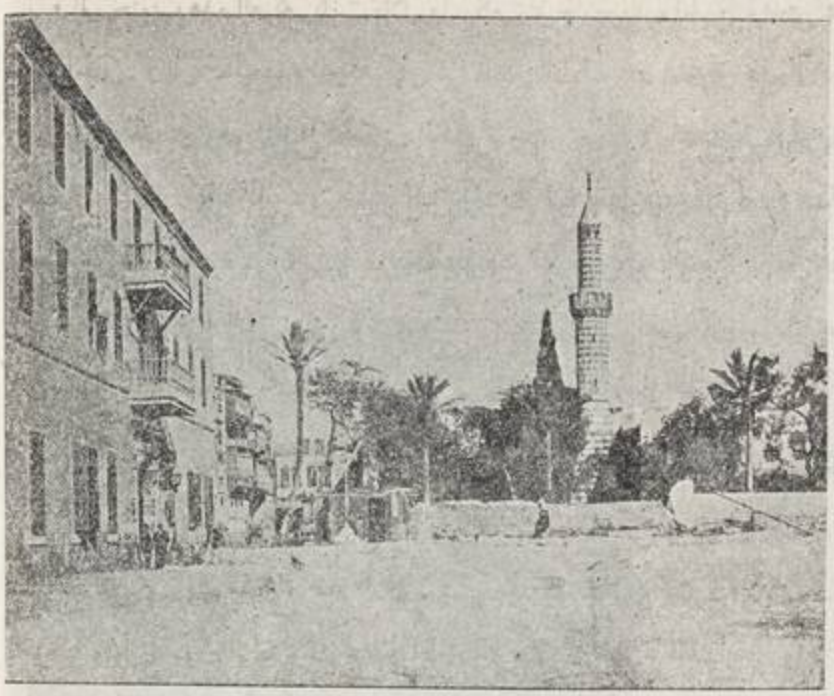

مسجد الأمير أزبك الذى تنسب إليه منطقة «الأزبكية» وقد هدم سنة ١٨٧٥ بمناسبة فتح شارع محمد على وتنظيم ميدان العتبة الخضراء ونقل منبره الثمين إلى جامع سيدنا الحسين . وترى بجواره فندق الشرق حيث كان ينزل فرديناند دى لسبس وكبار مهندسى شركته أثناء حفر قنال السويس.

القبطية فى عصر الحملة الفرنسة سنة ١٧٩٩ م من مقرها القديم بحارة الروم بقسم الدرب الأحمر . وفى السنوات الأخيرة جدد بناء الدار البطريركية بالدرب الواسع .

أما الدرب الواسع هذا فقد عدل حديثاً وسمى بعد تعديله وتوسيعه شارع الكنيسة المرقسية وهو يصل الآن ما بين شارع كلوت بك وميدان قنطرة الدكة .

وإلى شرق بركة الأزبكية كان يقع خط الأفرنج وكان خطا كبيراً يحد من الغرب ببركة الأزبكية . ومن الشرق بالخليج المصرى . ومن الشمال بخط المقس. ومن الجنوب بشارع الموسكى الحالى و بمقبرة هائلة كانت تعرف باسم مقبرة الأزبكية . وكان بجوارها جامع أزبك الذى هدم سنة ١٨٧٥ أثناء تنظيم ميدان العتبة الخضراء .

وكان هذا الحى محل إقامة التجار الفرنسيين والشوام والروم والإيطاليين . وكانت أهم معالمه حديقة روسيتى الشهيرة التى يخترق أراضيها الآن شارع الأمير فاروق من جهة فمه عند العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة) وكانت هذه الحديقة مشهورة بأشجار الغار والسنط والجميز والنخيل والزيتون التى كانت تنمو فيها نمواً هائلا . وحول هذه الحديقة كانت دور قناصل الدول الأوربية وأهمها دار قنصل فرنسا المسيو دروفيتى ونائب القنصل المسيو ماتيو دى لسبس والد فرديناند دى لسبس صاحب مشروع قنال السويس . ثم دار تياترو القاهرة وهو المسرح الذى أنشئ فى عهد حملة بونابرت ومكانه الآن سينما مصر . وقبل السينما الحالى كان فى نفس هذا المكان ملهى رقصت فيه شفيقة القبطية وغنت فيه السويسية وتوحيده ومنيرة المهدية وسواهن .

وكان هناك على شاطئ بركة الأزبكية فندق واجهورن وكان يديره رجل انجليزى . وكما كان يوجد فندق دومرج وموقعه الآن جنوبى نقطة تقاطع شارع الموسكى بشارع الخليج المصرى . وقد اشتهر فندق دومرج هذا بسهراته الممتعة التى كانت تشترك فيها امرأتان فرنسيتان حضرتا مع بعثة سان سيمونيان وهما: أجاريت كوسيدير وكلورند روچيه .

ثم فندق موناى الذى أنشئ فى عهد الحملة الفرنسية . وفندق جاردينو الذى أسسه إيطالى كان فى خدمة الوالى محمد على.

وقد تخلّف عن هذا الحى للآن كنائس كثيرة للأفرنج منها كنيسة العذراء بشارع حوش الحين وكنيسة العائلة المقدسة و بطريركية ومدرسة الأقباط الكاثوليك بدرب الجنينة بقسم الموسكى.

وكان خط أو حارة الأفرنج بوابات ضخمة تقفل ليلا .

أما فى غرب بركة الأزبكية فكانت تقع سراى الألفى بك التى نزل بها بونابرت فى عهد الحملة الفرنسية وقتل فى حديقتها الجنرال كليبر كما نزل بها محمد على باشا و بويع فيها والياً على مصر . وقد تحولت هذه السراى إلى لوكندة باسم شبرد سنة ١٨٣٤ فى عهد محمد على باشا . و إلى غرب هذه السراى كانت بساتين وحقول يليها خليج المغربى الذى كان يغذى بركة الفواله و بركة الصابر وهى من البرك التى ردمت فى عهد محمد على باشا بواسطة الأتربة المنقولة من التلال والآكام التى كانت تمتد من محطة مصر إلى السبتية و بولاق على الشاطئ الغربى للخليج الناصرى. و إلى غرب هذه التلال كانت حقول وأراضى زراعية ثم مدينة بولاق ثغر القاهرة على النيل .

وكانت بولاق متصلة بالأزبكية بطريق مهّده لوبير كبير مهندسى الحملة الفرنسية وكان يطلق عليه اسم طريق بولاق ثم عرف بشارع ابو العلاء ومكانه شارع فؤاد الأول . وكان طريق بولاق يخترق التلال الموازية لخليج المغربى . وقد أزيلت هذه التلال ومكانها الآن المدارس الايطالية ببولاق ومكاتب شركة مياه القاهرة الخ . . .

أما بولاق فكانت بلدة صغيرة لا تتجاوز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية ومن الجنوب بشارع اسطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور ومن الغرب بنهر النيل .

أما المنطقة الممتدة بين بولاق شمالا ومنشاه المهرانى التى بها اليوم مستشفى قصر العينى وكليه الطب جنوباً ، فكانت لغاية سنة ١٨٠٥ كيمانا موحشة وخرائب مقفرة وأراضى زراعية و بساتين . فلما جاء محمد على باشا دخل جزء من هذه المنطقة اسمه بستان الخشاب فى ملك إبنه إبراهيم باشا . أما بستان الخشاب هذا فيجد الآن من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب بنهر النيل . ومن الجنوب بمستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل وما فى امتداده شرقاً إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع شارع المبتديان حده الشمالى .

أقول : دخل هذا الجزء فى ملك إبراهيم باشا وهو خرائب وتلال ، فعسكر فيه الجيش المصرى فى خيام أقيمت هناك ، و بعد قليل بنيت ثكنات للجند فى مكان الخيام .

ولما ذهب ابراهيم باشا إلى حرب الشام سنة ١٨٣١ ، أمر بإزالة التلال و إصلاح أرض هذه المنطقة وتمهيدها . فلما عاد من هذه الحرب سنة ١٨٣٥ وجد الأرض ممهدة فأنشأ لنفسه قصرا فيها سماه القصر العالى . وكان هذا القصر فى الحقيقة مكوناً من قصرين ، أسكن فى القصر الجنوبى زوجته الأميره خوشيار قادين والدة الخديوى إسماعيل باشا،

وأسكن فى القصر الشمالى زوجته الأمير شيوه كار قادين والدة الأمير أحمد رفعت باشا. وكان القصران متجاورين يجمعهما سور واحد ، غير أنه كان بينهما فاصل مبنى بالحجر . ثم بنت الأميرة خوشيار بجانب قصرها جملة مساكن خاصة بالحاشية والخدم والجوارى .

وقد أحيط القصر العالى بحديقة كبيرة وتم كل ذلك سنة ١٨٣٥ . وكان القصر يقع فى المنطقة التى تحد الآن من الجنوب بشارع مستشفى اللادى كرومر ومن الشمال بشارع ابراهيم باشا نجيب ومن الشرق بشارع القصر العينى ومن الغرب بنهر النيل .

وظل هذا القصر قائماً حتى سنة ١٩٠٦ . وقد سكنه إسماعيل باشا وولد له فيه الخديو توفيق باشا فى ٣٠ إبريل سنة ١٨٥٢ ، ثم تمت فيه أفراح الأنجال وهي احتفالات رائعة عملت بهذا القصر بمناسبة زواج أنجال الخديو اسماعيل باشا وهم توفيق باشا وأخوته حسين كامل باشا ، وحسن باشا وفاطمة إسماعيل .

ثم آل هذا القصر إلى الدائرة السنية فباعته سنة ١٩٠٦ بثلاثة أرباع مليون جنيه مصرى إلى شركة أجنبية يرأسها المسيو شارل باكوس فهدمته الشركة وباعت أنقاضه وأثاثه وتحفه وأشجار حدائقه النادرة وأزهارها العجيبة إلى كبار أعيان المصريين ، ثم قسمت أرضه بشكل منحنيات . ويعرف مكانه الآن باسم جاردن ستى أى مدينة الحدائق . وقد تسابق القاهريون فى شراء أثاث هذا القصر وستائره وبسطه ورخامه ومراياه ، وجهزت عرائس الذوات من هذه المشتريات . كما اشترى المنشاوى باشا منه أشجار حدائقه بالقرشية بمديرية الغربية التى اشتهرت بأجود أصناف المانجو .

هذا أما باقى أرض هذه المنطقة فكان بها بركة الفراعين التى ردمت ومكانها الآن ميدان عابدين كما كان بها بركة السقايين وبركة أبو الشامة وخلافها . وقد ردمت كل هذه البرك أيضاً ونشأت بدلها الأحياء الحديثة المعروفة الآن بالمنيرة والإنشا والدواوين وعابدين وباب اللوق وقصر الدوبارة وقصر النيل إلخ إلخ . . . .

الاراضى والاحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج :

أما على الضفة الشرقية للخليج فكنت تجد من الشمال إلى الجنوب جامع الظاهر بمساحته الهائلة وقدرها ثلاثة أفدنة تقريباً . وكان الفرنسيون قد حولوه إلى قلعة عرفت باسم قلعة سلكوفسكى وجعلوا من مئذنته مرصداً للمراقبة وأقاموا به ثكنات للجنود وعلى بعد قليل منه أقاموا مقبرة مؤقتة للجنرال كليبر . فلما جاء محمد على باشا حول جامع الظاهر الى مخبز للجراية ومعمل للصابون . وكان حول هذا الجامع من الجنوب بساتين وحدائق ثم تلال فى جنوبها بركة جناق .

وكانت حارة الحسينية تقع خارج باب الفتوح وسور القاهرة الشمالى وتمتد إلى شرق جامع الظاهر وإلى جنوبه .

وكانت التلال تمتد من باب الحسينية إلى الفجالة حتى باب الحديد . وقد أزيلت واستعملت أتربتها فى ردم بركة الرطلى وبركة الطبالة كما قلنا سابقاً .

أما داخل السور فكنت تجد قاهرة المعز القديمة وبها حارة اليهود وحارة الروم وسواها .

أما بركة الفيل فكانت أرض زراعية منخفضة يغمرها النيل وقت الفيضان وكانت تقع إلى شرق الخليج خارج سور القاهرة الجنوبى وكانت تشمل قديماً المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الحبانية ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب بشارع مراسينا ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقى حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى . ومن الشرق بقية شارع نور الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبد الرحمن بك وما فى امتدادها حتى تقابل الحد البحرى .

وكانت بركة الفيل من أجمل متنزهات القاهرة وقد فتن الناس جمال موقعها فانشأ أغنياء القاهرة دورهم حولها ، ثم تحولت أرضها تدريجاً من الزراعة الى السكن . ولم يبق من أرض البركة بدون بناء إلى سنة ١٨٠٠ م التى رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أمر محمد على بردمها ، ثم أقيمت عليها فيما بعد سراى عباس باشا الأول والى مصر المعروفة بسراى الحلمية وحديقتها الكبيرة .

وفى سنة ١٨٩٤ قسمت أراضى الحديقة .

وفى سنة ١٩٠٢ هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضاً وبيعت جميع القطع وأقيمت عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة .

وإلى شرق بركة الفيل كانت تقع القلعة بأسوارها المشعثة وقصورها المخربة وكانت قد لاقت كثيراً من مدافع الفرنسيين وثورات الجنود والحرائق . فلما جاء محمد على باشا أصلح أسوارها

القاهرة — بركة الفيل كما كانت فى عصر محمد على باشا وترى بستان الحبانية الذى كان يطل عليها .

القاهرة — الدور والمنازل المحيطة ببركة الفيل كما كانت فى عصر محمد على باشا .

و بنى بها جامعه وقصره المعروف باسم قصر الجوهرة. ثم أعاد تنظيم القلعة و بنى بها مصانع حربية وداراً للمحفوظات الحكومية وثكنات لجنوده وأخرج منها باقى سكانها الأجانب .

أما إلى جنوب بركة الفيل فكنت تجد آثار مدينة القطائع والعسكر ثم مصر القديمة .

فاذا تركت السواقى السبع التى يقع فم الخليج بجوارها تشاهد أطلالا عالية تطل اليوم على سكة حديد حلوان وتعرف بتلال زينهم وعين الصيرة . وهذه الأطلال هى البقية الباقية من عواصم مصر الاسلامية القديمة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع التى تخربت بيوتها منذ القدم ، كما أنها أنقاض البيوت التى هدمتها مدافع الفرنسيين والقيت هناك ، فتجمع منها على مر السنين تلال عالية وصل ارتفاعها إلى خمسين وستين متراً وراء مسجد السيدة زينب ومسجد ابن طولون . وقد تكونت بنفس هذه الطريقة تلال البرقية المعروفة اليوم باسم تل قطع المرأة فى شرق المدينة .

وفى زمن محمد على باشا كانت التلال تكتنف مدينة القاهرة من كل جانب كما ذكرنا وتملأ جوها رمالاً سافية تضيق الأنفاس وتقبض الصدور . فصدر الأمر إلى المهندس الفرنسى بونفور بازالتها وإنشاء متنزهات مكانها ، فظل يقطع من هذه التلال ثمانى سنوات و يطرحها فى البرك حتى تخلصت القاهرة من كثير منها .

على أن أطلال طولون الحالية كانت أعلى مما هى الآن إذ أن جزءاً كبيراً منها استعمل فى ردم بركة الفيل عندما أمر محمد على باشا بردمها .

وكان يطل على بركة الفيل بستان الحبانية . ولا يزال هذا الإسم يطلق على سكة الحبانية . والحبانية اسم لبطن من إحدى قبائل العرب ينتهى نسبها لطى . أقامت هناك فأطلقوا اسمها على ذلك البستان .

ومن الأسماء التى تسترعى أنظارنا إلى اليوم فى الأحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج شارع الوافدية القريب من محطة السيدة زينب على سكة حديد حلوان . والوافدية قوم من التتر من أصحاب الأمير جنكل بن البابا . وحكر أقبغا المنسوب إلى الأمير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى أذن للناس بتعمير هذه الناحية والبناء فيها .

ثم الخرنفش وكان فى أيام الفاطميين ميداناً بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى . فلما زالت الدولة الفاطمية اختط وصارت فيه المساكن والأسواق والحمامات وسمى « الخرشتف » وهو ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من القمامات وغيرها ، وقد حرف هذا الإسم وأصبح الخرنفش .

أما شارع بين السورين ، فكان يمتد من باب القنطرة إلى باب سعادة ، وكانت منازله تشرف على الخليج من جهة وعلى هذا الشارع من جهة أخرى .

تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا

تلك كانت حال مدينة القاهرة العمرانية فى عصر محمد على باشا . وقد كانت إزالة التلال المحيطة بها وردم البرك

التى تتخللها من كل جانب من أهم الأعمال الإنشائية التى تدين بها القاهرة الحديثة بسلامتها لعصر محمد على باشا ، وإبراهيم باشا .

قال كلوت بك فى كتابه لمحة عامة إلى مصر :

« كانت هذه المشروعات من أكبر الأعمال أثراً فى تطورات مدينة القاهرة العمرانية والصحية فى عصر محمد على باشا وإبراهيم باشا ، وكان عدد سكان القاهرة فى هذا العصر لايزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، كما كان عدد شوارعها ودروبها وأزقتها وحاراتها المتعرجة المتكسرة حوالى ٢٤٠ بين شارع وحارة ودرب ، لا يزال بعضها باقياً للآن باسمه الأصلى مثل شارع الصليبة وشارع السيدة زينب وشارع الموسكى وشارع الشعرانى وشارع السيدة نفيسة وشارع مرجوش والحمزاوى وحارة الزير المعلق والبلاقسة وعمرشاه والسادات الخ . . . وترجع هـذه الأسماء كلها إلى عصر محمد على باشا .

كما كان بها أربعة ميادين وهى قره ميدان (ميدان صلاح الدين حالياً) وميدان الرميلة (ميدان محمد على حالياً) بالقلعة ، وميدان الأزبكية حيث حديقة الأزبكية الآن ، وميدان قناطر السباع (ميدان السيدة زينب الآن) .

وقد قسم محمد على القاهرة إلى ثمانية أقسام عرف كل قسم منها باسم التمن وهى : تمن الدرب الأحمر ، وتمن الأزبكية ، وتمن الخليفة ، وتمن عابدين ، وتمن باب الشعرية ، وتمن مصر القديمة ، وتمن بولاق ، وتمن درب الجماميز .

قناطر الخليج :

أما القناطر التى كانت على الخليج فى هذا العصر تربط الأحياء الغربية بالأحياء الشرقية فكثيرة نذكر منها : قنطرة السد ، وكانت تعرف أيضاً باسم قنطرة الماوردى وموقعها الآن عند تقابل شارع الخليج بشارع مدرسة الطب . وقناطر السباع وموقعها الآن بميدان السيدة زينب ، وكانت عبارة عن قنطرتين رسمها علماء الحملة الفرنسية على خريطة القاهرة سنة ١٨٠٠ . وفى كتاب وصف مصر . وكانت الأولى تصل بين شارع الكومى وشارع السد ، والثانية تصل بين شارع الكومى وشارع مراسينا . وقنطرة عمر شاه يتوصل منها إلى حكر قوسون . وقنطرة آق سنقر يتوصل منها إلى الحبانية . وقنطرة باب الخرق ومكانها الآن بميدان باب الخلق مقابل فم شارع تحت الربع . وقنطرة الموسكى أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب صلاح الدين الأيوبى ، وإليه ينسب حى الموسكى وشارع الموسكى الذى فتح فى عهد محمد على باشا . وقنطرة الأمير حسين . وقنطرة باب القنطرة ومكانها الآن بميدان باب الشعرية بشارع الأمير فاروق مقابل فم شارع أمير الجيوش الجوانى . وقنطرة باب الشعرية التى عرفت فيما بعد باسم قنطرة الخروبى ، ومكانها الآن بالقرب من ميدان العدوى . والقنطرة الجديدة أو قنطرة الذى كفر على امتداد سكة رحبة عابدين . وقناطر الأوز ، ويتوصل إليها من الحسنية . وقنطرة غمرة . وقنطرة الأميرية الخ .

وكانت كل هذه القناطر مبنية بشكل عقد ذات عين واحدة ما عدا قنطرة السد التى كانت ذات عينين . وظل الخليج يغذى القاهرة وضواحيها بمياه الشرب فى عصر محمد على باشا . فكان السقاؤون ينقلون المياه منه بقربهم إلى أزيار فى المنازل لترشيحها . وكان لبعض المنازل صهاريج تحت الأرض تملأ إبان فيضان النيل ، ثم تسحب منها المياه بالدلاء بقية أيام السنة . وكانوا يحتفلون بفتح الخليج سنوياً عند وفاء النيل احتفالا رائعاً خلّد الأدباء بدائعه وأنسه .

وسائل الانتقال :

وكانت أهم وسيلة من وسائل الانتقال بالقاهرة فى عصر محمد على هى متون الحمير ، فكان الغلمان المكارية يقفون صفوفاً حول بركة الأزبكية بحميرهم البيضاء الجميلة وقد وضعوا عليها سروجاً مزينة أحسن زينة ، وكانوا يقطعون الطرق عدواً خلف دوابهم وهم حفاة الأقدام دون أن تبدو عليهم دلائل التعب أو الإعياء . وكانت هناك مركبات تجرها الخيول والبغال ؛ ولكن قليلون كانوا يفضلونها على الحمير كما كان العلماء يركبون البغال والأتراك يركبون الخيول

طريق الأوفر لندروت أو الطريق البرى :

سبق لنا دراسة هذا الطريق فى كتاب منطقة قنال السويس ص ٣٠٨ ولكن لا بد من كلمة هنا عن مرور البضائع والبريد والركاب بالقاهرة فى طريقها بين أوربا والهند أو بلاد الشرق . فقد صادف مشروع واجهورن الخاص بجعل مصر ملتقى طرق المواصلات بين الشرق والغرب هوى فى نفس محمد على باشا ، وكان يهمه قبل كل شىء سلامة مرور البريد بالأراضى المصرية نظراً لمنافسة طريق الفرات وطريق رأس الرجاء الصالح للطريق البرى .

و بفضل عطف محمد على باشا نجح مشروع واجهورن نجاحا حمله على تأسيس فندق واجهورن بالقاهرة واختار بقعة جميلة فى شبرا لتكون مزرعة تمون السائحين بالخضار والفاكهة .

وكان المسافرون إذا ما وصلوا إلى ثغر بولاق ينقلون فى عربات كبيرة تسع الواحدة ١٢ شخصاً إلى الفندق . أما البريد والبضائع فكانت تفرغ على رصيف الجمرك ثم تفرز ، وتحمل على جمال تسير قوافل مجتازة صحراء السويس . وكانت البضائع تسلم إلى مشايخ العربان بسندات وحوافظ لتوصيلها إلى ربان الباخرة ، والنقد فى عهدة صراف ، والبريد فى عهدة الحمالة والقواصين الأتراك لتسليمه إلى ربابنة السفن ، وكان أكثر المسافرين يفضلون قضاء يومين أو ثلاثة أيام فى القاهرة لزيارة معالمها التاريخية وأسواقها ، ثم يستأنفون السفر إلى السويس . فكانت تقلهم عربات أمنيبوس تنهب الأرض نهباً إلى السويس عن طريق الصحراء .

وأخذت أهمية الطريق البرى « الأوفرلندروت » تزداد . فلما تحولت إليه تجارة الشرق ، قرر محمد على إنشاء مصلحة خاصة بالطريق البرى تتناول الأعمال المتعلقة به والإشراف على حركة نقل الركاب والبريد والبضاعة .

وجعل مقر الديوان بالعتبة الخضراء — مكان سوق الخضار القديم بأول شارع الأمير فاروق . ووضعت تعريفة للسفر بين الاسكندرية والقاهرة ، ثم ألغى محمد على الشركة الإنجليزية التى كانت تتولى الترانسيت وحول أعمالها إلى مصلحة المرور .

وفى سنة ١٨٣٣ وصلت إلى الأسكندرية بعثة الآباء السيمونيين وكان غرضها عمل المباحث اللازمة لحفر ترعة ملاحية تخترق برزخ السويس وتصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، فلما فشلوا فى الحصول على امتياز هذا المشروع التحقوا بخدمة الوالى محمد على وقام علماء هذه البعثة بإعداد مشروعات هامة لمحمد على منها : مشروع القناطر الخيرية ومشروع نشر التعليم بمصر . وكان منهم المسيو برينودى دونباسل الذى قام بإعداد حدائق شبرا النموذجية، والمسيو لامبير الذى تولى إدارة مدرسة المهندسخانة ببولاق ، والمسيو برونو الذى قام بإدارة مدرسة المدفعية بطره ، ولينان بك دى بلفون الذى قام بمشروعات الرى الكبرى والقناطر وسواها من الأشغال العمومية بمصر .

أهم المبانى التى أنشئت بالقاهرة فى عهد محمد على باشا :

جلس محمد على على عرش مصر مدة ٤٣ سنة ، فأنشأ فيها من المبانى ما لا يدخل تحت حصر لكثرته وتشعبه . فمن مدارس حربية بأبى زعبل إلى مصانع بالقلعة إلى مسابك للحديد بالسبتية إلى معامل للبارود بالمقطم إلى ثكنات عسكرية وحصون وخنادق إلى قصور ومساجد وأسبلة إلى مبانى قديمة عدّلها وغير وضعها ، وأضاف إليها كثيراً أو قليلا .

وقد نشر الأستاذ حسن عبد الوهاب نبذة جميلة بمجلة العمارة بالعدد ٣ و ٤ سنة ١٩٤١ عن العمارة فى عصر محمد على نقتطف منها ما يلى مع التصرف .

وقد امتازت العمارة والزخرفة فى عصر محمد على بخلق عناصر جديدة لم تكن موجودة من قبل بمصر . إستعان محمد على بمهندسين وعمال أجانب استدعاهم من استامبول ومن بلاد الروم لتشييد قصوره ومساجده وأسبلته ، فكان لذلك أثر محسوس فى إيجاد تصميمات جديدة للقصور ذات السلالم المزدوجة ، والأبنية الخشبية المجللة بالبياض . وظهرت الوجهات ذات الكرانيش المرتفعة ، كما ظهرت الشبابيك البيضاوية والعمد الرخامية الرشيقة . و بطل استعمال الرخام الملون الدقيق الذى كان يمتاز به عصر الغورى وحل محله الرخام الأبيض الأسلامبولى والألبستر المستورد من بنى سويف والرخام المصرى المستورد من الهرم وأسيوط وأدفو . كذا انعدمت المشربيات وحلت محلها الشبابيك الحديثة ، وكثر انتشار التماثيل كما نقشت صور الأسماك حول الفساقى .

أما الأسقف المذهبة ذات البراطيم والمربوعات المقسمة تقسيما جميلاً فبطلت وحلت محلها أسقف جملونية مزخرفة ومذهبة .

حى جاردن سيتى الذى يقوم اليوم مكان القصر العالى وترى بالرسم شاطئ النيل ورأس جزيرة الروضة
ودار السفارة الإنجليزية وبعض عمارات هذا الحى الحديث

وقد تأثرت المساجد ذات القباب الضخمة المنشأة فى عصره بالطرز البيزنطية للكنائس المسيحية بالقسطنطينية .

وفى هذا العهد ظهرت لأول مرة زخارف تركية تمثل زهوراً وعناقيد عنب ومناظر طبيعية تعرف باسم روكوكو . وشاع فى عهده وفى عهد أسرته إنشاء نوع جديد من الأسبلة المكسوة جدرانها بالرخام والمزخرفة بالروكوكو والخطوط الجميلة .

وعند ما ظهر هذا النوع من البناء والزخرف فى قصور محمد على ، أخذ ينتشر فى أنحاء القاهرة . فانشىء على غراره قصر لكريمته زينب هانم بالأزبكية وقصر آخر لكريمته نازلى هانم على ساحل النيل هدمه الوالى سعيد باشا و بنى محله ثكنات قصر النيل الحالية .

وقد حذا حذوه فى إنشاء العمارات على هذا الأسلوب بنوه وكبار موظفيه . فبنى إبراهيم باشا قصر القبة على هذا الطراز . كما بنى أيضاً قصر المغارة بالروضة . والقصر العالى على شاطىء النيل ببستان الخشاب .

أما قصر القبة حيث ولد الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٨٧٤م وشقيقه سمو الأمير محمد على باشا سنة ١٨٧٥م فلا يزال قائماً بضاحية القبة بالقاهرة . وهذه الضاحية منسوبة إلى القبة التى بناها الأمير يشبك سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧) م فى عهد السلطان الأشرف قايتباى . ومما يذكر أن لهذا الأمير قبة ثانية معروفة وهى القبة الفيداوية بالعباسية .

أما قصر المغارة بالروضة فقد اندثر وكان يقع على الشاطىء الغربى لهذه الجزيرة بالقرب من مدخل كوبرى عباس حلمى الثانى على يمين الداخل من الجزيرة إلى الكوبرى . وحل مكانه الآن منازل حديثة الطراز جميلة البناء .

أما القصر العالى فقد اندثر أيضاً وحل محله الآن حى جاردن ستى المعروف .

ثم بنى الوالى عباس باشا الأول قصراً بالخرنفش آل فيما بعد إلى أسرة البكرى وما زال موجوداً وبه مقر مشيخة الصوفية . و بنى أحمد باشا يكن داراً عظيمة فى عطفة عبد الله بك . كما بنى أخوه إبرهيم باشا يكن داراً بسويقة اللالا بقسم السيدة زينب . و بنى احمد باشا طاهر قصراً فى الأزبكية . و بنى خورشيد باشا السنارى داراً فى عابدين . كما أنشأ المرحوم شريف باشا قصره بجهة الهدارة بقسم عابدين .

وعرفت المبانى التى من هذا النوع فى ذاك الوقت بالمبانى الرومية وكثرت فى داخل القاهرة وضواحيها .

وفى زمن الوالى عباس الأول بنيت عدة قصور على هذا الطراز بالحلمية والعباسية والدار البيضاء بطريق السويس .

وفى عصر الخديو اسماعيل باشا بدأ التهذيب والتغيير يدخل على هذا الطراز . وشاع فرش طرقات الحدائق بالزلط الملون برسوم جميلة . ثم سرى الطراز الحديث فى مبانى القاهرة حتى طغى على هذا الطرز واحتل مكانه .

وإليك الآن أهم منشآت محمد على الباقية والتى يتجلى فيها هذا الطراز .

القصور :

١ — قصر محمد على بشبرا الخيمة : الباقى منه الآن الكشك المعروف بالفسقية . وقد تقرر أخيراً إعادة هذا الكشك الجميل إلى ما كان عليه من قبل ثم إنشاء حديقة عامة مترامية الأطراف مساحتها ٧٠ فدانا للنزهة حوله مع انشاء شوارع جديدة عرضها ٤٠ متراً فى هذه المنطقة ، ومع إعادة انشاء قنطرة بيبرس التاريخية الموجودة هناك

شارع شبرا

وفى سنة ١٨٠٨ لما أنشأ محمد على باشا قصر شبرا الخيمة فتح شارع شبرا الحالى ليكون طريقاً بين القاهرة والقصر وأقام على جانبيه أشجار اللبخ والجميز . وأنشأ فى شبرا مصنع المبيضة لصق مدرسة شبرا الثانوية الحالية (سراى الأمير عمر طوسون باشا) لتبيض المنسوجات . ثم أنشأ حدائق شبرا النموذجية ومدرسة للطب البيطرى ومدرسة للزراعة بها .

شارع شبرا الذى فتح سنة ١٨٠٨

٢ — قصر الجوهرة : بنى هذا القصر سنة ١٨١٢ . وهو مشيد فوق مجموعة من القلاع القديمة الصغيرة داخل أسوار القلعة . وكان هذا القصر مقر الحكم فى عهد محمد على باشا . يعقد فيه مجلس الوالى ويستقبل فيه سفراء الدول ومعاونيه فى الحكم ، وكانت به دار العدل ، ومكان إقامة الوالى قبل أن تبنى له قصوره . ولما انتقلت دواوين الحكومة من القصر ، وانتقل منه مقر الحكم ، أهمل حتى تشعثت مبانيه وأصبح خرائب وأطلالا إلى أن رأى جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله أن يكون لهذا القصر ما يستحقه من التخليد ، فأمر بترميمه و إعادته إلى ما كان عليه فى عهد منشئه . وقد أصبح هذا القصر الآن بعد تجديده تحفة فنية رائعة جديرة بالاعجاب . وقد نقشت على أعتاب أبواب حجراته صور سفن الأسطول المصرى فى عصر محمد على . وبه حمام بديع من الرخام الألبستر المصرى من محاجر بنى سويف . ومن هذا القصر يتجلى منظر خلاب لمدينة القاهرة .

٣ — قصر الحرم : داخل القلعة ويشرف على جبل المقطم وعلى الخطابة وعلى مدخل القلعة . أمر بانشائه الوالى محمد على باشا سنة ١٨٢٧ م وخصصه للحرم . وبهذه المناسبة نذكر أن محمد على كانت له زوجتان :

الأولى : أمينه هانم التى رزق منها خمسة أولاد منهم ابراهيم باشا ابنه البكر . والثانية : ماه دوران هانم

(أوقش قادين) ولم يرزق منها أولاداً . وكان لمحمد على فوق ذلك ٢٧ مستولدة . وجملة أولاده من الجميع ٣٠ ولدا منهم ١٧ ذكراً و ١٣ بنتاً .

٤ — **دار المحفوظات** : هذه الدار بالقلعة. أمر بإنشائها الوالى محمدعلى باشا سنة ١٨٢٨ لحفظ أوراق الحكومة وملفاتها ومستنداتها الثمينة وهى مبنية بالحجر وتشبه القلاع الحربية .

٥ — **دار الضرب** : أنشئت هذه الدار بالقلعة سنة ١٧٠٩ م لسك النقود فى عصر المماليك الشراكسة . وأمر محمد على باشا بتجديدها سنة ١٨١٢ م. وما زالت هذه الدار موجودة شرقى قبلى مسجد محمد على بالقلعة . وكانت مشهورة بجودة وضبط مسكوكاتها وكان عدد عمالها ٥٠٠ عامل .

الأسبلة :

١ — سبيل محمد على بالعقادين . هذا السبيل على رأس حارة الروم بالغورية . أنشأه محمد على سنة ١٨٢٠ م صدقة على روح ابنه طوسون باشا المتوفى سنة ١٨١٦ . وهو نصف دائرى ومكسو بالرخام وبه باب وخمسة شبابيك نحاسية مزخرفة .

٢ — سبيل محمد على بالنحاسين . هذا السبيل بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقا) فى مواجهة مسجد الناصر محمد بن قلاوون ومدرسة الظاهر برقوق. أنشأه محمد على سنة ١٨٢٩ صدقة على روح ابنه اسماعيل باشا المتوفى بالسودان ١٨٢٢ م وهو سبيل فخم مكسو بالرخام المصرى وبه أربعة شبابيك نحاسية مزخرفة .

وظهور هذا النوع الجديد من الأسبلة طغى على الطرز القديمة للأسبلة وظل شائعاً إلى عصر الخديو اسماعيل . وهذا بيان وتاريخ أهم الأسبلة التى أنشئت على هذا الطرار :

١ — سبيل السلحدار على رأس حارة برجوان أنشأه سليمان أغا السلحدار سنة ١٨٣٩ م .

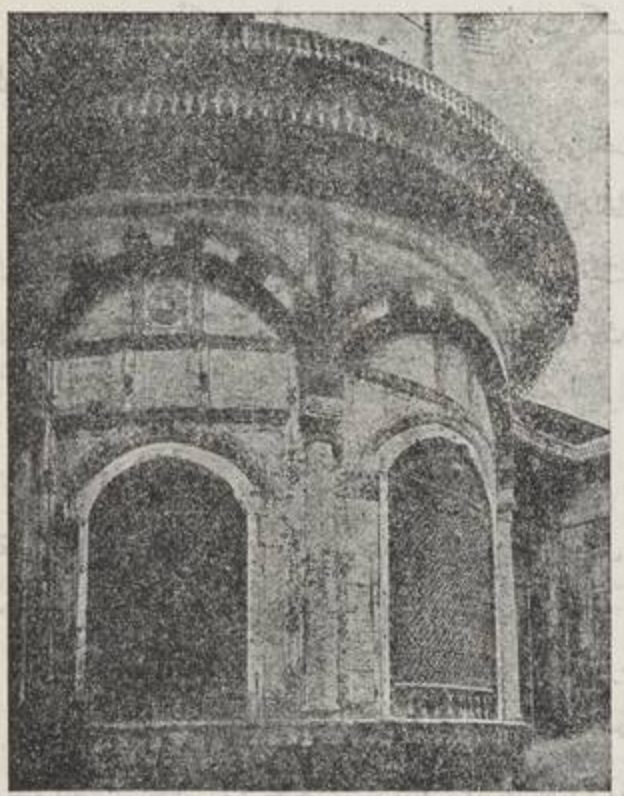

القاهرة — سبيل العقادين

٢ — سبيل أم حسين بك — أمام مسجد عبد الغنى الفخرى بشارع بين النهدين — أنشأته والدة حسين بك نجل محمد على باشا سنة ١٨٥٣ .

٣ — سبيل والدة مصطفى باشا فاضل أمام مسجد بشتاك بدرب الجماميز .

٤ — سبيل أحمد باشا — أمام المشهد الحسينى — أنشأه المرحوم أحمد باشا عم الخديوى توفيق سنة ١٨٦٤ م.

٥ — سبيل أم عباس بشارع الصليبة — أنشأته المرحومة والدة عباس باشا ابن عم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٧م.

٦ — سبيل الشيخ صالح . أنشأه الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٧ م .

٧ — سبيل أم حسين المعروف بسبيل أولاد عنان بميدان باب الحديد أنشىء سنة ١٨٦٩ م .

المدارس الحربية :

فى سنة ١٨٢٥م أنشأ محمد على مدرسة الجهادية الحربية بالقصر العينى وكان عدد طلبتها ٦٠٠ طالب زاد إلى ٨٠٠ طالب من الترك والشركس والكرد والأرمن والمصريين وكانوا يدرسون التركية والعربية والإيطالية . وظلت المدرسة بالقصر العينى ١١ سنة ثم نقلت سنة ١٨٣٦ إلى أبى زعبل ثم أغلقت أبوابها سنة ١٨٤٢ .

وفى سنة ١٨٣٢ اختار محمد على ناحية الخانكة لإنشاء معسكر عام للجيش وأنشأ هناك :

١ — مدرسة للمشاة وكان بها ٤٠٠ طالب يتعلمون الفنون الحربية واللغات العربية والتركية والفارسية .

٢ — مدرسة أركان الحرب وقد سماها رفاعة بك مكتب الرجال . وكان بها ٢٠٠ طالب من الترك والمصريين والسودانيين .

٣ — مدرسة الموسيقى كان بها ١٣٠ طالبا و ٤ مدرسين تحت رياسة المسيو كاريه .

وقد ألحق محمد على بهذه المدارس جامعاً للصلاة بناه على الطراز التركى البسيط لا تزال آثاره باقية للآن . ثم نقلت هذه المدارس إلى أبى زعبل . وفى أيام عباس الأول نقلت إلى الجيزة ثم أغلقت . وفى عهد سعيد باشا نظمت مدرسة القلعة فى أغسطس سنة ١٨٥٦ وأشرف عليها رفاعة بك ثم نقلت إلى القناطر الخيرية .

مسجد محمد على بالقلعة :

بعد أن تم لمحمد على ما أراده من تشييد المدارس والمصانع والمعامل شرع فى سنة ١٨٣٠ فى بناء هذا المسجد بالقلعة . واستمر العمل سائراً بلا انقطاع حتى توفى محمد على إلى رحمه الله سنة ١٨٤٨ فدفن فى المقبرة التى أعدها مدرسة لنفسه داخل هذا المسجد .

وكان المسجد فى هذه الأثناء قد كمل ما عدا بعض أعمال الرخام والبياض فأتمها الوالى عباس باشا الأول .

وهذا المسجد بيزنطى الطراز بنى على مثال مسجد السلطان احمد بالآستانة . وجدرانه مكسوة من الداخل والخارج بالرخام المصرى المجلوب من محاجر بنى سويف وارتفاعها ٢٤ متراً و يبلغ ارتفاع القبة الكبرى من أرضية المسجد ٥٢ متراً وقطرها ٢١ متراً ويحيط بها أربعة أنصاف قباب من جهاته الأربع . وله مئذنتان رشيقتان يبلغ ارتفاعهما ابتداء من مستوى أرض المسجد ٨٥ متراً .

ولذا يرى هذا المسجد من جميع أنحاء القاهرة لابل من مشارفها البعيدة . وكما أن الأهرام وأبى الهول هى رمز مصر القديمة فهذا المسجد رمز مصر الحديثة ، وما من سائح زار مصر إلا وحج أولا إلى أهراماتها ثم عرج ثانياً على مسجد السلطان حسن ثم مسجد محمد على بالقلعة .

وقد كان هذا المسجد محل رعاية جميع ملوك مصر بعد محمد على ، فلما ظهر خلل فى قبته فى عهد ساكن الجنان الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله أمر بترميمه و إصلاح الخلل، ولكن سرعان ما ظهر أن الأصلاح يستلزم إزالة القبة الكبرى وأنصاف القباب المحيطة بها ثم إعادتها ثانياً ، وقد كان . وتم الإصلاح وافتتح المسجد للصلاة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعزه الله فى يوم الجمعة ٥ محرم سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩) م .

حصن محمد على المشرف على قمة المقطم خلف القلعة :

أدرك محمد على بثاقب نظره أهمية هذا المكان المتحكم من الخلف فى القلعة ، فقرر إقامة حصن هناك يشرف على القلعة وعلى القاهرة وجعله حصناً قوياً منيعاً زوده بخزان كبير للمياه و بكثير من المدافع الضخمة والأسلحة .

القناطر الخيرية :

أنشأ محمد على هذه القناطر عند رأس الدلتا لترفع ماء النيل فى فترة الصيف إلى الدرجة اللازمة لامداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضى الدلتا . وقد بدىء بإنشائها سنة ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل الا فى سنة ١٨٦٣ فى عهد الوالى محمد سعيد باشا لما صادفه من صعوبات جمة عطلته زمناً ليس بالقليل .

وكان من أثر هذه الصعوبات أن ضعفت أساساتها تدريجاً ضعفاً دعا إلى استعمال الحذر فى تحميلها ضغط الماء والالتجاء إلى اتباع قاعدة خاصة فى الحجز عليها من شأنها ضياع ملايين من الأمتار المكعبة من مياه النيل تذهب هباء إلى البحر . فقر الرأى على إنشاء قناطر محمد على الحديثة بدلا من هذه القناطر فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله وافتتحها مليك النيل المفدى فاروق الأول فى يوم الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

وقد كتب على المدالية الذهبية التى وضعها محمد على بيده فى الحجر الأساسى للقناطر الخيرية ما يلى :

فى يوم الجمعة ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ هـ وضع محمد على المولود فى قوله سنة ١١٨٤ هـ أساس القناطر الخيرية لتقدم البلاد ونفعها بعد أن تولى حكم مصر ٤٣ سنة .

وقد أشرف على بناء هذه القناطر لينان بك وموجل بك ومصطفى بهجت افندى ومظهر افندى المهندسون .

وقبل الشروع فى بناء القناطر الخيرية شقت ثلاث ترع (رياحات) فى ثلاث اتجاهات لرى أراضى الدلتا أولها الرياح التوفيقى لرى الأراضى الواقعة إلى شرق فرع دمياط وثانيها الرياح المنوفى لرى وسط الدلتا وثالثها الرياح البحرى لرى الأراضى الواقعة إلى غرب فرع رشيد .

الفصل الثامن

عصر اسماعيل باشا

١٨٦٣ — ١٨٧٩

من محمد على الى اسماعيل :

بعد انتهاء حرب الشام الثانية وانتصار الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا على الجيوش التركية فى موقعة «نصيبين» فى يونيو سنة ١٨٣٩ ، تألبت الدول الأوربية على محمد على وعضدت السلطان التركى ضده ، وانتهى الأمر باصدار فرمان سنة ١٨٤١ الذى كان من أهم شروطه تثبيت أسرة محمد على باشا على عرش مصر وحدها وحرمانه من الدول الأخرى التى فتحها ، ونقص عدد الجيش المصرى إلى ١٨٫٠٠٠ جندى وقت السلم ، ودفع جزية للسلطان قدرها ٣٢٠٫٠٠٠ جنيه مصرى سنوياً . ونظراً لنقص عدد الجيش ، رأى محمد على نفسه مضطراً ، إلى إهمال كثير من المصانع ، و إغلاق كثير من المدارس ؛ ثم تنازل عن الحكم لابنه الأكبر ابراهيم باشا فى ولية سنة ١٨٤٨ ومات فى أغسطس سنة ١٨٤٩ ودفن بمسجده بالقلعة .

الخديو اسماعيل باشا

وقد انقضى بين تنازل محمد على عن العرش سنة ١٨٤٨ ، وتولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ فترة من الزمن طولها ١٥ سنة تولى فيها الحكم كل من ابراهيم باشا فى ولية سنة ١٨٤٨ ، وعباس باشا الأول فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، ومحمد سعيد باشا سنة ١٨٥٤ . ثم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ . أما ابراهيم باشا فلم تطل مدة حكمه ، لأن صحته كانت قد ضعفت لكثرة ما بذله من جهود فى حروبه وفتوحاته المتعددة ، فمات فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وكان أبوه لا يزال حياً فحزن عليه حزناً شديداً .

وكان الأمير عباس بن طوسون بن محمد على أكبر أمراء أسرة محمد على من الذكور إذ ذاك ، فآل إليه العرش طبقاً لفرمان سنة ١٨٤١ ، وتولى الحكم فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وظل والياً إلى أن قتل فى قصره بينها سنة ١٨٥٤ . ثم آل العرش بعده إلى أكبر الأمراء سناً وهو الأمير محمد سعيد بن محمد على من زوجته عين الحياة قادين هانم افندى ، فتولى الحكم سنة ١٨٥٤ وظل به إلى أن توفى سنة ١٨٦٣ . ثم جلس

اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا على عرش مصر سنة ١٨٦٣ ، ومنح لقب خديو مصر سنة ١٨٦٧ ، وظل يحكم مصر مدة ١٦ سنة إلى أن خلع بعد اختلال مالية البلاد سنة ١٨٧٥ .

تطورات القاهرة بين عهدى محمد على واسماعيل :

وكانت القاهرة قبل تولية الخديو اسماعيل قد تطورت تطورات محسوسة وابتدأت تتشكل نهائياً بشكلها الحديث الحالى بفضل المشروعات العمرانية الضخمة ، التى تمت فى هذه الفترة مثل اتصالها بالإسكندرية بخط السكة الحديد الذى تم وافتتح رسمياً سنة ١٨٥٦ واتصالها بالسويس بخط آخر تم سنة ١٨٥٨ . وكانت هناك أيضاً أعمال حفر قنال السويس التى بدأت سنة ١٨٥٩ وجعلت تسير فى طريقها بهمة . وكان من الطبيعى أن تنمو القاهرة بسبب هـذه المشروعات العمرانية الـكبيرة ، فامتدت مبانيها فى هذه المدة فى الاتجاه الشمالى الشرقى وفى الاتجاه الشمالى ، وظهرت هناك أحياء جديدة أهمها العباسية وشبرا وروض الفرج .

العباسية :

عرف هذا الحى باسم العباسية نسبة إلى الوالى عباس باشا الأول وهو أول من عمره إذ أنشأ سنة ١٨٤٩ ثكنات للجيش فى المنطقة الواقعة الآن على يمين المار فى شارع الخليفة المأمون تجاه سراى الزعفران وتبعه التجار والأهالى ، فأنشأوا عدة منازل لسكناهم ودكاكين لتجارتهم بالقرب من هذه الثـكنات فى المنطقة المعروفة الآن باسم العباسية البحرية تجاه المحطة النهائية لترام العباسية من الجهة الغربية ، فعرفت هذه المنطقة من ذلك الوقت باسم العباسية لقربها من ثكنات الوالى عباس الأول . وبعد ذلك أنشأ ضباط الجيش دوراً لسكناهم فى هذه الجهة وكانت الأراضى تمنح مجاناً لمن أراد البناء فاتسع العمران فيها .

وقبل عهد الخديو اسماعيل كانت مبانى العباسية لا تتجاوز المنطقة الواقعة بين سراى الزعفران والقبة الفداوية ولـكن فى أيام هذا الخديو أنشئت ثكنات أخرى أزيل بعضها الآن ومكانه الحدائق الواقعة بين سراى الزعفران وشارع الملـكة نازلى وما زال بعضها الآخر موجوداً ومنها مستشفى النساء المصابات بالأمراض العقلية وغيرها .

الوايلية والدمرداش والمحمدى والقبة :

وبالقرب من العباسية كانت قرية الوايلية وكان يقيم بها قديماً عرب من بنى وائل فنسبت إليهم وعرفت بالوايلية. وكذا قرية الدمرداش والمحمدى وأبعد من ذلك كله كانت سراى القبة التى أنشأها إبراهيم باشا بجوار قبة يشبك وهو صاحب القبة الفداوية أيضاً . وإلى قبة يشبك الأولى ينسب حى القبة الحالى . هذا ما كان جهة الشمال الشرقى.

شبرا وروض الفرج :

أما من جهة الشمال فكانت القاهرة قد امتدت فى اتجاه شبرا . وكانت محطة السكة الحديد التى تمت مبانيها

سنة ١٨٥٥ تقع خارج أسوار المدينة القديمة عند بوابة الحديد . وقد حرقت هـذه المحطة سنة ١٨٨٢ لما دخل الإنجليز القاهرة عقب ثورة عرابى باشا بسبب انفجار ذخيرة الجيش البريطانى فى أحد مخازنها . ثم بنيت المحطة الحالية بدلها على الطراز العربى الجميل وأنشئت فيها البوابة الملكية صورة طبق الأصل لبوابة وكالة الغورى بشارع التبليطة بالقرب من الجامع الأزهر .

محطة القاهرة الأصلية
وقد حرقت بسبب انفجار الذخيرة فى إحد مخازنها عقب الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢

أما حى شبرا الحالى فكان يعرف قديماً باسم جزيرة الفيل وذلك لأنه كان فعلا جزيرة تكونت وسط النيل فى نهاية العصر الفاطمى عندما كان الشاطئ الشرقى للنيل ينتهى إلى مكان ميدان باب الحديد الحالى ، وعندما كانت قرية المقس حيث جامع أولاد عنان الآن هى ثغر القاهرة على النهر. فقد حصل إذ ذاك أن غرقت مركب اسمها الفيل فى النيل مقابل ثغر المقس . وسرعان ماطمى البحر حولها وكون جزيرة كبيرة سميت بجزيرة الفيل . وقد اتصلت هذه الجزيرة فيما بعد بأرض المقس وبأرض الطبالة و ببولاق وأطلق عليها فى العصر التركى اسم جزيرة بدران نسبة إلى الشيخ بدران صاحب المقام الكائن بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج .

وفى سنة ١٨٠٠ كانت أراضى شبرا كلها أراضى زراعية و بساتين . وكانت قرية جزيرة بدران تقع فى الجنوب

الغربى من هذه الأراضى ، فلما أنشأ محمد على باشا قصر شبرا الخيمة فتح فى سنة ١٨٠٨ شارع شبرا الحالى ليكون طريقاً بين القاهرة وقصر شبرا .

وفى عهد الوالى محمد سعيد باشا آلت ملكية بعض أطيان جزيرة بدران إلى الوالى وأسرته، فأنشأ محمد سعيد باشا فى أطيانه هناك قصر النزهة على شارع شبرا سنة ١٨٥٨ ، ثم أنشأت أنجى هانم حرم الوالى سعيد باشا بعد وفاته قصراً ومسجداً بجزيرة بدران سنة ١٨٦٥ . وأنشأ شيكولانى قصره المشهور . كما كان قصر زينب هانم بنت محمد على باشا يقع على شارع شبرا بالقرب من نهايته الشمالية .

وفى عهد الخديوى اسماعيل آل قصر النزهة إليه فجعل منه دار ضيافة للحكومة . ثم نقلت مدرسة المعلمين من مكانها بدرب الجنينة فى عهد الخديوى توفيق إلى هذا القصر الذى تشغله اليوم المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا .

وفى سنة ١٨٦٩ أنشأ الأمير طوسون بن محمد سعيد باشا والى مصر ووالد المغفور له الأمير عمر طوسون سرايه العظيمة بملاصقة مصنع المبيضة الذى أنشأه محمد على باشا الكبير على طراد النيل القديم المعروف الآن بشارع ابى الفرج. وتشغل هذه السراى اليوم مدرسة شبرا الثانوية .

و بعد ذلك قام بعض الأمراء والأميرات و بعض كبار الموظفين والأعيان والتجار بانشاء القصور الفخمة والبساتين الزاهرة على جانبى شارع شبرا . وأصبح هذا الحى الجديد مكان نزهة أهل القاهرة ورياضتهم ، فأقيمت هناك بعض المقاهى وغيرها من أماكن التسلية .

وكان الوصول من القاهرة إلى شبرا على ظهور الحمير البيضاء الجميلة المطهمة . كما كانت العربات الفخمة التى تجرها الجياد المجرية ، تتهادى فى سيرها بشارع شبرا وهى تحمل أفراد الأسرة الخديوية يتقدمها السواس لإفساح الطريق و إظهار عظمة الراكبين .

و بسبب الأعمال الهندسية التى عملت فى مجرى النيل بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٥ لتحويل مجراه من الغرب إلى الشرق تجاه القاهرة و بولاق ظهرت أرض طرح بحر جديدة سنة ١٨٦٦ غربى شارع أبى الفرج وجسر طراد النيل القديم . وهذا الطرح هو الذى فيه اليوم روض الفرج وساحل روض الفرج .

تخطيط القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل :

لما قدم هوسمان إلى الامبراطور نابليون الثالث فى منتصف القرن التاسع عشر مشروعه المشهور لإعادة تخطيط مدينة باريس ، أنتشرت فى كل بقاع العالم فكرة إعادة تخطيط المدن القديمة وانتقلت هذه الفكرة تبعاً لذلك إلى القاهرة ، فقام الخديو اسماعيل باشا بتنظيم جزء عظيم من مساحة المدينة الحالية وهو الجزء ذو الميادين والطرق الواسعة الفخمة المعروف إلى اليوم باسم منطقة الاسماعيلية و يمتد من شارع قنطرة الدكة شمالا حتى شارع مدرسة الطب جنوباً ومن شارع عماد الدين شرقاً حتى شارع الملكة نازلى غرباً .

قال أرتور رونيه يصف القاهرة وتطورا تها الحديثة التى حصلت فى عهد الخديو اسماعيل :

«لقد تطورت القاهرة إلى مدينة حديثة ولكنها أقل جاذبية من قاهرة القرون الوسطى ذات السحر الشرقى الفتان . فهؤلاء الأفندية وهؤلاء التجار الذين يخجلون اليوم من الظهور فى الشوارع إلا بملابسهم الأفرنجية كانوا إلى عهد قريب يتمتعون براحتهم الكاملة فى قفاطينهم الحريرية الطويلة الواسعة . وكانت المشربيات التى تزين واجهات الشوارع قديما تمتد فى خطوط متواصلة حتى تختفى عند نقطة التقابل حيث تبدو مآذن رشيقة ترتفع إلى السماء . أما اليوم فقد اختفت هذه المشربيات وحل محلها شبابيك مستطيلة لها ضلف من الزجاج وتم تصفيف المنازل على خطوط متوازية مستقيمة . اختفت إذن هذه المشربيات الجميلة المصنوعة من الخشب المخروط بتفنن فائق ولم يبق من آثار صناعة الخرط بالقاهرة إلا قطع من الأثاث الغريبة الشكل المصنوعة تقليداً لها .

من الآن فصاعدا سوف لا يرى السائح بالقاهرة إلا طرقاً واسعة وميادين رحبة عظيمة الطول والعرض تقوم على جوانبها مبانى تافهة يسمونها المبانى الأوربية » .

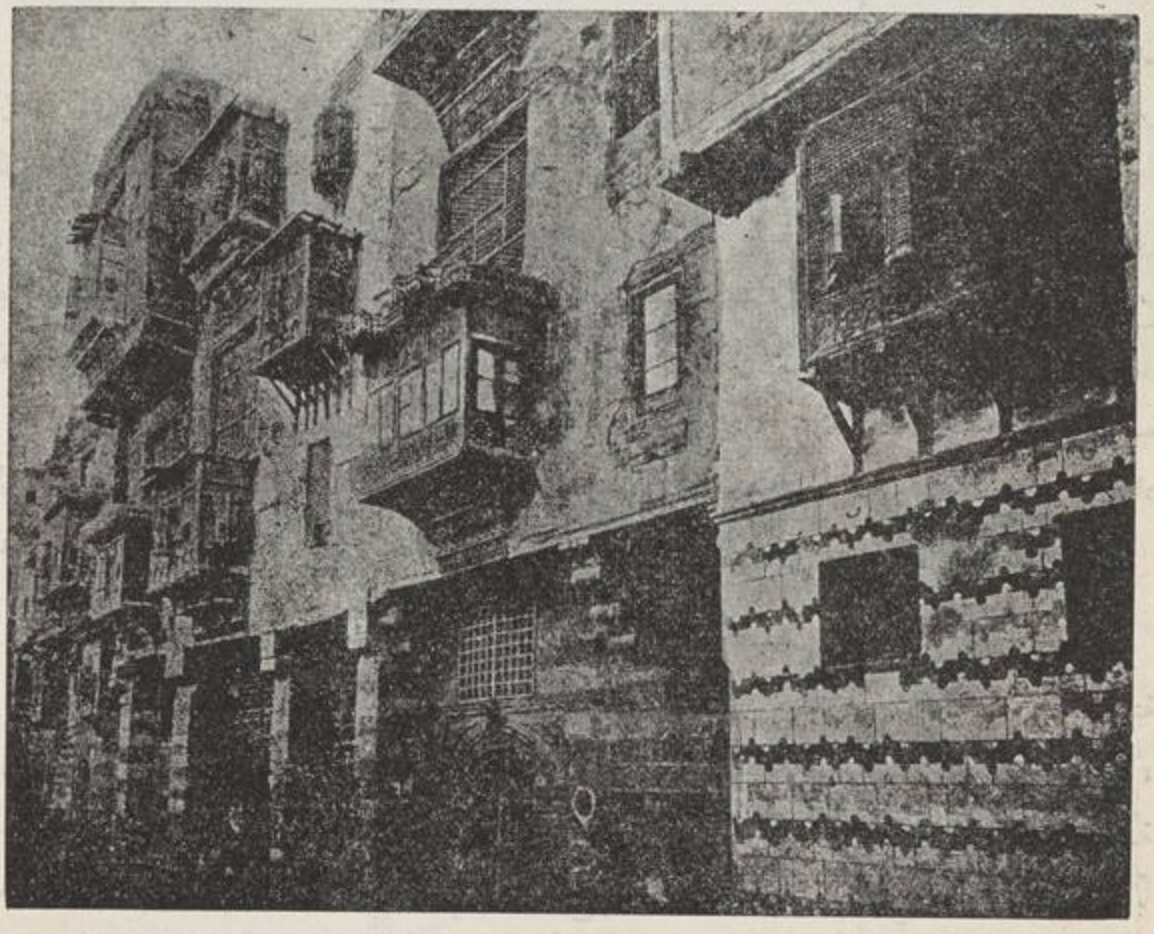

شارع الزيادة وكان يقع بمحاذاة الواجهة الجنوبية الغربية لجامع ابن طولون . وكانت به صفوف من المشربيات الجميلة .

هذا هو وصف أرتور رونيه لعاصمة القطر المصرى بعد ما أدخله عليها اسماعيل من التحسينات الحديثة ، ولكن فى الحقيقة لم تكن القاهرة فى عصر اسماعيل قد أضاعت كل سحرها كما يدعى أرتور رونيه فقد كانت المدينة القديمة لم تزل غاصة بأركان جميلة جذابة ، وكانت بعض أسواقها وأزقتها وحدائقها وقصورها ومقابرها القديمة لم تزل تفيض عليها من سحر جمالها وعظمتها ، وكل ما فعله اسماعيل أنه فى وسط دروب المدينة القديمة وأزقتها الضيقة شق كثيراً من الشوارع والميادين الفسيحة . كما أنه أمر بتخطيط الأراضى الفضاء التى كانت تحيط بالمدينة القديمة بعد تمهيدها وردم بركها و إزالة تلالها فنشأت بالعاصمة أحياء جديدة مثل الاسماعيلية وعابدين تزدان بها المدينة الحديثة .

مشروعات التخطيط والعمارة فى عصر اسماعيل :

أما أهم المنشآت ومشروعات التخطيط والعمارة التى تمت فى عصر اسماعيل لتجميل مدينة القاهرة الحديثة فهى :

أولا — تخطيط منطقة الأسماعيلية .

ثانيا — تخطيط منطقة الفجالة .

ثالثا — فتح شارع محمد على .

رابعا — بناء كوبرى قصر النيل .

خامسا — بناء سراى الجزيرة على مساحة قدرها ٦٠ فدانا بعد ردم أرضها بارتفاع مترين بطمي من النيل ثم إنشاء حدائق حولها تعيد بجمالها وعظمتها ما جاء باوصاف الف ليلة وليلة . وقد نزلت بها الأمبراطورة أوجينى لما جاءت إلى القاهرة بعد حفلات افتتاح قنال السويس سنة ١٨٩٦ .

سادسا — بناء سراى الجيزة على مساحة قدرها ثلاثين فداناً و إنشاء بستان الأورمان بعد ردم الأراضى بطمى من النيل بارتفاع مترين . وقد قام برسم البساتين فى الجيزه والجزيره وتنظيمها وتخطيطها المهندس باريل بك الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية فصارت بساتين الجيزة والجزيرة فريدة فى نوعها واتسعت حتى بلغت مساحة الأرض المشغولة بها ٤٦٥ فداناً .

سابعاً — بناء سراى عابدين .

ثامناً — بناء سراى الأسماعيلية الصغيرة وكانت تطل على ميدان الخديوى إسماعيل الحالى ثم هدمت فى عصر الاحتلال الانجليزى .

تاسعاً — فتح شارع السكة الجديدة على امتداد شارع الموسكى .

عاشراً — فتح شارع عابدين وتخطيط منطقة عابدين وميدان عابدين .

حادى عشر — تنظيم ميدان العتبة الخضراء .

ثانى عشر — أنشاء حديقة الأزبكيـة وتخطيط ميدان التياترو (ميدان الأوبرا الذي سمى حديثاً ميدان ابراهيم باشا) .

ثالث عشر — تعديل سراى العتبة الخضراء التى كانت تعرف ببيت الثلاثة وليه واشتراها عباس باشا الأول وهدمهـا ووسعها وبناها بناء محكماً لوالدته . و بقيت كذلك إلى زمن الخديوى إسماعيل . ثم لما نظم ميدان العتبة الخضراء ضاع منها جزء كبير و بقى منها القصر الذى كانت تشغله المحـكمة المختلطة قبل هدمها والبناء الذى به اليوم محطة مطافى القاهرة وديوان بوليس قسم الموسكى ونادى ضباط البوليس .

رابع عشر — فتح شارع كلوت بك.

خامس عشر — حفر ترعة الاسماعيلية تحت اشراف المهندس بروكار سنة ١٨٦٦ وقد تكلمنا عنها باسهاب فى كتاب منطقة قنال السويس ص ٢٠٨ .

سادس عشر — بناء دار الأوبرا .

سابع عشر — تمهيد شارع الأهرام .

ثامن عشر — فتح شارع بيت القاضى .

تاسع عشر — اقامة تمثال ابراهيم باشا بميدان العتبة الخضراء .

عشرون — اقامة تماثيل السباع على مداخل كوبرى قصر النيل .

واحد وعشرون — تأسيس شركة مياه القاهرة .

ثانى وعشرون — تأسيس شركة غاز القاهرة .

ثالث وعشرون — إنشاء المحاكم المختلطة .

رابع وعشرون — إنشاء دور التمثيل .

خامس وعشرون — إنشاء ديوان بوليس قسم الأزبكية ديوان بوليس قسم عابدين .

سادس وعشرون — اقامة تماثيل سليمان باشا الفرنساوى ولاظوغلى الخ الخ . مما لايدخل تحت حصر .

واليك الآن بعض البيانات عن أهم معالم المدينة فى عصر اسماعيل باشا :

الأسماعيلية :

زادت مساحة القاهرة فى عصر الخديو اسماعيل باشا نحو ألف فدان وامتد العمار فيها إلى مناطق كثيرة مستجدة منها منطقة الإسماعيلية التى تنسب إلى الخديو اسماعيل .

ففى عهد هذا الخديو قسمت الأراضى التى تقع اليوم بين شوارع عماد الدين وامتداده المعروف الآن بشارع محمد فريد بك و بين شوارع الملكة نازلى ومريت باشا وميدان الخديو اسماعيل وشارع قصر العينى وهى التى تشمل

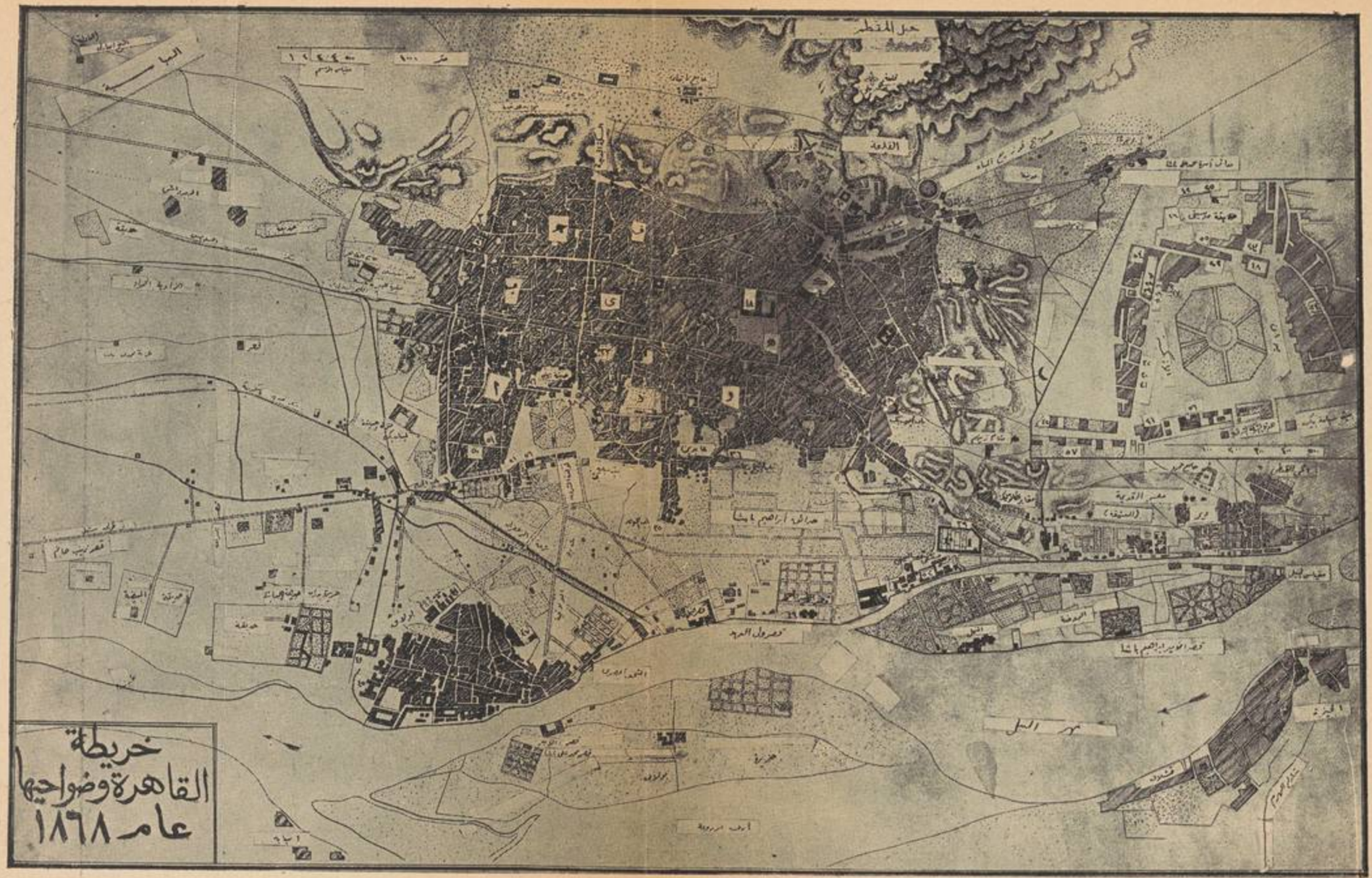

القاهرة كما كانت فى عصر اسماعيل باشا

أحياء الاسماعيلية والتوفيقية ومعروف وباب اللوق والدواوين والحواياتى والقاصد والانشا والمنيرة . وبعد أن خططت هذه الاحياء بدأ الناس فيها العمارة والبناء حتى صارت مشغولة بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواسعة والميادين الفسيحة كما ترى اليوم من شارع قنطرة الدكة إلى شارع مدرسة الطب .

قال على باشا مبارك فى كتاب الخطط التوفيقية :

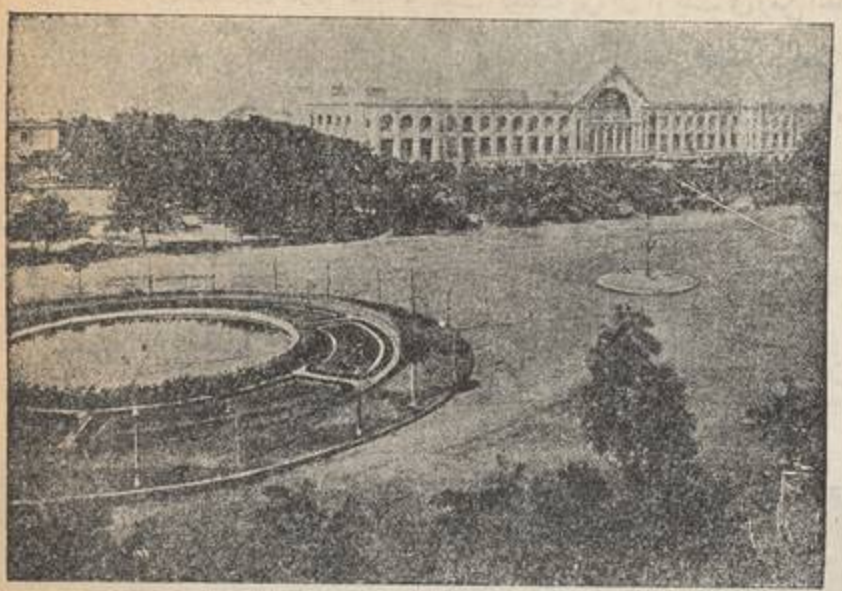

ميدان التياترو (ميدان الأوبرا) كما كان في عصر اسماعيل وقد ظهرت في الصورة لوكندة « نيو أوتيل » التى أصبحت بعد تعديلها لوكندة الكونتيننتال .

«وكان بهذه المنطقة قبل عهد اسماعيل كثبان أتربة وبرك مياه وأراض سباخ. فلما جاء الخديوى اسماعيل أمر بإزالة هذه الكثبان وردم هذه البرك وتمهيد جميع الأراضى وتخطيطها إلى شوارع وميادين وجعلت منازلها منفردة عن بعضها ودكت أرض شوارعها بالدقشوم وأنشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومدت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها ونصبت فيها فوانيس الغاز لاضاءتها وتنويرها فأصبحت من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها . »

الميادين التى أنشئت بالقاهرة فى عهد الخديوى :

ميدان العتبة الخضراء (محله الآن ميدان الملكة فريدة) . ميدان التياترو (ويعرف الآن بميدان ابراهيم باشا) . ميدان باب الحديد . ميدان عابدين تجاه قصر عابدين العامر . ميدان سوارس (ويعرف الآن بميدان مصطفى كامل). ميدان باب اللوق . ميدان الكوبرى تجاه كوبرى قصر النيل وسراى الاسماعيلية . ميدان الدواوين (ويعرف الآن بميدان لاظوغلى) . ميدان الأزهار . ميدان باب الخرق (باب الخلق) ويعرف الآن بميدان احمد ماهر باشا .

الفجالة :

فى القرن الثامن عشر الميلادى كان النصف الغربى من أرض الطبالة أرضاً زراعية تزرع فيها الخضروات وعلى الأخص صنف الفجل فاشتهرت هذه المنطقة باسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن

سميت الطريق التى كانت تجاور هذا الغيط من الجهة القبلية باسم شارع الفجالة وكان هذا الشارع يمتد موازياً لسور المدينة القديمة من باب الحديد إلى باب الشعرية . وفى عهد الحملة الفرنسية كانت أرض هذا الشارع غير ممهدة يصعب المرور بها فقام الفرنسيون بتنظيم شارع الفجالة هذا ومهدوه من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة العدوى .

وكان السالك فيه من جهة العدوى قديماً يرى عن يمينه القرية التى كانت تعرف بقرية كوم الريش والتى ذكرها المقريزى وقد صارت بعد ذلك تلالاً عالية و بقيت كذلك إلى أن أزيلت فى زمن الخديوى اسماعيل . وكان السالك فيه أيضاً يبصر عن بعد بركة الرطلى التى ردمت بعد إزالة التلول المذكورة وانتظمت هذه الخطة و بنى فيها مبانى هائلة وقصور فاخرة تحيط بها بساتين ناضرة وخططت فيها شوارع وحارات جميلة فأصبحت من أجمل أخطاط القاهرة فى عصر اسماعيل باشا وكثرت الرغبة فى سكناها وارتفعت قيمتها حتى بلغ ثمن المتر المسطح فى أرضها ثمانين قرشاً بعد أن كان لا يساوى قرشاً واحداً .

شارعى كلوت بك ومحمد على :

تم فتح هذين الشارعين حوالى سنة ١٨٧٥ فى عصر اسماعيل . وكان الغرض من فتحهما وصول الجيوش فى طريق مستقيم من محطة مصر إلى قلعة الجبل رأساً .

القاهرة — منظر بالطيارة لشارع محمد على عند نهايته بالقرب من جامع الرفاعى وهو شارع حديث شق فى وسط حى قديم .

أما شارع كلوت بك فيبدأ من ميدان باب الحديد وينتهى إلى ميدان الخازندار . وقد أقيمت واجهات منازله فوق بواكى تظلل السائرين على الأرصفة وتقيهم حرارة الشمس ومياه الأمطار على النظام الذى كان متبعاً فى الريف الفرنسى إلى أواخر القرن الثامن عشر . وقد بدئ حديثاً فى إزالة هذه البواكى .

ومما يلفت النظر أن منازل هذا الشارع الآن عبارة عن صفوف متواصلة من فنادق الطبقات الفقيرة أو الطبقات الساقطة .

أما شارع محمد على فيبدأ من ميدان العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة الآن) وينتهى إلى جامع السلطان حسن عند القلعة . وطوله نحو كيلو مترين. وكان بأوله المقابر المعروفة بتربة الأزبكية وبتربة المناصرة . وكانت هذه المقابر محاطة بالمنازل من جهاتها الأربعة . وكان جامع أزبك والحمام الذى بجواره يشرفان على هذه المقابر من جهة الشمال . فلما شرعت الحكومة فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على سنة ١٨٧٠ جاء مرور الشارع فى وسط هذه المقابر واحتاج الأمر إلى هدم جامع أزبك فهدم ونقل منبره الجميل إلى المشهد الحسينى . أما المقابر فأزيلت ونقلت عظام الموتى إلى قرافة الإمام الشافعى وغيرها . وفى سنة ١٨٨٠ صار تقسيم أرض هذه المقابر وبيع نصفها بمبلغ ١٦,٠٠٠ جنيه مصرى وشرع أصحابها فى بنائها فبنيت دكاكين وبيوتاً تفصلها حارات كبيرة وشوارع وأصبحت هذه البقعة من أعمر الأخطاط وأصقعها لقربها من الأحياء التجارية بالموسكى والأزبكية .

شارع الموسكى سنة ١٨٧٠

شارعى الموسكى والسكة الجديدة :

كان شارع الموسكى المؤدى إلى جميع أسواق المدينة القديمة قد فتح منذ عهد محمد على باشا . فقام الخديوى اسماعيل بفتح شارع السكة الجديدة على امتداده حتى تلال البرقية . وامتلأ شارع الموسكى وشارع السكة الجديدة بالدكاكين على الصفين وبعد أن كانت لهذه الدكاكين صبغة شرقية خاصة أصبحت لها اليوم واجهات زجاجية على النظام الأوربى . ولكنك مع ذلك تجد فى بعضها للآن خصوصاً جهة الصاغة جميع أنواع

متاجر العصور الوسطى مثل الأسلحة النوبية والبرانس المخططة المطرزة والأحزمة الحريرية والأوانى النحاسية المزينة بكتابات وآيات قرآنية والخواتم المركب عليها فصوص من حجر الحية أو الفيروز والعقود ذات القشرة الذهبية والمسابح المصنوعة من أحجار كريمة . الخ . الخ . .

ولم يزل خان الخليلى يحتفظ بطابعه الشرقى الخاص فهو للآن السوق الشرقية التى تباع فيها الأقمشة الثمينة والأسلحة المرصعة والصناديق المطعمة بالعاج والسجاجيد العجمية وغير ذلك من كنوز الشرق .

حديقة الأزبكية :

منذ سنة ١٨٦٧ تحولت بركة الأزبكية القديمة بأمر الخديو اسماعيل إلى ما هى عليه الآن فردمت أرضها بارتفاع مترين من طمى النيل وأنشئت فيها حديقة الأزبكية الحالية تحت إشراف المهندس الفرنسى باريل بك ، وغرست فيها الأشجار النادرة المجلوبة من جميع بقاع العالم، وأحيطت بسور مرتفع من البناء والحديد ، وفتح بها أبواب من جهاتها الأربعة، وجعلت بشكل مستطيل مشطوف النواصى . وتبلغ مساحة حديقة الأزبكية حوالى عشرين فداناً .

وعند تخطيط أرض بركة الأزبكية أخذ من شمال البركه ومن جنوبها أجزاء كبيرة أقيم على بعضها تياترو الأوبرا ودخل الباقى فى ميدان التياترو (ميدان الأوبرا ثم ميدان إبراهيم باشا الآن) وفى الميادين الأخرى التى عملت حول الحديقة . وقامت حول الحديقة شوارع جديدة كانت مبانيها ذات البواكى من أجمل مناظر القاهرة فى القرن الماضى .

دار الأوبرا وشارع الاهرام :

استقبل الخديوى اسماعيل ملوك أوربا وأمراءها بمناسبة حفلات افتتاح قنال السويس فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ استقبالا رائعاً فاق كل تصور . فلما حضرت الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث إلى القاهرة ومعها الملوك والأمراء تلبية لدعوة الخديو كانت دار الأوبرا قد انتهى من تشييدها فى ظرف خمسة أشهر فقط وقد بلغت تكاليف إنشائها ١٦٠ ألف جنيه ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر

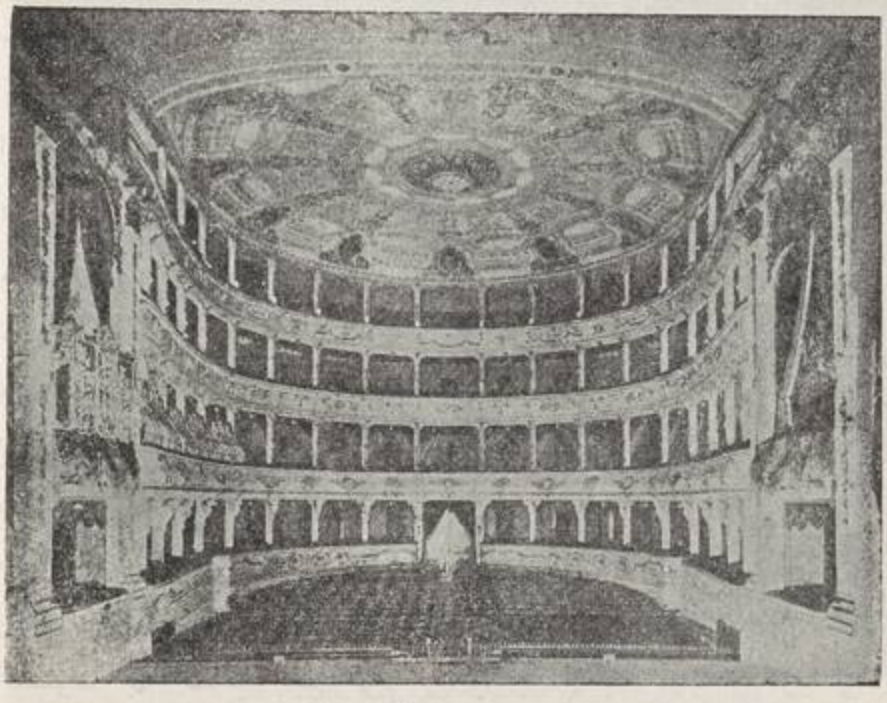

القاهرة — صالة دار الأوبرا الملكية .

سنة ١٨٦٩ أوبرا « ريجولتو » مضحك الملك بحضور ضيوف الخديو.

و بعد هذه الحوادث بنحو عامين عهد الخديو اسماعيل إلى الموسيقار الإيطالى المشهور « فردى » فى تلحين أول أوبرا مصرية لتمثل بهذه الدار فوضع له العلامة الفرنسى ماريت باشا قصة «عايدة» ليصور ألحانها . ومثلت بالقاهرة لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ فنالت نجاحاً عظيماً .

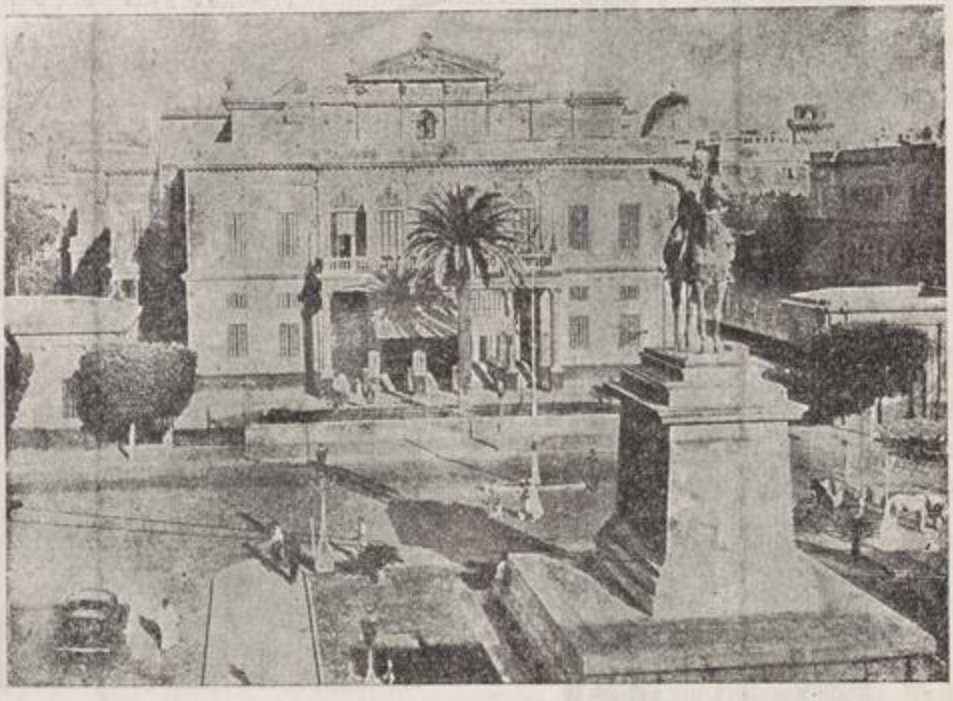

القاهرة — دار الأوبرا وأمامها تمثال ابراهيم باشا المقام وسط الميدان كما هو الآن .

و بمناسبة حفلات افتتاح القنال أيضاً تم تمهيد شارع الأهرام الأثرى القديم ليصل منه الخديو وضيوفه إلى أهرام الجيزة.

وفى سنة ١٩٣٣ أعيد توسيع هذا الشارع وتخطيطه حتى صار على ما هو عليه الآن .

كوبرى قصر النيل :

أنشأ اسماعيل باشا هذا الكوبرى سنة ١٨٧١ لربط ما بين سراى عابدين وسراى الجزيرة من جهة . وللترفيه عن سكان القاهرة إذا ما اشتد القيظ فى الصيف باجتياز النيل إلى الجزيرة من جهة ثانية . ولتوسيع حاضرة البلاد من جهة ثالثة .

وهو أول كوبرى أنشىء على النيل من منبعه إلى مصبه .

و بعد ٦٢ سنة من تاريخ إنشائه أى حوالى منتصف سنة ١٩٣٣ . وفى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله استبدل هذا الكوبرى بكوبرى الخديوى اسماعيل الحالى الذى جعل طوله ٣٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً خصصت منها خمسة أمتار لإفريزين على جانبيه عرض كل منهما متران ونصف . وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً .

ويقوم هذا الكوبرى على كتفين وسبع دعائم فى منتهى المتانة . وجمّل الكوبرى حتى يكون منظره متناسباً مع أهمية موقعه فأقيمت عند كل من مدخليه منارتان من حجر الجرانيت فى رأس كل منارة مصباح ، وأمامها واحد من الأسود الأربعة التى كانت قائمة على مدخل الكوبرى القديم . واحتفظ بها لتكون أثراً ناطقاً بفضل منشئه الخديوى اسماعيل .

كوبرى الخديوى اسماعيل الذى أقيم مكان كوبرى قصر النيل القديم .

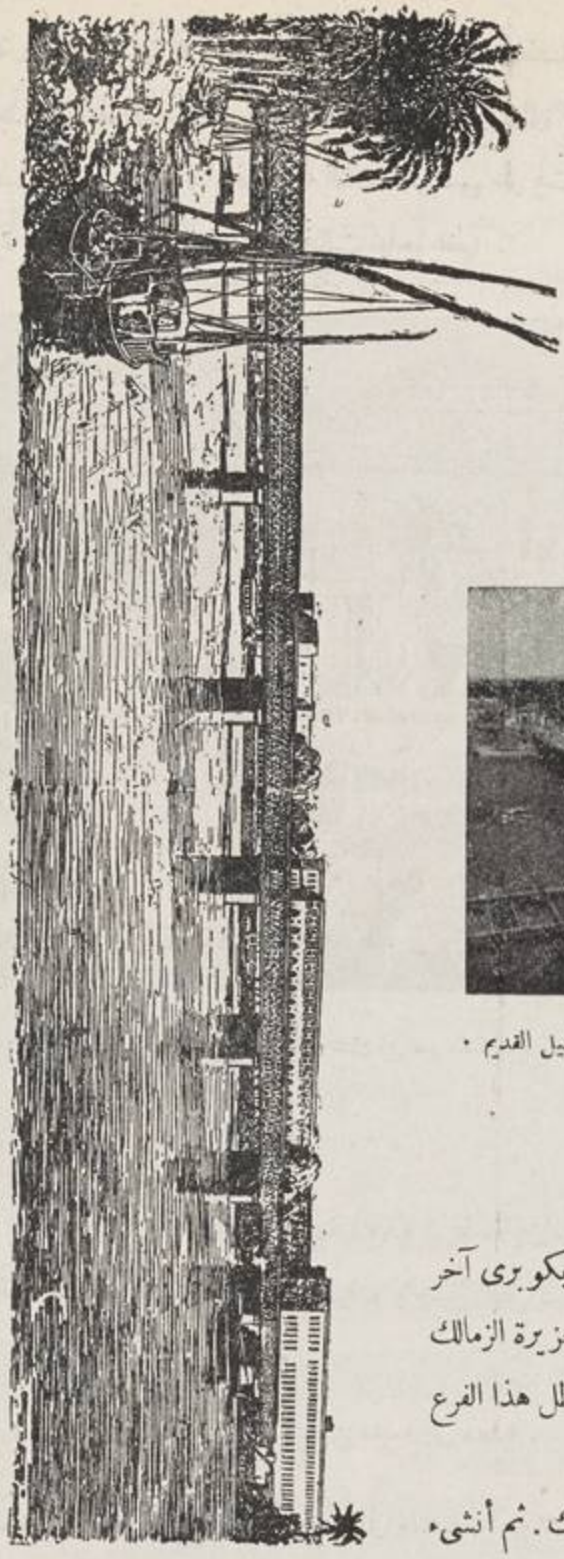

القاهرة — كوبرى قصر النيل (رسم مأخوذ من شركة فيف ليل) ويرى فى الصورة نكنات قصر النيل التى بناها الوالى محمد سعيد باشا

كوبرى الأعمى الآن (كوبرى الانجليز):

وربط الخديوى اسماعيل ما بين الجزيرة والجيزة بكوبرى آخر أنشىء على الفرع المعروف بالبحر الأعمى غربى جزيرة الزمالك قبل أن يطهّر هذا الفرع ويجرى فيه الماء . وقد ظل هذا الفرع مردوماً من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٨٥ .

وقد تكلف هذا الكوبرى مبلغ ٢٥٫٧٠٠ فرنك . ثم أنشىء كوبرى الإنجليز الجديد بدلا من الكوبرى القديم وهو متمم لكوبرى قصر النيل ويصل الجزيرة بالجيزة . وقد قامت بإنشائه شركة كليفلند وفتح للمرور سنة ١٩١٤ .

وطوله ١٤٥ متراً وعرضه ١٩ متراً منها ١٢ متراً للطريق وثلاثة أمتار ونصف لكل من الإفريزين . وكمراته من الطراز الشبكى .

قصر عابدين :

كانت القلعة وقصر الجوهرة مقر الوالى فى عهد محمد على وخلفائه إلى أن جاء الخديو اسماعيل وأراد أن ينهض بمصر نهضته المعروفة ليجعلها قطعة من أوروبا . فكان فى مقدمة ما عنى به أن بنى من القصور فى القاهرة ما فاق كل ما بناه أسلافه من الأمراء والولاة والسلاطين .

وأهم هذه القصور وأعظمها روعة وجلالا قصر عابدين العامر مقر الملك الرسمى فى مصر حتى الآن. بناه الخديو اسماعيل فى سنة ١٨٧٤ فى وسط مدينة القاهرة على اطلال منزل عابدين بك أحد المماليك بعد أن ضمت إليه مساحات كبيرة مما يجاوره حتى أصبح أفخم القصور الملكية وأفسحها . وأفاض عليه الخديو من أبهة الملك وعظمته حتى بلغت تكاليف بنائه حوالى ٠٠٠و٧٠٠ جنيه ، فضلا عن تأثيثه بأفخر الأثاث والرياش ومختلف الستائر والطنافس والأبسطة والأرائك . ثم أنشأ أمامه ميدان عابدين الرحب ومساحته تسعة أفدنة . وأقام على أحد جوانبه ثكنات الحرس. ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلها طرقاً للوصول الى القصر . وخطط منطقة عابدين كلها وردم ما كان حولها من برك مثل بركة الفراعين وبركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفواله وخلاف ذلك حتى أصبح هذا الخط من أجمل أخطاط القاهرة وأجدرها بمقر الملك .

وفى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله صار تجديد قصر عابدين وتجميله بما يتمشى مع تطورات العصر الحديث فزاد فى أقسامه وأمر بإنشاء قاعة العرش فجاءت آية فنية رائعة . ثم جدّد إنشاء قشلاقات الحرس فجاءت فى منتهى الفخامة والعظمة . وتبلغ مساحة قصر عابدين اليوم حوالى ٣٥ فداناً .

شركة مياه القاهرة :

فى ١٧ مايو سنة ١٨٦٥ منح الخديو اسماعيل المسيو كورديه المهندس حق امتياز عملية توزيع مياه النيل العكرة والمرشحة فى مدينة القاهرة وضواحيها . فقام بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم « شركة مياه القاهرة » . وقد حدد أجل الامتياز بمدة ٩٩ سنة تبتدىء من ٩ أبريل سنة ١٨٧٠ وتنتهى فى ٨ أبريل سنة ١٩٦٩ وحفظت الحكومة لنفسها الحق فى شراء المؤسسة بعد ٢٥ سنة من تاريخ صدور الفرمان الخاص بعقدى الامتيار والتأسيس . أى أن للحكومة الحق فى شراء المؤسسة منذ ١٠ أبريل سنة ١٨٩٥ ، على أن يكون الشراء محسوبا على أساس متوسط إيرادات الشركة فى السنوات الثلاث الأخيرة وبفائدة ٦٪ .

وقد نص فى عقد الامتياز على أن تؤول كل ممتلكات الشركة دون مقابل إلى الحكومة المصرية عند انتهاء مدة

الامتياز عدا ما هو موجود بمخازن الشركة من البضائع والمهمات فتدفع الحكومة ثمنه على أساس القيمة الأصلية .

و بتاريخ ٤ أبريل سنة ١٨٧٧ حصلت الشركة من الحكومة المصرية على امتياز خاص بمباشرة واستغلال عملية مياه الحكومة بالعباسية بشروط خاصة لمدة ١٥ سنة . و بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٨٩٢ مدّ أجل هذا الامتياز الجديد وجعل أجله مع أجل الامتياز الأول ، وعند نهايته تؤول المؤسسة وما أدخل عليها من تحسينات و إضافات إلى الحكومة دون مقابل ما عدا ما هو موجود بالمخازن فتدفع الحكومة ثمنه على أساس القيمة الأصلية .

وفى سنة ١٨٨٧ اتفقت الحكومة والشركة على أن لا تستعمل الحكومة حقها فى شراء المؤسسة الا ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٨ وفى مقابل ذلك حصلت الحكومة على حصة فى أرباح الشركة .

و بموجب اتفاق وقّع بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ أعطت الشركة إلى الحكومة المصرية ٤٠٠٠ سهم مسددة القيمة سعر كل منها ١٢٥ فرنك وذلك نظير تنازلها عن حصتها فى الأرباح وعدم استعمالها حقها فى شراء العملية إلا ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٨ .

وفى سنة ١٩٠٢ حصلت الشركه على امتياز آخر لتوزيع مياه الآبار الارتوازية فى كل من ضاحية القبة والزيتون والمطرية ومصر الجديدة وتنتهى مدته مع الامتياز الأول .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من : ٤٠٩٣٦ سهم رأس مال لحامله قيمة كل منها ١٢٥ فرنك مدفوعة بالكامل و ٣٢٠٠٠٠ سهم و ٣٣٦٠ حصة تأسيس . وعدد السندات الحالية ٣١٥٧ سنداً فئة ٤٪ سعر كل منها ٢٠ جنيهاً مصرياً .

وقد صرفت الشركة فى سنة ١٩٤٤ للقاهرة ٥٩،٣٩٥،٠٠٠ متر مكعب من المياه المرشحة والارتوازية بالسعر الآتى:

(ا) ١٤،٥ مليما عن المتر المكعب من المياه المرشحة المبيعة إلى الأفراد .

(ب) ١١،٨ مليما عن المتر المكعب من المياه المرشحة المبيعة للحكومة المصرية أو إلى الجيش البريطانى و إلى محلات العبادة والمنشآت الخيرية .

(حـ) ٨،٧ مليمات عن المتر المكعب من المياه العكرة المبيعة للأفراد .

(ء) ٧،٢٥ مليمات عن المتر المكعب من المياه العكرة المبيعة للحكومة المصرية أو للجيش البريطانى ولمحلات العبادة والمنشآت الخيرية .

(هـ) ٨،٧ مليمات عن المتر المكعب من المياه الارتوازية المبيعة للأفراد فى منطقة القبة والزيتون والمطرية ومصر الجديدة .

مآخذ عمليات المياه المتنالية فى القاهرة :

ولما شرعت شركة المياه فى تنفيذ عمليتها أقامت المأخذ أولا بجوار السواقى بفم الخليج ومدت من هناك مواسيرها

الرئيسية إلى القلعة و بعد اتفاق سنة ١٨٧٧ مدت المواسير من القلعة إلى العباسية حيث كانت أحواض الترسيب الأصلية التابعة لعملية مياه الحكومة .

ثم نقل المأخذ على ترعة الاسماعيلية وأنشئت عملية مياه جديدة فى المكان الذى يقوم عليه اليوم مبنى التسجيل والرهونات ومبنى المحكمة المختلطة الجديدة عند تقابل شارع فؤاد الأول بشارع الملكة نازلى .

ولما تقرر ردم ترعة الاسماعيلية من الفم محل الكاتدرائية الانجليزية إلى غمرة ، نقل المأخذ مرة ثانية سنة ١٩١٠ إلى روض الفرج حيث توجد الآن طلمبات الضغط الواطى وأحواض الشبة وأحواض الترسيب المستطيلة التى ترسب المياه بواسطة مرورها فى طبقة من الرمال الصحراوية سمكها ٢٠ سنتيمتراً وطبقة من الزلط سمكها ٧٠ سنتيمتراً . ويبلغ عدد هذه الأحواض ١٨ حوضاً . ثم تمر المياه المرسبة فى مرشحات جويل الميكانيكية .

وعند خروجها من المرشحات يضاف إليها الكلور بنسبة ¼ فى المليون ، ثم ترفع بواسطة طلمبات الضغط العالى إلى شبكة المواسير الممتدة فى المدينة . وتشمل الشبكة ماسورتين رئيسيتين قطر كل منهما ٨٠٠ ملليمتر لتوصيل المياه المرشحة إلى مجمع هائل مركب بميدان باب الحديد . ومن هناك توزع المياه إلى جميع أنحاء القاهرة فى شبكة المواسير الممتدة تحت أرض الشوارع فى جميع الاتجاهات .

وفى القاهرة الآن ٢٢٥ حنفية لبيع المياه منها ٥٠ حنفية توزع منها المياه الصالحة للشرب مجانا للطبقات الفقيرة .

وهناك أربعة خزانات عالية : الخزان الأول منقور فى الصخر بالجبل الأحمر والخزان الثانى بالإمام الشافعى والخزان الثالث بالقلعة والخزان الرابع فوق المرتفعات المشرفة على قرافة باب الوزير .

ولا نزاع فى أن وجود مأخذ المياه الحالى بروض الفرج فى شمال القاهرة من أكبر الغلطات الفنية التى ارتكبتها هذه الشركة وسببت لها وللجمهور متاعب كبيرة ، ولا بد من نقل هذا المأخذ إلى الجنوب يوما ما .

شركة غاز القاهرة :

شركة غاز القاهرة فرع من شركة الإنارة بالغاز الفرنسية المركزية « ليبون وشركاؤه » . منحت هذه الشركة امتياز مد مواسير الغاز للمحلات العمومية والمنازل فى سنة ١٨٧٣ لمدة ٧٥ سنة . و بلغ مقدار ما صرفته هذه الشركة من الغاز بالمتر المكعب فى عام ١٩٣٥ ما يأتى :

٥,٨٩١,٠٩١ مترا مكعباً فى إضاءة المحلات العمومية .

٣,٤٤٩,١٤٢ « « « « المصالح .

٩,٣٤٠,٦٣٣ الجملة وهى تغذى ١٣٨٧٣ مصباحا بالقاهرة .

وكان ثمن المتر المكعب من الغاز للمنازل من أول يناير سنة ١٩٢٢ مبلغ ٢٠ مليما عن المتر المكعب . وفى ابريل سنة ١٩٢٥ خفض إلى ١٦ مليما ثم ارتفع ثانياً إلى ٢٣ مليماً .

وقد حصلت هذه الشركة فى سنة ١٩٠٦ على امتياز آخر ينتهى فى سنة ١٩٤٨ لتوصيل التيارات الكهربائية فى مسائل الانارة و إدارة الآلات .

وفى سنة ١٩٣٥ كانت أسعار التيار الكهربائى كالآتى :

١و٢١ مليما عن كل كيلوات ساعة لمصالح الحكومة لأجل الإنارة .

٢٣,٤ « « « « للمشتركين « «

ومن ١و٢١ إلى ٧و٧ مليما عن كل كيلوات ساعة لمصالح الحكومة للقوى الكهربائية .

ومن ٢و٢٣ إلى ٧و٧ « « « للمشتركين « «

اسماعيل والتاريخ :

أسرف بعض المؤرخين فى إحصاء بعض المآخذ على حكم اسماعيل حتى كادوا يمحون حسناته الباهرة . أراد اسماعيل أن تكون بلاده قطعة من أوربا على حد تعبيره ، فابى ألا أن تتحقق إرادته فى أقصر زمن فجاءت إصلاحاته طفرة لا تدرجا .

فى عهده تم فتح السودان ، واكتشفت منابع النيل ووصلت حدود مصر ألى بحيرات خط الاستواء وشواطىء المحيط الهندى . و بفضله أعيد تنظيم الجيش وجددت أسلحته وزودت حصون مصر بالمدافع ونهضت البحرية المصرية وانشئت المحاكم المختلطة وأنتشرت المدارس وأرسلت البعثات وتقدمت الحركة الأدبية والعلمية والفكرية . وكان على رأسها أبو التعليم الرجل الخالد على باشا مبارك صاحب كتاب الخطط التوفيقية . وكان من الطبيعى أن يضطر اسماعيل لأجل القيام بكل هذه الالتزامات الهائلة أن يطلب مشاركة رؤوس الأموال الأوربية فى مشروعاته . فمن سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٣ اقترض اسماعيل مبلغ ٠٠٠و٤٩٧و٦٨ جنيه . وفى سنة ١٨٧٤ باع أسهم الحكومة المصرية فى قناة السويس إلى انجلترا بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات . ومع أن دخل الحكومة المصرية بلغ سنة ١٨٧٥ مبلغ ٤٦٨ و ٥٤٢ و ١٠ جنيه إلا أنه فى سنة ١٨٧٨ استدعى الأمر حفظ حقوق الأجانب ، فتألفت نظارة مختلطة اسندت فيها نظارة المالية الى الأنجليزى ولسون ونظارة الأشغال العمومية الى الفرنسى دى بلينيير وتنازل الخديوى عن جميع أملاكه للحكومة وتناول نظير ذلك راتباً سنويا . و بدأ عهد جديد فى الحكم يعرف بعهد الوزارات المسئولة تولى الوزارة فى عهدها نوبار باشا والأمير محمد توفيق باشا وشريف باشا . ولما لم تصلح الحالة طلبت الدول سنة ١٨٧٩ من اسماعيل أن يتنازل عن الحكم فلم يخضع لأمرهم ولكن السلطان عزله فى يونيو سنة ١٨٧٩ بتحريض الدول فغادر اسماعيل مصر وأقام فى نابولى بايطاليا ثم ذهب الى الآستانة حيث توفى سنة ١٨٩٥ .

ثم نقلت جثته الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة حيث دفن بمسجد الرفاعى بموكب رهيب .

الفصل التاسع

المدينة الحديثة

من سنة ١٨٧٩ إلى الآن

وضع إذن الخديو اسماعيل الأسس الحقيقية التى تقوم عليها الآن مدينة القاهرة الحديثة . فلما تولى الخديو توفيق عرش مصر بعد عزل أبيه سنة ١٨٧٩ ، قُضى على هذه البلاد أن تشتغل فى خلال هذا الحكم بالثورة العرابية ومضاعفاتها التى انتهت باحتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ . فكان طبيعياً ألا يتسع المجال للتعمير والإصلاح بالقاهرة .

ولما توفى الخديو توفيق ١٨٩٢ خلفه ابنه الأكبر عباس حلمى الثانى الذى قاوم الاحتلال الإنجليزى بشدة وظل يحكم مصر مدة ٢٣ سنة حتى فقد عرشه سنة ١٩١٤ . ولا غرابة فى ذلك ففى أحضان هذا الخديو ترعرعت الحركة الوطنية الحديثة ، وفى رعايته جاهد مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول داعياً لاستقلال مصر وتحريرها من الاحتلال البريطانى .

وقد غاضب الخديو عباس اللورد كرومر وأحفظ اللورد كتشنر ، فلم تكد نيران الحرب العظمى تندلع سنة ١٩١٤ حتى حيل بين الخديو فى مصيفه بالاستانة و بين عرشه فى القاهرة . ثم أعلنت الحماية الإنجليزية على مصر .

وتولى السلطان حسين كامل حكم مصر أثناء هذه الأزمة سنة ١٩١٤ واصطدم فى أواخر عهده بالسياسة الاستعمارية البريطانية وتوفى فى سنة ١٩١٧ .

عهد الملك فؤاد الأول :

فاعتلى العرش الملك الراحل فؤاد الأول الذى تولى سلطاناً سنة ١٩١٧ ولما ألغيت الحماية الإنجليزية بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أصبح ملكاً ، وحكم هذه البلاد ١٩ عاما إلى أن توفاه الله فى سنة ١٩٣٦ . وفى عهده قامت ثورة سنة ١٩١٩ وتألف الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول باشا الذى توفى سنة ١٩٢٧ فخلفه مصطفى النحاس باشا فى رياسة الوفد .

وقد اقترن عهد الملك فؤاد الأول بتقلص النفوذ الأجنبى ، ونضج الحركة الوطنية ، وزوال كابوس الحماية ، وإعلان الدستور وتقدم مصر فى طريق وجودها الدولى المستقل .

وكان عصره من أزهر عصور القاهرة ، فقد عم فيه الإصلاح الشامل والتقدم والعمران السريع .

وقد ختم حياته فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٦ بعد أن جمع متفرق الشمل بين زعماء البلاد ومهد بذلك للخاتمة السعيدة التى انتهت بمعاهدة الصداقة بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦ ، وبالغاء الإمتيازات الأجنبية فى مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٧

عهد الفاروق :

ثم اعتلى الفاروق عرش مصر سنة ١٩٣٦ فقابله الشعب بحماسة منقطعة النظير ، وفى عهده السعيد تمت بالقاهرة مشروعات عمرانية ضخمة وخطت المدينة إلى الأمام خطوات جبارة موفقة .

ولما أعلنت الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، أصبحت القاهرة ملتقى جيوش العالم البرية والبحرية والجوية وثالثة العواصم بعد لندن وموسكو وقد ركّزت فيها قيادة الأعمال الحربية فى الشرق . و بعد أن وضعت الحرب أوزارها هب الشعب مطالباً بتعديل معاهدة سنة ١٩٣٦ وتركزت أمانيه فى الجلاء ووحدة وادى النيل أى وحدة مصر والسودان .

أطال الله حياة الفاروق وشمله بعنايته لاستكمال نهضة القاهرة ولتوطيد سؤدد مصر و إعلاء كلمتها .

و إليك الآن تطورات القاهرة الحديثة من سنة ١٨٧٩ إلى الآن :

تطورات القاهرة الحديثة :

علمنا مما سبق أن معظم أحياء القاهرة الحديثة إنما بدأت حياتها قرى صغيرة منفردة ثم نمت واتسعت وتحولت إلى بلدان ثم إلى مدن صغيرة ثم اتصلت بالمدينة الأصلية واندمجت فيها وأصبحت قسما من أقسامها الإدارية وذلك مثل قسم بولاق وقسم شبرا وقسم روض الفرج وقسم الوايلى و يشمل هذا القسم الأخير أحياء كثيرة مستجدة مثل أحياء العباسية القبلية والسكاكينى وغمرة وحدائق القبة وخلافها .

وبديهى أن الشوارع الحالية التى تربط هذه الأقسام بالمدينة القديمة كانت فى الأصل سكك زراعية بين القاهرة وهذه الضواحى . فشارع فؤاد الأول مثلا أصله سكة بولاق الزراعية ، وشارع السبتية أصله أيضاً سكة زراعية إلى بولاق . وشارع شبرا أصله سكة شبرا البلد الزراعية . وشارع العباسية أصله سكة الوايلية الزراعية إلى بركة الحج و إلى الخانكة .

ومن المعلوم أنه منذ عصر الخديو اسماعيل ، أخذت وسائل الانتقال وخصوصاً العربات التى تجرها الخيول تنتشر فى القاهرة ، فرأت الحكومة ، تسهيلا لمواصلات المدينة التى أخذت تنمو وتنتشر فى كل اتجاه وتتسع اتساعاً مفرطاً أن تشق فى الأحياء القديمة المزدحمة بالسكان شوارع مستقيمة لتنفس عن هذه الأحياء من جهة ، وتسمح بمرور

الجيوش والعربات وتربط الأحياء ببعضها من جهة أخرى . وعلى ذلك نشأت شوارع كثيرة مثل شارع السكة الجديدة وشارع محمد على وشارع بيت القاضى وسواها . كما أنشأت الحكومة شوارع جديدة فى الأحياء المستحدثة . وكانت عروض هذه الشوارع تبدو فى هذا الوقت كافية لحاجات المرور بالمدينة ، وكانت ترصف بالدبش فيبدو هذا خطوة موفقة فى إصلاح المدينة . ولكن فى سنة ١٩٠٣ لما ظهرت السيارات فى القاهرة ، تبين أن الشوارع التى نشأت قبل عصر السيارات ورصفت بالدبش غير صالحة للمرور . فأعيد إصلاح رصفها خصوصاً وقد كان المستر بدنل والمستر بارون من مديرى مصلحة الجيولوجيا قد وفقا إلى إكتشاف محاجر البازلت بأبى زعبل ، فرصفت الشوارع الجديدة بالمكدام والإسفلت وعدل تخطيطها ووسعت توسيعاً كبيراً وجعلت منحنياتها بحيث تكون مستوفية لشروط السلامة المطلوبة لسرعة السيارات .

وروعى فى شق الشوارع الجديدة قواعد لم تكن مرعية فى الماضى فنشأت فى القاهرة الحديثة شوارع من الدرجة الأولى جعلت وظيفتها تحسين مداخل المناطق المختلفة وتوفير الهواء والشمس والضوء للمبانى الواقعة على جانبيها مع الاتساع لشمول المرافق العامة الأخرى مثل مواسير المياه المرشحة للشرب ومواسير المياه العكرة لرى الحدائق ورش الطرق وإطفاء الحرائق وغيرها ، ومواسير غاز الاستصباح وأسلاك التليفون والكهرباء والمجارى ومرور عربات الاوتوبيس وخطوط الترامواى التى ظهرت لأول مرة سنة ١٨٩٥ ووسائل المواصلات الحديثة الأخرى .

وهكذا تطورت شوارع القاهرة وبلغت عروض بعضها ٣٠ و ٤٠ متراً بعد أن كانت عروضها قديماً تتراوح بين أربعة أو ستة أو ثمانية أمتار وعلى أقصى تقدير كانت تصل إلى ١٠ أو ١٢ متراً .

وقد برهنت شوارع القاهرة الحديثة فى الحرب الأخيرة على أن فى طاقتها أن تتسع لمرور أضخم الوحدات الحربية من دبابات وحاملات مدافع وحاملات طائرات وسيارات نقل من جميع الأشكال والأنواع ، فوق تحملها لأثقل الأوزان دون أن تتأثر تأثيراً محسوساً بهذه الأثقال الهائلة .

تخطيط الشوارع الحديثة :

وقد نفذت شبكة شوارع القاهرة الحديثة طبقاً لطرق مختلفة من قواعد التخطيط . فتجد مثلا شوارع منطقة السكاكينى على شكل شبكة العنكبوت أى أن شوارعها الرئيسية تشبه أقطاراً إشعاعية تبتدىء كلها من نقطة مركزية واحدة هى سراى السكاكينى باشا وتتجه فى اتجاهات مختلفة ثم تتقاطع معها شوارع أخرى دائرية مركزها أيضاً نفس سراى السكاكينى . فتتكون من هذا الشكل شبكة تماثل تماماً شباك العنكبوت .

وتجد مدينة حلوان ومنطقة البغالة بقسم السيدة زينب مخططة على شكل رقعة الشطرنج أى أن شوارعها الرئيسية متعامدة ووحدات مبانيها مربعة أو مستطيلة .

وتجد مصر الجديدة والمعادى والزمالك والدقى والروضة ومنطقة الاسماعيلية مخططة على شكل شبكة مختلطة أى أن شوارعها الرئيسية بشكل أقطار إشعاعية بالنسبة للشوارع الثانوية الشطرنجية أو الدائرية الشكل .

أنواع الشوارع :

وإليك الآن دراسة تحليلية لشوارع العاصمة .

تنقسم شوارع القاهرة الحالية إلى أنواع كثيرة فمنها :

أولا — الشوارع التجارية الرئيسية . وتصل عروضها إلى ٤٠ متراً . وهى فى الغالب مقسمة إلى عدة أجزاء . فالجزء الأوسط مشغول بخط ترام مزدوج على جانبيه طريقان عرض كل طريق منهما تسعة أمتار . وفى هذه الشوارع رصيفان لمرور المشاة .

القاهرة — شارع فؤاد الأول عند فمه المقابل لباب حديقة الأزبكية الغربى

وهذه الشوارع هى فى الواقع الطرق الأصلية التى نمت واتسعت حولها المدينة ، وارتبطت بواسطتها بالأحياء المستجدة القريبة منها وأهمها شارع فؤاد الأول وشارع العباسية وشارع شبرا وشارع قصر العينى وشارع الفجالة وشارع الملكة نازلى وشارع الخليفة المأمون وشارع الأهرام وشارع الجيزة وسواها كثير جداً .

ثانياً — الشوارع التجارية الثانوية وعروضها مابين ٢٤ و٣٦ متراً حسب حالتها . وتجد بها فى الغالب خط ترام مزدوج فى الوسط يفصل طريق المرور على جانبيها وبها رصيفان لمرور المشاة . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور العام فى المناطق الكائنة بين الشوارع التجارية الرئيسية وذلك مثل شوارع كلوت بك والموسكى وعبد العزيز والأمير فاروق والأزهر ومحمد على وماشابهها . وقد فتحت هذه الشوارع وسط مناطق السكن القديمة لربط قلب هذه المناطق بالشوارع الرئيسية .

القاهرة — شارع سليمان باشا من جهة ميدان الخديوى اسماعيل

ثالثاً — الشوارع السكنية الرئيسية وعروضها ما بين ١٨ و٣٠ متراً حسب حالتها . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور بالنسبة لمناطق السكن . وقد تمر بها خطوط المواصلات السريعة مثل سيارات الأوتوبوس وسيارات النقل المشترك وسواها وذلك مثل شارع سليمان باشا وشارع شريف باشا وشارع الملك بحدائق القبة وشارع احمد سعيد وشارع الكنيسة المرقسية وشارع قنطرة الدكة وشارع ابراهيم باشا وشارع بولاق الجديد وشارع سيدى عبد الجواد وسواها .

رابعا — الشوارع السكنية الثانوية وعروضها مابين ١٢ و١٦ متراً حسب حالتها ولا يقل عرض بحر الشارع فيها عن ثمانية أمتار . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور المحلى لمناطق السكن فضلا عن قيامها بوظيفتها الأساسية للمساكن الواقعة على جانبيها وهى توفير الضوء والشمس والهواء والمرافق الأخرى المختلفة .

وهذه الشوارع تعد بالمئات فى القاهرة هذا خلاف ما يتفرع منها من حارات وأزقة ودروب وسكك وطرقات الخ الخ . . . وهذه فى طريق الزوال أمام خطوات المدنية الآخذة فى تحويلها إلى شوارع واسعة وتعديل تخطيطها .

ميادين القاهرة :

أما أهم ميادين القاهرة التى يصادفها الداخل إلى المدينة من جهة السكة الحديد فهى : ميدان المحطة وميدان باب الحديد . وميدان قنطرة الدكة . وميدان ابراهيم باشا (الأوبرا سابقاً) . وميدان عابدين . وميدان الخديو اسماعيل (الإسماعيلية سابقاً) . وميدان سليمان باشا . وميدان مصطفى كامل (سوارس سابقاً) . وميدان توفيق . ثم ميدان الملكة فريدة (ويقوم مكان ميدانى العتبة الخضراء وأزبكية بعد هدم المحكمة المختلطة القديمة التى كانت تفصلهما عن بعضهما) . وميدان باب الخلق . وميدان محمد على . وميدان صلاح الدين . وهناك أيضاً ميدان الظاهر . وميدان السكاكينى . وكذا ميدان لاظوغلى . وميدان سيدى عبد الجواد . وميدان السبتية الخ الخ . . . .

وقد أقيمت هذه الميادين فى الغالب أمام المساجد أو السرايات الملكية أو دور الحكومة أو دور التمثيل الكبرى أو فى النقط التى تتقابل فيها الشوارع الرئيسية .

و بعض هذه الميادين مستدير الشكل مثل ميدان سليمان باشا وتوفيق ومصطفى كامل و بعضها مربع أو مستطيل أو متعددة الأضلاع مثل ميادين المحطة وعابدين والملكة فريدة وابراهيم باشاوسواها .

وهناك أيضاً الميادين المقفلة الموجودة فى المدينة القديمة وهى محاطة بمبانى مرتفعة وتتقابل فيها شوارع ضيقة مثل ميدان بيت القاضى وما شابهه

أحياء القاهرة :

يعتبر ميدان ابراهيم باشا مركز ثقل مدينة القاهرة الحديثة . ويمكن بسهولة تقسيم القاهرة الحالية إلى أحياء مختلفة الوظائف وتعيين موقعها بالنسبة لهذا الميدان .

فأولا — بين ميدان ابراهيم باشا والنيل تقع الأحياء المالية والتجارية الحديثة حيث توجد البنوك ومخازن التجارة الكبيرة ومكاتب الشركات وما شابهها . وتشمل هذه الأحياء المدينة الحديثة الممتلئة بهجة ونشاطاً ، ولا يزيد عمرها عن ثمانين عاماً فقد نشأت معظمها فى عصر اسماعيل باشا . ولا تخلو عماراتها الضخمة من بعض

الجمال الفنى ، وتتخللها شوارع من الدرجة الأولى أهمها شارع فؤاد الأول وشارع ابراهيم باشا وشارع الملكة فريدة وشارع عدلى باشا وشارع قصر النيل وشارع عابدين وشارع عماد الدين وشارع محمد بك فريد وشارع شريف باشا وشارع سليمان باشا وشارع توفيق وشارع الملكة نازلى وشارع البستان وشارع كوبرى اسماعيل وشارع قصر العينى وأحياء الاسماعيليه والتوفيقية وقصر الدوبارة وجاردن ستى الخ الخ .

وثانياً — بين ميدان ابراهيم باشا وجبل المقطم تقع الأحياء التجارية والصناعية القديمة وتشمل هذه الأحياء قاهرة محمدعلى باشا التى كانت تمتد من القرافة والقلعة جنوباً إلى جامع الظاهر شمالا ثم تنتهى إلى بركة الأزبكية غرباً. وفى هذه الأحياء تتجمع آثار الفن الإسلامى وهى أثمن الآثار التاريخية للعاصمة . ويتخلل هذه المنطقة الآن شارع الخليج المصرى وشارع الموسكى وشارع السكة الجديدة وشارع الشنوانى وشارع الدراسة وشارع الحسينية وشارع المعز لدين الله وشارع تحت الربع (أحمد ماهر باشا الآن) وشارع محمد على وشارع قصبة رضوان وشارع الخيمية وشارع السروجية وشارع الدرب الأحمر وشارع الأزهر وشارع الأمير فاروق وسواها .

وثالثاً — إلى يمين الواقف بميدان ابراهيم باشا فى مواجهة التمثال تقع الأحياء السكنية الشعبية وأهمها حى عابدين بقصره العامر وفى جنوبه أحياء الناصرية والسيدة زينب وهى تضم الوزارات ومصالح الحكومة ويتخللها شارع الكومى وشارع خيرت وميدان لاظوغلى وشارع نوبار باشا.

القاهرة — منظر بالطيارة يريك أحياء الخليفة والدرب الأحمر والسيدة زينب من أحياء المدينة القديمة المزدحمة بالسكان

أما وراء التمثال مباشرة فتقع دار الأوبرا الملكية التى أنشئت بمناسبة حفلات افتتاح قنال السويس سنة ١٨٦٩ .

ورابعاً — وإلى شمال ميدان ابراهيم باشا تقع حديقة الأزبكية . وإلى شمالها حى الفجالة الشعبى ثم ميدان المحطة المزين بتمثال نهضة مصر . ونجد هناك شارع الملكة نازلى الذى يبدأ عند مصلحة المجارى الرئيسية بالقرب من شاطىء النيل الشرقى وينتهى عند العباسية ثم يمتد من شارع الملك إلى قصر القبة العامر ومن هناك إلى ضاحية المطرية . كما يمتد من شارع الخليفة المأمون إلى ضاحية مصر الجديدة .

وإلى شمال ميدان المحطة تقع أحياء الضواحى السكنية مثل شبرا وروض الفرج . ويتخللها شارع شبرا المعروف .

وخامساً — وإلى شرق ميدان ابراهيم باشا يقع ميدان الملكة فريدة المستجد ويخرج منه شارع الأمير فاروق وفى نهايته يبدأ حى العباسية وهو الحى السكنى الهادىء والمرغوب لجفافه .

وسادساً - ويبدأ شارع فؤاد الأول أمام الباب الغربى لحديقة الأزبكية . وبعد اجتياز كوبرى فؤاد الأول (بولاق سابقاً) يصل إلى الزمالك وهو الحى السكنى الارستوقراطى . ثم بعد اجتياز كوبرى الزمالك تمتد الضواحى السكنية المستجدة حديثاً الكائنة على الضفة الغربية للنيل وهى العجوزة والدقى وبولاق الدكرور والجيزة . وسوف تقوم هناك مدينة الأوقاف الجديدة .

وسابعاً — وتكوّن جزيرة الروضة حياً جميلا من أحياء الضواحى السكنية ويصل الإنسان إليها على كوبرى محمد على أو كوبرى الملك الصالح ويخرج منها على كوبرى عباس حلمى الثانى إلى شارع الأهرام الموصل إلى المساكن الجديدة القائمة على جانبى هذا الشارع والممتدة حتى تصل إلى أقدام أهرام خوفو وخفرع ومنقرع .

وثامناً — وهناك أيضاً الأحياء الصناعية مثل السبتية وبولاق وشبرا الخيمة حيث مصانع النسيج .

وتاسعاً - أما أحياء الصناعات الثقيلة مثل صناعة الأسمنت والجبس والخزف والسكر والاسبرتو فتقع بطرة والمعصرة وحلوان إلى جنوب المدينة .

هذه هى أهم أحياء القاهرة الحديثة . وإليك الآن بعض البيانات عن أهم معالم هذه المدينة .

ميدان ابراهيم باشا :

عرف هذا الميدان عند تخطيطه باسم ميدان التياترو ثم أطلق عليه اسم ميدان الأوبرا ثم عرف حديثاً باسم ميدان إبراهيم باشا . وقد أنشىء بشكل شبه منحرف . وتشغل دار الأوبرا ضلعه الشرقى . وطول واجهة هذه الدار المطلة على الميدان ٦٠ مترا . كما تشغل حديقة الأزبكية ضلعه الشمالى . وكازينو أوبرا الحديث ضلعه الجنوبى .

وفى وسط هذا الميدان تمثال بديع من البرونز للبطل الفاتح ابرهيم باشا ممتطياً حصانه المطهم وهو يشير بيمناه إلى العدو . ولهذا التمثال قاعدة بديعة الصنع من رخام كرارة . والتمثال من صنع كورديه المثال الفرنسى المشهور . أقامه

اسماعيل باشا فى أول الأمر بميدان العتبة الخضراء بعد تنظيمه سنة ١٨٧٥ . ولكن الثوار العرابيين أنزلوا التمثال من فوق قاعدته سنة ١٨٨٢ فأعيدت اقامته فى ميدان الأوبرا فى مكانه الحالى وظل به إلى الآن .

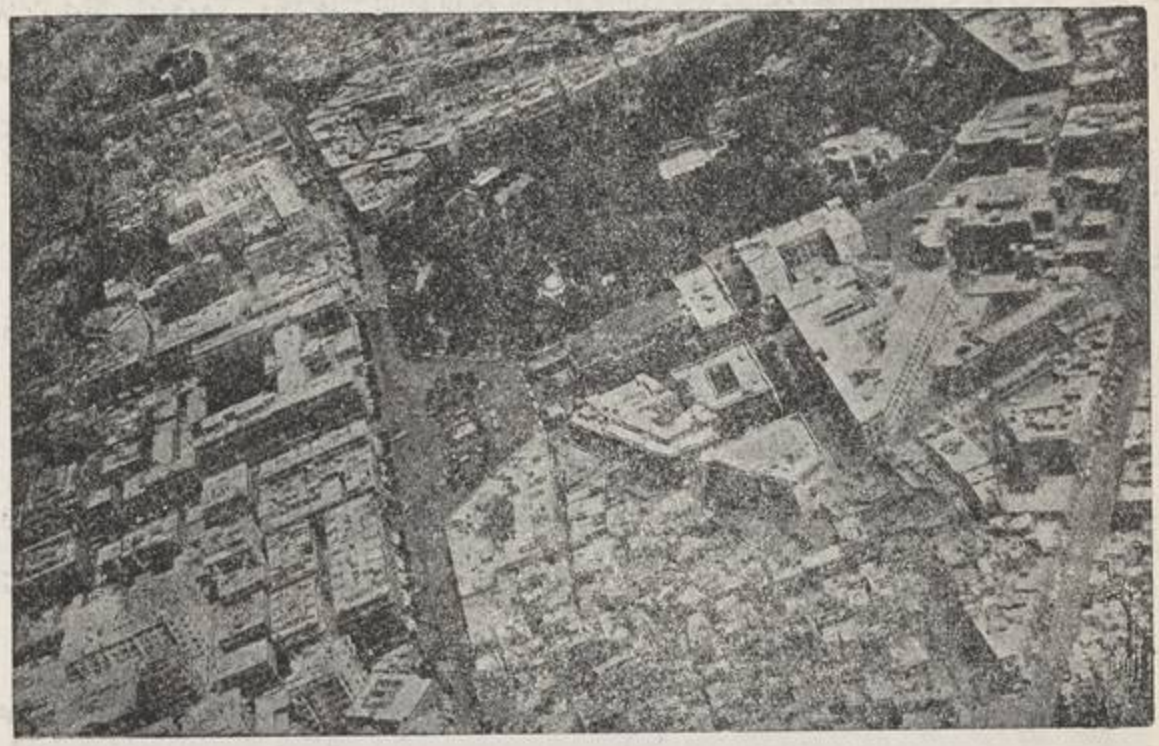

القاهرة — منظر بالطيارة وترى فيه حديقة الأزبكية وميدان ابراهيم باشا (الأوبرا سابقاً)
وشارع ابراهيم باشا وبعض عمارات المدينة الحديثة .

ويتفرع من ميدان ابراهيم إباشا الشوارع الآتية :

شارعا الأوبرا وطاهر وهما شارعان متوازيان يمتدان بمحازاة دار الأوبرا من الشمال ومن الجنوب وكلاهما يؤدى إلى ميدان الملكة فريدة . وشارع ابراهيم باشا وهو يؤدى إلى ميدان المحطة . وشارع عابدين وهو يؤدى إلى ميدان عابدين . وشارع عدلى باشا وينتهى إلى شارع سليمان باشا . وشارع الملكة فريدة ويمتد إلى شارع الملكة نازلى . ثم شارع فؤاد الأول وينتهى إلى البر الغربى للنيل . وشارع قصر النيل وهو يؤدى إلى ميدان سليمان باشا ثم ينتهى إلى ميدان ماريت باشا .

ميدان عابدين :

خطط هذا الميدان فى عهد إسماعيل باشا وهو من أكبر ميادين القاهرة وتبلغ مساحته تسعة أفدنة . وتشغل سراى عابدين العامرة ضلعه الشرقى . وطول هذا الضلع ١٣٥ متراً . كما تشغل ثكنات الحرس الملكى ضلعه الشمالى . وطول واجهة هذه الثكنات المطلة على الميدان ١٤٥ متراً .

وفى الجهة الجنوبية الشرقية لميدان عابدين غرست حديثاً شجرة الأرز التى أحضرها الوفد اللبنانى اعترافاً بفضل مليك النيل فاروق الأول أدامه الله بمناسبة موقفه المملوء شهامة و بطولة فى الدفاع عن استقلال لبنان ضد حكومة دى جول الفرنسية المؤقتة فى الحرب الحاضرة .

ويتفرع من ميدان عابدين : شارع البستان المؤدى إلى ميدان الأزهار ثم إلى ميدان ماريت باشا . وشارع كوبرى إسماعيل المؤدى كذلك إلى ميدان الأزهار ثم إلى ميدان الخديوى إسماعيل ثم الى ميدان إلهامى عند مدخل كوبرى إسماعيل .

ويخرج من ميدان عابدين أيضاً شارع قوله وامتداده المعروف بشارع القاصد الذى ينتهى الى ميدان الخديوى اسماعيل . ومن الجهة الجنوبية الشرقية لميدان عابدين يخرج شارع السلطان حسين المؤدى إلى شارع قصر العينى من جهة و إلى شارع الخليج المصرى من الجهة الأخرى . وهناك أيضاً شارع حسن الأكبر المؤدى من عابدين إلى ميدان باب الخلق وشارع الصنافيرى المؤدى إلى ميدان باب اللوق حيث جامع الطباخ .

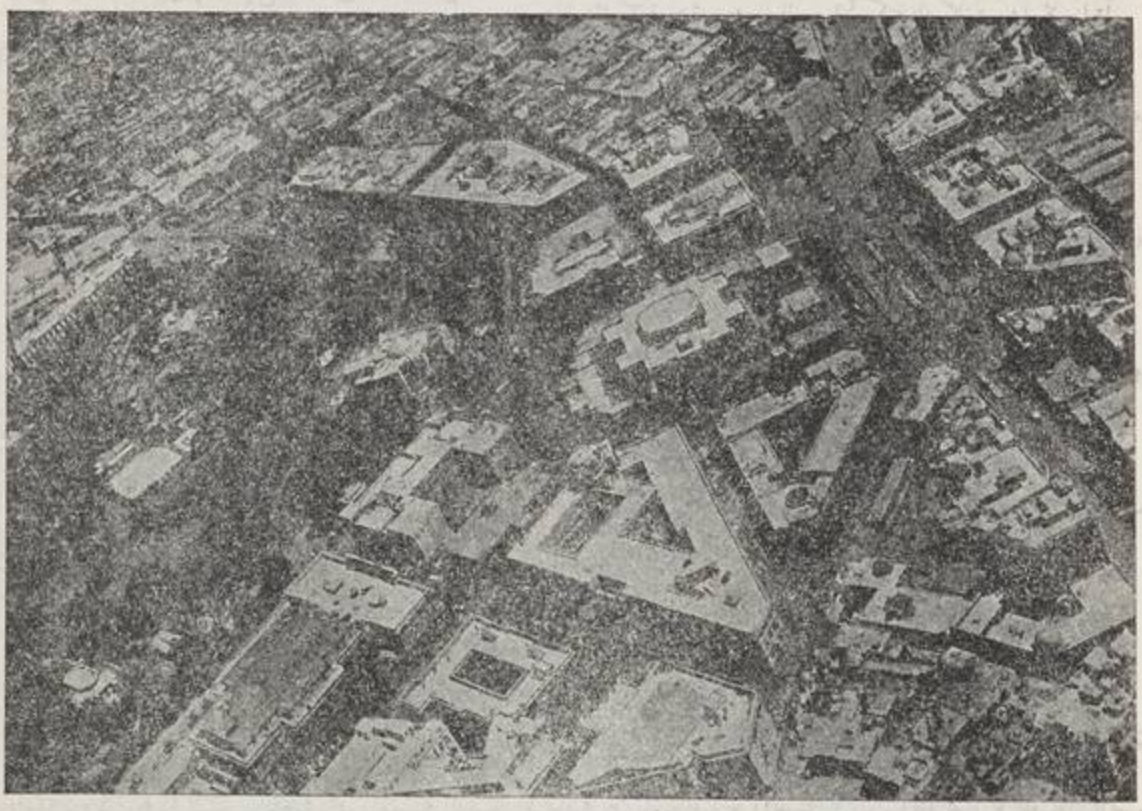

القاهرة — منظر بالطيارة ترى فيه العتبة الخضراء قبل هدم المحكمة المختلطة وتوسيع الميدان وهو الذى يعرف حاليا باسم ميدان الملكة فريدة . وترى حديقة الأزبكية وبداخلها دار التمثيل ونادى السلاح كما ترى الأدارة العامة لمصلحة البريد ومطافى القاهرة وديوان بوليس قسم الموسكى وصندوق الدين ودار الأوبرا

ميدان الملكة فريدة :

من أحدث ميادين القاهرة أنشىء سنة ١٩٣٠ بعد هدم المحكمة المختلطة القديمة . وأصل هذه المحكمة جزء من سراى العتبة الخضراء التى أقامها الوالى عباس الأول لوالدته وكان إلى شرق هذه المحكمة ميدان العتبة الخضراء وإلى غربها ميدان أزبك . فلما هدمت وضمت أرضها الى أرض هذين الميدانين نتج عن ذلك ميدان رحب أطلق عليه إسم ميدان الملكة فريدة تيمناً باسم صاحبة الجلالة ملكة مصر المعظمة .

ميدان الملكة فريدة ويشمل اليوم الأمكنة التى كانت مشغولة سابقاً بميدان العتبة الخضراء والمحكمة المختلطة القديمة وميدان أزبك .

ويتفرع من هذا الميدان شوارع كثيرة أهمها شارع الموسكى الذى فتح فى عهد محمد على باشا وعلى امتداده شارع السكة الجديدة الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل وهذان الشارعان يؤديان الى جميع أسواق مدينة القاهرة القديمة .

كما يتفرع منه شارع محمد على الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل وهو يؤدى الى ميدان باب الخلق ثم الى ميدان محمد على تحت أقدام القلعة .

ويتفرع منه كذلك شارع عبد العزيز الذى سمى بهذا الاسم تكريماً للسلطان عبد العزيز التركى بمناسبة زيارته لمصر وقد فتح فى عصر الخديوى إسماعيل وهو يؤدى الى ميدان عابدين بعد تقابله مع شارع عابدين .

وهناك أيضاً يتفرع شارع الأزهر الذى فتح فى سنة ١٩٣٠ فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله وهو يؤدى إلى الجامع الأزهر الشريف .

وشارع الأمير فاروق الذى فتح سنة ١٩٣٠ فى نفس هذا العهد وهو ينتهى إلى ميدان الأمير فاروق وشارع العباسية .

شارع المعز لدين الله

هذا الشارع هو أقدم شارع فى مدينة القاهرة لأنه يرجع فى الحقيقة إلى عصر جوهر الصقلى مؤسس القاهرة الفاطمية . وكان هذا الشارع يقع فى محور المدينة القديمة الأصلية بين باب الفتوح و باب زويلة . وهو شارع طويل كانت له أسماء متعددة الغيت الآن ، فجزء منه كان يسمى شارع باب الفتوح والجزء الذى يليه شارع أمير الجيوش البرانى والجزء التالى شارع النحاسين والجزء التالى شارع بين القصرين ثم شارع الجوهرجية ثم شارع الخردجية ثم شارع

الأشرافية ثم شارع الغورى ثم شارع الشوايين ثم شارع العقادين ثم شارع المناخلية ثم شارع السكرية وكلها أجزاء من شارع واحد فكل هذه الأسماء الأثرية أختفت الآن وحل محلها اسم شارع المعز لدين الله ، وفى هذا فى الحقيقة تضييع لأسماء هامة فى القاهرة القديمة نرجو أن تتداركه الحكومة قبل فوات الأوان .

وأجمل جزء فى هذا الشارع هو الجزء الذى كان يقوم فيه قديماً القصران الفاطميان الشرقى والغربى فاذا مررت بهذا الجزء الآن ودخلت شارع المعز لدين الله من جهة السكة الجديدة متجهاً إلى باب الفتوح تجد عن يمينك مدرسة وقبة السلطان الصالح نجم الدين أيوب وعن يسارك الصاغة بدكاكينها الصغيرة ذات الصبغة الشرقية الخاصة . ثم إذا تقدمت إلى الأمام قليلا تجد عن يمينك سبيل وكتاب خسرو باشا ثم مدرسة السلطان الظاهر بيبرس الذى ضاع جزء منها عند فتح شارع بيت القاضى فى عهد الخديوى اسماعيل وتجد عن يسارك مدرسة وقبة ومارستان السلطان قلاوون . وبعد التقدم قليلا تجد عن يمينك سبيل النحاسين الذى أنشأه محمد على باشا صدقة على روح ابنه اسماعيل باشا سنة ١٨٢٩ وخلفه مدرسة النحاسين الأميرية الابتدائية ثم قصر بشتاك كما تجد على يسارك مدرسة وقبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون و إلى شماله مدرسة وقبة السلطان برقوق و إلى شمال ذلك المدرسة الكاملية . كما تجد فى مواجهتك سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا .

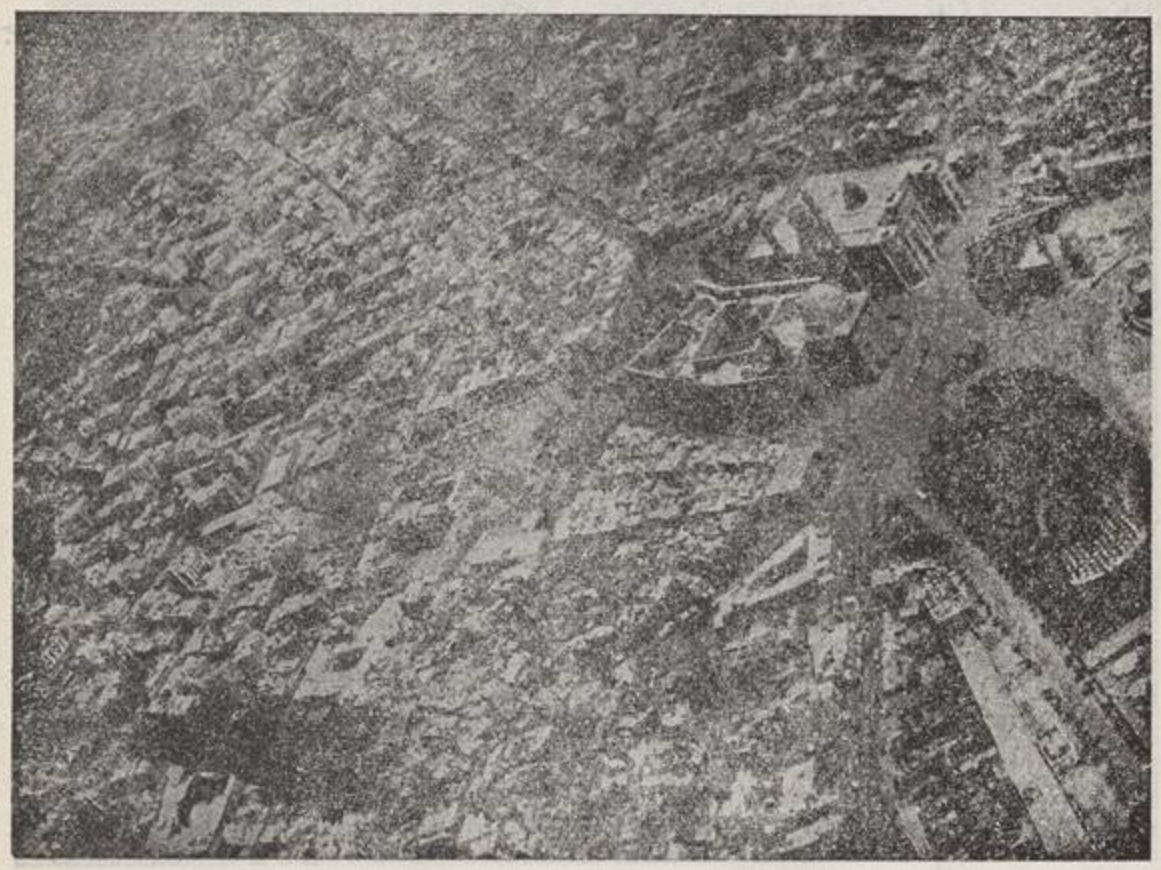

منظر بالطيارة وترى به مدرسة السلطان حسن وأمامها مسجد الرفاعى كما ترى شارع محمد على وجزء من قسم الخليفة

وإذ استمريت فى سيرك إلى الأمام تقابل عن يمينك الجامع الأقمر ثم الدرب الأصفر حيث يوجد بيت السحيمى كما تقابل عن يسارك جامع السلحدار وأخيراً تصل إلى جامع الحاكم المحصور بين باب الفتوح و باب النصر وهما بابا المدينة القديمة فى الضلع الشمالى من سورها القديم . وفى وسط هذه المجموعة الهائلة من الآثار الاسلامية تشعر حقاً بعظمة هذا الفن الإسلامى وروعته وجماله . ونود لو اعتنت الحكومة بكشف ما يحجب هذه الآثار الرائعة و بإزالة ما يحيط بها من دكاكين ومبانى حقيرة .

ميدان محمد على وميدان صلاح الدين :

تحت أقدام القلعة يقع هذان الميدانان . أما ميدان محمد على فتجد فيه جامع أو مدرسة السلطان حسن وفى مواجهتة مسجد الرفاعى وهما صرحان ضخمان متعادلان فى العظمة والفن والجمال الرائع .

أما ميدان صلاح الدين فكان يعرف سابقاً باسم قره ميدان وكانت به قديماً محطة الميدان التى أقيمت على رأس خط السكة الحديد إلى حلوان كما كانت به مصطبة المحمل وكان قديماً بستاناً وميداناً فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ومن هذين الميدانين تتفرع اليوم الشوارع الآتية : شارع الإمام الشافعى المؤدى إلى مقابر الأمام الشافعى و إلى جامع وقبة الإمام الشافعى وبجوارها مقبرة العائلة الملكية حيث دفن إبراهيم باشا وعباس باشا الأول. وشارع الأقدام

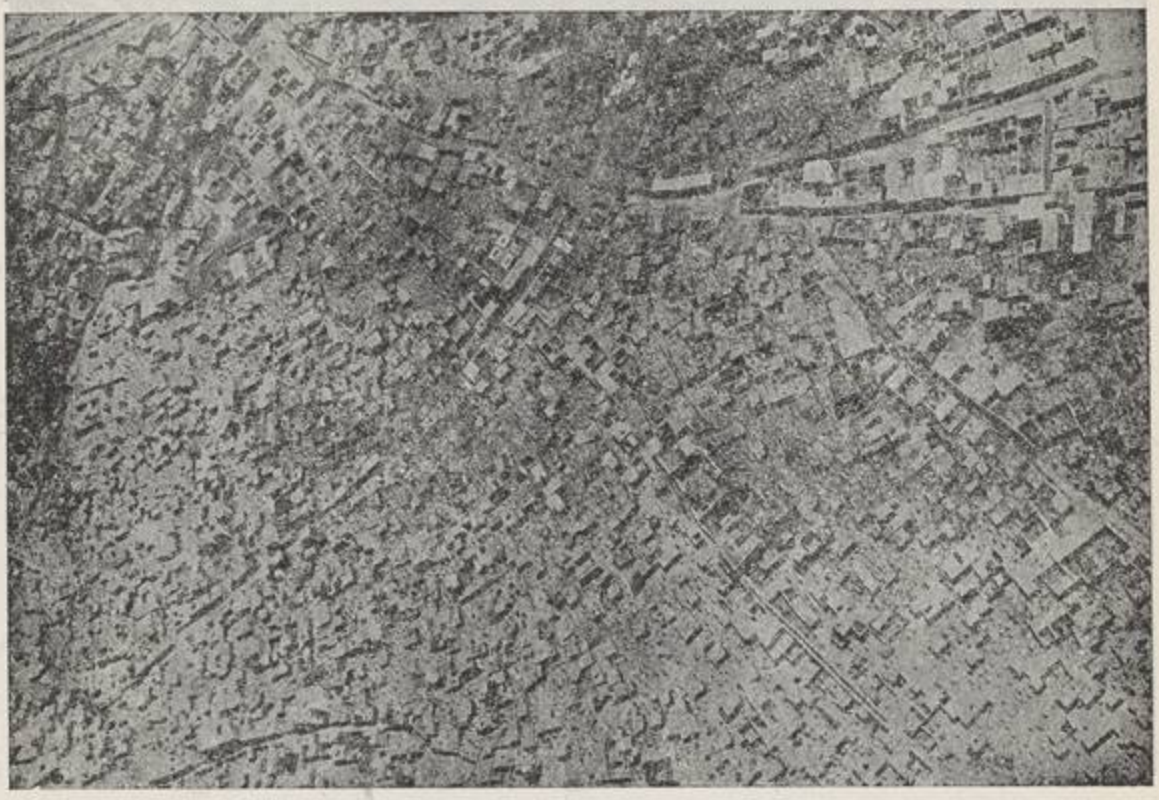

القاهرة — النظر بالطيارة لمقابر الأمام الشافعى وحيشانه

المؤدى إلى مقابر السيدة نفيسة . وشارع السيدة عائشة المؤدى إلى ميدان السيدة عائشة . وشارع درب الحصر وعلى امتداده شارع طولون المؤدى إلى قلعة الكبش . وشارع شيخون وعلى امتداده شارع الصليبة المؤدى إلى جامع ابن طولون وموقع مدينة القطائع القديمة ، وعلى امتداد شارع الصليبة تجد شارع الخضيرى وعلى امتداده شارع مراسينة المؤدى إلى ميدان السيدة زينب .

ومن هناك يتفرع أيضاً شارع قره قول المنشية المؤدى إلى شارع السيوفية وعلى امتداده شارع الركيبة حتى تقابله بشارع طولون .

أما امتداد شارع قره قول المنشية بعد تقابله مع شارع السيوفية فيؤدى إلى شارع نور الظلام وهناك تجد أحياء الحلمية و بركة الفيل .

القاهرة — منظر بالطيارة للاحياء الواقعة إلى شمال القلعة و إلى شمال جامعي السلطان حسن والرفاعى بقسم الدرب الأحمر حيث تلتقى مدينة الأحياء بمدينة الأموات

ومن هناك أيضاً يتفرع شارع المدفر و يؤدى إلى شارع الحلمية .

و يتفرع كذلك شارع محمد على الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل و يؤدى إلى ميدان باب الخلق ثم إلى ميدان الملكة فريدة . و يتفرع أيضاً شارع سوق السلاح المنتهى إلى شارع التبانة .

ويتفرع أيضاً شارع المحجر وعلى امتداده شارع باب الوزير ثم شارع التبانة ثم شارع الدرب الأحمر ثم شارع تحت الربع حتى ميدان باب الخلق (ميدان أحمد ماهر باشا الآن) . وكان هذا الطريق قديماً هو طريق الملوك من دولة المماليك الشراكسة إلى ميدان الناصر بعد اختراق شارع غيط العدة وشارع الصنافيرى إلى ميدان باب اللوق حيث جامع الطباخ و بعد ذلك شارع جامع شركس حيث توجد وزارة الأوقاف أجمل مبنى عربى بالمدينة الحديثة ثم ميدان سليمان باشا ثم شارع الإنتكخانة المصرية حتى مبنى دار الآثار المصرية وثكنات قصر النيل حيث كان ميدان الناصر للعب البرجاس وتمرين المماليك .

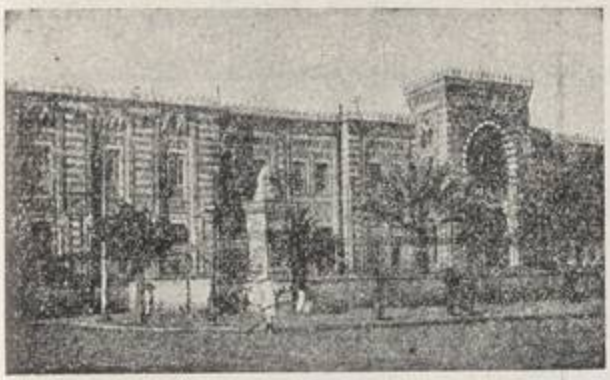

القاهرة — مبنى وزارة الأوقاف العمومية بشارع جامع شركس من أجمل المباني العربية بالمدينة الحديثة

ومن جوار القلعة يتفرع أيضاً شارع باب الوداع المؤدى إلى جبانة باب الوزير .

ميدان السيدة زينب :

عرف هذا الميدان قديماً باسم ميدان قناطر السباع لأنه كانت على الخليج قناطر تسمى بهذا الاسم فى موقع هذا الميدان.

وقد وسع هذا الميدان حديثاً وكشفت فيه واجهة جامع السيدة زينب الذى جدد فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى حتى أصبح تحفة فنية جميلة .

ويتفرع من هذا الميدان شوارع كثيرة أهمها :

شارع الكومى وبه المدرسة السنية الثانوية للبنات وخلفها بيت السنارى بحارة مونج حيث وضع علماء حملة بونابرت كتاب « وصف مصر » وهو مرجع فريد فى وصف القاهرة والقطر المصرى فى عصر هذه الحملة .

ويتفرع شارع الكومى نفسه عند نهايته إلى ثلاثة شوارع . فشارع خيرت يؤدى إلى ميدان لاظوغلى حيث وزارة المالية والعدل ومن هناك تصل إلى جميع وزارات ودواوين الحكومة تقريباً . وشارع المبتديان المؤدى إلى شارع القصر العينى وأحياء الانشا والمنيرة وجاردن سيتى . وشارع الناصرية المؤدى إلى الناصرية وكانت به بركة الناصرية القديمة المشهورة التى ردمت فى عصر الخديوى اسماعيل . وكانت هذه البركة تعرف أيضاً باسم بركة أبو شامة .

وكان بهذا المكان أيضاً سراى البابلى وكانت تشمل المنطقة المحصورة بين شوارع خيرت ونوبار باشا والمبتديان .

أما شارع الناصرية الحالى فيتصل أيضاً بشارع عماد الدين من نهايته وقد سمى هذا الجزء الأخير من شارع عماد الدين باسم شارع محمد بك فريد . وتصل من هذا الشارع إلى ميدان عابدين وميدان باب اللوق وفى الطريق تجد أحياء حارة السقايين و إلى الشرق سويقة السباعين وسوق مسكة .

ويتفرع من ميدان السيدة زينب أيضاً الدرب الجديد المؤدى إلى خط سويقة اللالة والهياتم .

ويتفرع من هذا الميدان كذلك شارع السد وامتداده المعروف بشارع السد البرانى المؤدى إلى أحياء البغالة والمواردى وزين العابدين والديورة والساقية وفم الخليج وهناك تجد السواقى القديمة التى كانت تغذى مجرى العيون لتوصيل مياه النيل إلى القلعة .

ومن ميدان السيدة زينب يتفرع أيضاً شارع مراسينا وبه الحوض المرصود ومسجد سنجر الجاولى وعلى امتداده شارع الخضيرى الموصل إلى مرتفعات جبل يشكر وفوقها جامع ابن طولون وعلى امتداد شارع الخضيرى تجد شارع الصليبة وشارع شيخون إلى ميدان محمد على بالقلعة . ويحيط بهذه الشوارع حى بركة الفيل الذى نشأ مكان بركة الفيل بعد ردمها وأحياء السيوفية والحبالة والمنشية .

ومن ميدان السيدة زينب يخرج أيضاً شارع السيدة زينب وعلى امتداده شارع اللبودية المؤدى إلى أحياء اللبودية ودرب الجاميز .

ويتقاطع ميدان السيدة زينب مع شارع الخليج المصرى . وكان هذا الخليج محور مدينة القاهرة فى عصر محمد على باشا وكانت المدينة إذ ذاك تنتهى إلى بركة الأزبكية غرباً .

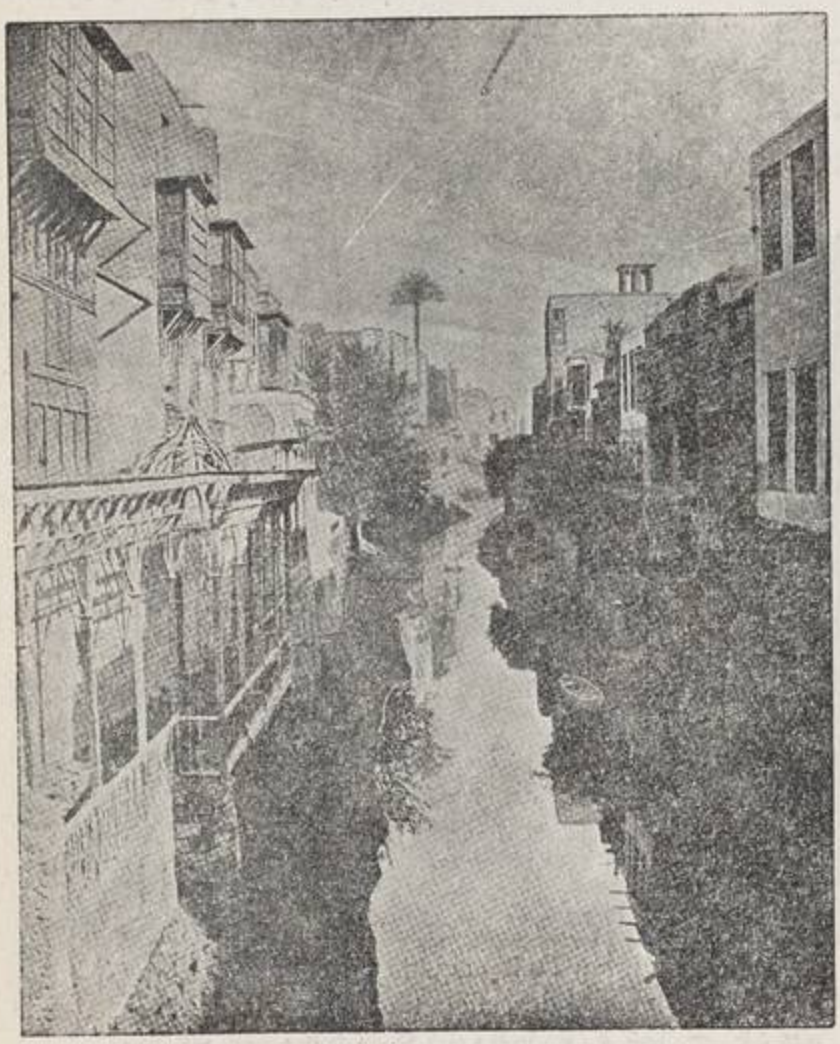

القاهرة — الخليج المصرى قبل ردمه سنة ١٨٩٦

شارع الخليج المصرى :

ظل الخليج المصرى مستعملا فى ارواء القاهرة وضواحيها ، وظل الاحتفال بفتحه سنوياً عند وفاء النيل ، إلى أن

أنشئت شركة مياه القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل ، ووصلت المياه الصالحة للشرب إلى المنازل ، وعند ذلك قلت فائدته وأصبح مباءة تلقى بها قاذورات المنازل المحيطة به وتنساب فيه المياه القذرة فصار بؤرة للامراض المعدية تفتك بالناس فتكاً ذريعاً . وأخيراً فى سنة ١٨٩٦ تعاونت شركة ترام القاهرة مع الحكومة على ردمه ومد به شريط الترام الذى يصل اليوم ما بين غمرة و باب الشعرية والسيدة زينب وشارع مدرسة الطب .

وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٧ صدر مرسوم ملكى بتوسيعه إلى ٤٠ متراً فيما بين ميدان السيدة زينب وشارع الملكة نازلى . ولا يزال هذا المرسوم فى طريق التنفيذ إلى اليوم . وقد وسع الشارع فعلا فى الجزء الواقع بين ميدان السيدة زينت وحارة عمر شاه وكذا فى الجزء الواقع بين شارع الحلمية إلى جامع الحين بميدان باب الخلق وجارى التوسيع فى الأجزاء الباقية منه .

ميدان المحطة وميدان باب الحديد :

يقع هذان الميدانان فى مدخل المدينة من جهة محطة السكة الحديد . وفى نفس هذه المواقع كان مدخل المدينة قديماً يوم كان النيل يمر مكان ميدان محطة مصر الحالى ويوم كان المقس ثغر القاهرة على النيل يحتل مكان الأحياء التى بها اليوم جامع أولاد عنان .

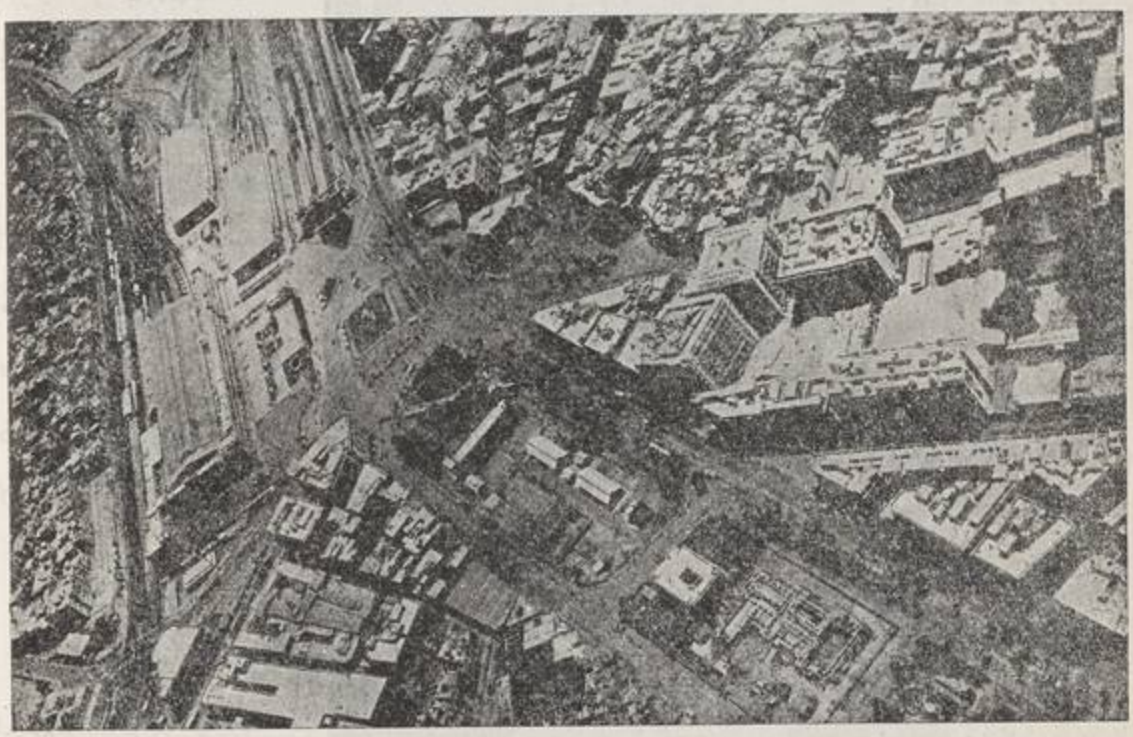

ميدان محطة مصر — صورة مأخوذة بالطيارة . وترى فيها محطه مصر ومحطة كوبرى الليمون وتمثال نهضة مصر وميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلى ومدخل كوبرى شبرا — كما ترى من جهة بعض العمارات الحديثة يقابلها من الجهة الأخرى مبانى أحياء وطنية قديمة

أما هذان الميدانان فواسعان جداً ، تصب فيهما سبعة شوارع رئيسية وهى : ١ — شارع غمره — ٢ — شارع الملكة نازلى — ٣ — شارع الفجالة — ٤ — شارع كلوت بك — ٥ — شارع ابراهيم باشا — ٦ — شارع السبتية — ٧ — شارع شبرا

فتجعل منهما بحراً يموج بالسيارات واللوريات وعربات الخنطور والعربات الكارو وعربات اليد وعربات الترام وعربات المترو وسيارات الأوتوبوس أضف إلى ذلك الدبابات وحاملات الطائرات وحاملات المدافع وسواها من مهمات الحليفة .

فماذا يفعل الغريب الذى قدر له أن يقع وسط هذا الميدان الهائج المائج لينجو بحياته ويصل إلى بر السلامة ؟ ليس أمامه والله إلا المغامرة وهذه مسألة لم تدخل بعد فى قاموس تخطيط المدن ! ! !

نعم لقد وجد حل لمسألة واحدة من مسائل هذا الميدان المعقدة . وهذا الحل هو إنشاء نفق شبرا وإلغاء مرور الترام فوق كوبرى شبرا « الأحدب » ، فخفف ذلك الضغط وقلل من سيل المحركات الجارف الذى كان ينصب من هذه الجهة إلى ميدان المحطة .

ولكن هل هذا يكفى ؟ كلا والله كلا ! فلا بد من حلول أخرى مثل إنشاء ممر سفلى بين مخازن بضائع السكة الحديد بشارع غمرة وبين شارع الخليج الناصرى بحيث يمر هذا الممر تحت شارع الملكة نازلى . هذا مع امتداد شارع الخليج الناصرى على استقامته حتى يتقابل بشارع كلوت بك عند ميدان باب البحر . وهكذا يمكن تفادى مرور عربات الكارو ووسائل النقل البطىء فى ميدان المحطة وتخفيف الضغط عن هذا الميدان .

وهناك الآن نفق وشوارع جديدة فتحت حديثاً بين شارع غمره وشارع الطويل الذى يصب فى شارع الترعة البولاقية بقسم شبرا لتسهيل مرور البضائع الواردة بالسكة الحديد إلى جهة شبرا وروض الفرج وهى تؤدى مهمتها بنجاح ملموس .

أما من جهة السبتية فقد كشف شارع المدبولى وأزيلت المبانى التى كانت بعطفة وحارة المقسى لتوسيعها وذلك تمهيداً لفتح شارع جديد يوصل رأسا بين محطة مصر وأبى العلاء لتسهيل مرور وسائل النقل البطيئة بدون الحاجة إلى مرورها بالميادين والشوارع الرئيسية .

تمثال نهضة مصر

هذا وقد تم امتداد شارع غمرة بموازاة خط سكة حديد (كوبرى الليمون — المرج) لغاية الشرابية والمهمشة حيث مخازن وصهاريج الغاز التابعة لشركة ڤاكوم أويل وشركة الغاز الأسيوية وحيث نفق باغوص المؤدى إلى شارع الملكة نازلى وأحياء غمره والسكاكينى والعباسية وحدائق القبة وسواها .

وقد أقيم فى وسط ميدان المحطة سنة ١٩٢٨ تمثال نهضة مصر الجميل وهو من صنع المثال المبدع محمود مختار . وقد صنع من جرانيت أسوان المصقول . وله قاعدة

جرانيتية بديعة وحوله منتزهات غاية فى الإناقة وحسن التنسيق . والتمثال يمثل مصر فى زى فلاحة توقظ أبا الهول من نومه الطويل وقد هم على نواجزه الأمامية ونظر إلى الامام نظرات كلها أمل وثقة . والتمثال جميل حقاً لولا ضياع نسبه بارتفاع القاعدة . ولو أنزل إلى الأرض لظهر جلياً ببداعة خطوطه وروعة تكوينه . وترمى فكرته إلى ربط الفن المصرى الحديث بالفن الفرعونى العتيد .

وهكذا أنشأ مختار فناً وطنياً مصرياً صميما يدعو الداخل إلى القاهرة من محطتها الرئيسية إلى التأمل والنظر الطويل .

نفق شبرا :

يرجع التفكير فى إنشاء هذا النفق إلى سنة ١٩٢٨ حين رأى خبراء المرور أن الضغط على كوبرى شبرا « الأحدب » يسبب كثيراً من الحوادث التى يمكن تلافيها بانشاء ممر آخر . ولكن العمل فى تنفيذ هذا النفق لم يبدأ إلا فى سنة ١٩٣٨ وتم فى ٢٦ مارس سنة ١٩٤٣ . ويعتبر إنشاء هذا النفق من أهم المشروعات العمرانية التى تمت فى عهد جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله نظراً لأنه فى الواقع رأس الطريق الزراعى بين العاصمة والوجه البحرى .

ويصل هذا النفق بين فم شارع شبرا وبين شارع الملكة نازلى أمام أسواق الجملة للخضر والفاكهة وطوله ٥٠٠ متر وعرضه ٤٤ متراً ويعلوه كوبريان من الخرسانة المسلحة بكمرات ضخمة أحدهما لمرور سكة حديد الوجه القبلى والآخر لمرور الترام والمركبات إلى السبتية . ويمر بالنفق خط ترام مزدوج كما تمر به سيارات النقل الكبيرة ووسائل النقل البطيئة والدراجات ومركبات الخيل والمشاة . وقد عين طريق خاص لوسائل النقل السريعة وطريق خاص لوسائل النقل البطيئة . وأعدت للفصل بين كل طريق وآخر أفاريز مزروعة أشجاراً وأزهاراً .

وهكذا أمكن تخصيص كوبرى شبرا « الأحدب » لمرور السيارات الخاصة والتاكسى والمشاة فقط وخف الضغط عن هذا الكوبرى وعن ميدان المحطة .

القاهرة — شارع عماد الدين وترى فى هذه الصوره الأثرية مبنى تياترو الكورسال قبل هدمه وقبل بناء عمارة عدس فى مكانه . وترى كذلك عمارات الخديوى وقطار المترو يمر فى الشارع .

وقد بلغت نفقات النفق نحو نصف مليون جنيه يضاف إليها نصف مليون آخر قيمة المبانى والأراضى التى نزعت ملكيتها .

شارع عماد الدين :

يقع هذا الشارع الآن مكان الشاطىء الشرقى الأصلى للنيل وقت فتح العرب لمصر سنة ٦٤١م . وينسب هذا الشارع إلى عماد الدين غلام صلاح الدين الأيوبى . وهو الآن شارع ذو واجهة تجارية من الدرجة الأولى . كما أن به معظم ملاهى القاهرة من دور سينما إلى دور تمثيل إلى دور رقص إلى دور غناء إلى أندية ليلية الخ الخ ... للترفية عن أهالى العاصمة .

ويمر فى وسطه الآن قطار كهربائى سريع تابع لشركة مصر الجديدة يصل مابين القاهرة وهذه الضاحية الجميلة .

وقد تم امتداد هذا الشارع الآن لغاية تقابله بشارع الناصرية بقسم السيدة زينب وسمى الجزء الممتد منه بين شارع فؤاد الأول وشارع الناصرية باسم شارع محمد فريد بك ، كما سمى ميدان سوارس القديم أحد ميادين هذا الشارع باسم ميدان مصطفى كامل ، وأقيم به تمثال بديع من البرنز على قاعدة مرتفعة من الرخام لهذا الزعيم الوطنى الأول .

شركة ترامواى القاهرة :

فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤ حصلت الشركة العامة الاقتصادية للخطوط الحديدية والبارون أمبان على امتياز ترام مدينة القاهرة من الحكومة المصرية ثم تنازلا عنه لشركة ترام القاهرة التى تأسست فى بروكسل عاصمة البلجيكا سنة ١٨٩٥ برأس مال قدره ١٦٠٫٠٠٠ جنيه أضيف إليها ١٢٠٫٠٠٠ جنيه قيمة سندات ٤٪ و٥٪ وحدد أجل الامتياز أولا لمدة ٥٠ سنة ابتداء من ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٦ ثم مد الامتياز خمسة سنوات أخرى تنتهى فى عام ١٩٥١ وذلك مقابل مبلغ ٥٠٫٠٠٠ جنيه مصرى دفعتها الشركة إلى الحكومة المصرية مساهمة منها فى انشاء أفاريز خارجية لكوبرى قصر النيل الذى حل محله (كوبرى الخديوى اسماعيل حالياً) وردم شارع الخليج المصرى وردم ورصف شارع الملكة نازلى ابتداء من ميدان المحطة لغاية مزلقان خط المحاجر بالعباسية . ثم مد الامتياز مرة ثانية ٢٧ سنة تنتهى فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٧٨ . وفى مقابل ذلك قبلت الشركة أن تدفع شهرياً إلى وزارة المالية أتاوة قدرها ٥٪ من اجمالى ايرادات النقل وبيع التيار الكهربائى وخلافه . على أن تستولى الحكومة فى نهاية مدة الامتياز بدون مقابل على جميع منشآت الشركة الثابتة منها والمنقولة . وقيدت الحكومة الشركة فى التصرف فى أملاكها بأى شكل كان إلا بعد التصريح منها بذلك .

وفى سنة ١٩٠٦ تنازلت الشركة عن خط الترام الممتد بين العباسية وواحات عين شمس إلى شركة سكة حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس مقابل ٥٠٠٠ سهم ذات حصة فى الربح من أسهم الشركة الأخيرة .

وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ اتفقت الحكومة والشركة على إنشاء خطوط جديدة مقابل مبلغ ٢٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى تدفعها الشركة للحكومة .

وحددت تعريفة الركوب بادىء الأمر بعشرة مليمات للدرجة الأولى وخمسة مليمات للدرجة الثانية ثم زيدت هذه التعريفة سنة ١٩٢٠ بمقدار ٢٠٪ وفى مقابل هذه الزيادة قبلت الشركة رفع أجور عمالها وفى الوقت نفسه قبلت أن تتحمل الإنفاق على فتح شارع الأمير فاروق بين العتبة الخضراء والحسينية وشارع الأزهر بين العتبة الخضراء والأزهر ثم تمد خط ترام مزدوج فيهما . كما قبلت الشركة زيادة أتاوة الحكومة من ٥٪ إلى ٦٪ ثم إلى ٦½٪ من اجمالى ايراداتها .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من ٥٤٠٫٠٠٠ حصة قدرت قيمتها بمبلغ ١٢٥ مليوناً من الفرنكات البلجيكية. وبلغت أرباح الحصة الواحدة فى القاهرة سنة ١٩٤٢ مبلغ ٢٠ قرشاً .

وينص عقد الامتياز الأصلى سنة ١٨٩٤ على التصريح بإنشاء الخطوط الآتية :

أولا — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بشارع عبد العزيز وميدان باب اللوق وميدان قصر النيل (ميدان الخديوى اسماعيل الآن) وشارع مصر العتيقة (شارع القصر العينى الآن) وينتهى عند سد فم الخليج (أمام كلية الطب بالقصر العينى) .

ثانياً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويسير فى نفس الشوارع المبينة أعلاه لغاية ميدان باب اللوق . ومن هناك يتجه إلى الناصرية (السيدة زينب) .

ثالثاً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بشارع محمد على وينتهى إلى ميدان محمد على عند القلعة .

رابعاً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بميدان الأوبرا وشارع بولاق (شارع فؤاد الأول الآن) ويجتاز كوبرى أبو العلا (على ترعة الاسماعيلية قبل ردمها أمام الإسعاف حالياً) وينتهى إلى بلدة بولاق على شاطىء النيل فى نهاية شارع أبو العلا . ويجب امتداد هذا الخط لغاية مدرسة الفنون والصنائع بمجرد الانتهاء من توسيع الشارع المؤدى إلى هذه المدرسة . (أعنى شارع المطبعة الأهلية) .

خامساً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويسير بمحازاة حديقة الأزبكية إلى ميدان البورصة (ميدان الخازندار الآن) وشارع كلوت بك ثم ينتهى إلى ميدان المحطة بعد اجتياز كوبرى الليمون (فوق ترعة الاسماعيلية قبل ردمها) .

سادساً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء إلى محطة مصر كالمبين أعلاه ثم يمر بشارع الفجالة إلى طريق العباسية وينتهى إلى بلدة العباسية . وتكون نهاية هذا الخط عند تقابل طريق العباسية بالشارع المحازى للمستشفى الأوربى . (تقابل شارع السرايات بشارع العباسية المعروف بميدان عبده باشا) .

سابعاً — خط يبدأ بعد اجتياز سد فم الخليج ويخترق حى مصر القديمة وينتهى مقابل مقياس النيل بجزيرة الروضة على أن يتصل بواسطة معدية خاصة بالجيزة على الشاطىء الغربى للنيل . ويجب أن تسير هذه المعدية بواسطة البخار أو بواسطة أى محرك آخر معتمد من نظارة الأشغال العمومية [1]

ثامناً — خط يبدأ من ميدان قصر النيل (الخديوى اسماعيل الآن) ويمر بمحازاة الثكنات العسكرية وبمحازاة ترعة الاسماعيلية حتى ينتهى إلى كوبرى الليمون (أعنى خط يمر بشارع الملكة نازلى الحالى ويبدأ من ميدان الخديو اسماعيل وينتهى إلى مكان تمثال نهضة مصر بميدان المحطة) .

---

(١) ألغيت كوبرى الملك الصالح وكوبرى عباس الثانى سنة ١٩٠٨ فرت خطوط الترام فوقهما وعدل هذا الشرط .

كما ينص اتفاق ٢٩ يناير سنة ١٨٩٧ على التصريح بانشاء خطوط الترام التالية : —

أولا — خط مزدوج يبدأ من النهاية الحالية لخط العباسية (عبده باشا أمام مدرسة الأمير فاروق) وينتهى عند مزلقان خط السكه الحديد (خط المحاجر) أعنى عند نهاية خط العباسية الحالى .

ثانياً — خط مزدوج بشارع الخليج المصرى بعد ردمه بمعرفة الشركة ويتفرع هذا الخط من الخط الحالى الموجود بشارع الظاهر وينتهى بخط مصر القديمة عند فم الخليج .

ثالثاً — خط مزدوج بين كوبرى قصر النيل و بين أهرام الجيزة .

على أن تقوم الشركة نظير ذلك بالأعمال الآتية على نفقتها الخاصة :

(ا) إنشاء شارع جديد ورصفه بالأحجار الجيرية بسمك ٢٠ سم . ويبدأ هذا الشارع من ميدان باب الحديد ويسير موازياً لترعة الاسماعيلية وينتهى عند مزلقان خط المحاجر بالعباسية (أعنى ردم ورصف شارع الملكة نازلى الحالى من ميدان المحطة إلى العباسية) .

(ب) ردم الخليج المصرى ابتداء من قنطرة غمرة (ومكانها كوبرى باغوص الحالى بغمرة) لغاية فوهته بفم الخليج فى ظرف ١٨ شهراً . وعلى الشركة أن تقوم بعد ذلك برصف هذا الشارع الجديد بالأحجار الجيرية بسمك ٢٠ سم بين هاتين النقطتين .

(حـ) إنشاء أفاريز خارجية على جانبى كوبرى قصر النيل يكون عرض كل أفريز منهما مترين وتخصص لمرور المشاة .

و بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٩٠٢ حصلت شركة الترام على تصريح بامتداد شبكة خطوط الترام إلى شبرا وساحل روض الفرج بالشروط الآتية :

أولا — التصريح بمد خط ترام شبرا المتفرع من الشبكة الحالية لخطوط الترام الواصلة إلى محطة مصر ابتداء من ميدان كوبرى الليمون (ميدان المحطة) مارا فوق كوبرى شبرا إلى أن ينتهى على بعد خمسين متراً من ديوان البوليس الكائن على طريق شبرا . ويكون هذا الخط مزدوجاً إلا فى الجزء المار فوق الكوبرى حيث يكون الخط مفرداً .

ثانياً — التصريح بمد خط ترام يتفرع من الخط المذكور سابقاً ويمر بالطريق الذى يخترق أراضى زرقودا كى وينتهى فى النهاية الشمالية لساحل روض الفرج على شاطىء النيل . ويكون هذا الخط مزدوجاً فى كامل طوله .

وتتعهد الشركه نظير ذلك أن تقوم على حسابها الخاص بالأعمال المذكورة فيما يلى :

(ا) انشاء خارجتين على جانبى كوبرى شبرا بحيث تكون الخارجة اليمنى بعرض متر ورب والخارجة اليسرى بعرض متر ونصف .

(ب) توسيع الكوبرى المار فوق الترعة البولاقية على امتداد شارع شبرا بحيث يصل عرض بحر الكوبرى إلى ١٠٫٥٥ متراً بين الأرصفة ويعمل له رصيفان الرصيف الأيسر بعرض ٢٫٢٥ متر والرصيف الأيمن بعرض ١٫٧٥ متراً .

(حـ) توسيع الطريق الممتد بين القنطرة الصغيرة الكائنة بجوار كشك عوائد الساحل بروض الفرج وبين النهر إلى أن يصل عرضه إلى ١٢ متراً مقاسة عند رأس الميول ويجب أن يكون ميل الجسر بنسبة ١½ فى القاعدة إلى ١ فى الارتفاع .

وتتعهد الشركة كذلك بالقيام باعمال الردم اللازمة لجسر النيل فى المنطقة الواقعة فيما بين نهاية طريق العوايد والطريق الحالى الذى يمر أمام الواجهة الغربية لشوّن الساحل بروض الفرج .

(ى) توسيع القنطرة الواقعة عند كشك عوايد الساحل بروض الفرج حتى يكون عرضها مساوياً لعرض الطريق المذكور أعلاه أى يكون ١٢ متراً فيما بين الدراوى .

(هـ) تتحمل الحكومة مصاريف رصف الشوارع التى ستمر بها خطوط ترام هذين الخطين ما عدا شريط عرضه أربعة أمتار فى الشارع الجديد الذى سيخترق أراض زرفودا كى وهذا الشريط يجب على الشركة أن تتحمل مصاريف رصفه على حسابها الخاص .

هذا ، وقد أصبحت عربات الترام اليوم من وسائل المواصلات الميسورة فى القاهرة وضواحيها ، وهى تمد الآن فى معظم شوارع العاصمة وضواحيها . ويعتبر ميدان الملكة فريدة الذى حل مكان ميدان العتبة الخضراء والمحكمة المختلطة القديمة وميدان أزبك النقطة التى تبدأ منها أغلب الخطوط وأهمها بالقاهرة .

وطول خطوط الترام بالقاهرة حالياً ١٤١٫٨٣٤ متراً وعدد قاطراتها ٣٦٣ قاطرة وعدد مركباتها ٢٨٩ مركبة ويبلغ عدد الركاب يومياً حوالى ربع مليون راكب .

مجارى القاهرة[1] :

ظلت القاهرة حتى سنة ١٩٠٦ تصرف مياهها العادية فى مجارير تحفر تحت المنازل . وفى زمن الشتاء كانت مياه الأمطار تركد عدة أيام فى الشوارع فتتوحل هذه الشوارع وتحول إلى مستنقعات آسنة . ولم يكن بالقاهرة فى ذلك الوقت سوى ٧٧٠٠ متر طولى من مجارى الأمطار لها ثلاثة مصبات فى النيل ، ثم أضيف إليها ٨٠٠ متر تقريباً أنشأتها مصلحة التنظيم سنة ١٩٠٢ . أما باقى القاهرة فكانت مياه الأمطار تترك بشوارعها حتى تتسرب إلى باطن الأرض أو تتبخر أو تكسحها عربات التنظيم .

---

(١) راجع محاضرة الأستاذ محمود بك وصفى وكيل مصلحة المجارى الرئيسية بجمعية المهندسين الملكية بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٣٩ .

وفى سنة ١٩٠٦ كلفت الحكومة المستر كاركيت چيمس بتحضير مشروع مجارى القارة ، وكان عدد السكان إذ ذاك ٦٤٤ر٠٠٠ يستهلكون حوالى ٢٦٠٠٠ متر مكعب من المياه يومياً أى حوالى ٤٠ لتراً للشخص الواحد .

وحضّر المشروع ليكفى المدينة مدة ٢٥ سنة لغاية سنة ١٩٣٢ على أساس أن عدد السكان فى تلك السنة سيبلغ ٩٦٠ر٠٠٠ نسمة وأن الاستهلاك سيبلغ ٤٨ر٠٠٠ متر مكعب يومياً أى ٥٠ لتراً للشخص الواحد فى اليوم وأن جملة المساحة التى يشملها المشروع هى ٧٢٦٧ فداناً من ذلك ٣١٦٨ فداناً تصرف بالانحدار الطبيعى و٤٠٩٩ فداناً تصرف بطريقة الروافع الآلية . وقسمت هذه المساحة الأخيرة إلى ٦٣ محطة رفع تدار بالهواء المضغوط الذى يوزع عليها فى شبكة من مواسير الزهر من محطة معروف .

وتحتوى أغلب هـذه الروافع على علبتين تتراوح سعتها بين ٥٠ و٥٠٠ جالون وترفع مياه المجارى بهذه المحطات إلى ثلاثة فروع رئيسية من مواسيرالزهر. الأول بشارع الخليج المصرى قطر ٣٣ بوصة. والثانى بشارع الملكة نازلى قطر ٣٠ بوصة . والثالث فرع شبرا قطر ٣٠ بوصة أيضاً . وتجتمع هذه الفروع الثلاثة فى غمرة حيث يبدأ المجمّع الرئيسى الأول بقطر متر وستين سنتمتراً من الداخل وبانحدار ١ : ٢٥٠٠ ماراً بشارع الملكة نازلى فشارع الملك ثم بالقبة والزيتون والمطرية حتى عين شمس ، ثم يتجه شرقاً تحت قاع ترعة الجبل حتى محطة طلمبات كفر فاروق . وبهذه المحطة الأخيرة أربع مجموعات بخارية لرفع مياه المجارى بالطلمبات ذات المكبس فى ماسورة طرد من الزهر قطر ٣٦ بوصة طولها ١١٥٦٣ متراً ، تسمى الماسورة الصاعدة ، لتوصيل مياه المجارى إلى أحواض التنقية بمزرعة المجارى بالجبل الأصفر .

وهناك ترسب المياه بأحواض ترسيب تكفى ٤٨ر٠٠٠ متر مكعب يومياً جارى تشغيلها الآن لجميع تصرف مياه القاهرة .

ويرشح جزء من المياه بعد ترسيبها مقداره ٨٠٠٠ متر مكعب يومياً ثم تخلط المياه المرشحة بباقى المياه المرسبة لرى أرض مزرعة المجارى الرملية وزراعة حوالى ١٧٠٠ فدان من أرض المزرعة التى تربو مساحتها على ٣٥٠٠ فدان .

وقد وضع المشروع الأصلى على أساس صرف مياه الأمطار فى النيل بواسطة ثلاثة مصبات إلا أنه فى سنة ١٩١٠ بعد أن نفذ نصف المشروع تقريباً ، قررت الحكومة أن تقوم شركة مياه القاهرة بسحب مياه الشرب من النيل عند روض الفرج مع عدم صرف مياه الأمطار من المصبات الثلاثة المذكورة . فوزعت مياه الأمطار على الروافع بقدر الامكان وأنشئت محطة طلمبات مياه السطوح بشارع الملكة نازلى بالقرب من تقابله مع شارع عماد الدين لرفع مياه الأمطار من مجارى السطوح وطردها فى ماسورة زهر قطر ٢٤ بوصة لتصب فى ترعة الاسماعيلية فرع غمرة . وقد حوّلت هذه الماسورة بعد إنشاء المجمّع الثانى وأصبحت مياه الأمطار تصب فى إحدى مطابقه .

هذا هو مشروع مجارى القاهرة فى خطوطه الرئيسية وهناك الآن محطات مساعدة أخرى فى شارع يلبغا بشبرا وفى مصر القديمة وسواها .

مصلحة التنظيم :

يرجع إنشاء مصلحة التنظيم إلى سنة ١٨٧٩ وكانت أولا إدارة من الإدارات التابعة لنظارة الأشغال العمومية . أما لائحة التنظيم فترجع إلى سنة ١٨٨٩ كما يرجع قانون نزع الملكية إلى سنة ١٩٠٦ . وقد ساعد هذان القانونان على إجراء تحسينات لا بأس بها بمدينة القاهرة ولكن سرعان ما تبين تقصيرهما عن سد احتياجات المدينة الحديثة فحل محلهما القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتنظيم المبانى ، والقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتقسيم الأراضى المعدة للبناء.

وتكفى نظرة واحدة على الأحياء الشعبية بهذه المدينة الضخمة لبيان أهمال الماضى وعدم كفاية تدابير الرقابة على مرافق القاهرة عاصمة القطر المصرى ، وملتقى طرق الشرق والغرب بسكانها العديدين الذين يبلغ عددهم حوالى اثنين مليون نسمة .

فها هى الأحياء القديمة المزدحمة بالسكان لا يزال كثير منها محتفظا بمميزاته وصفاته العتيقة كما لا تزال مساجد هذه الأحياء المشهورة وآثارها العربية الجميلة التى لا يفوقها شئ فى قيمتها الأثرية محجوبة خلف المبانى المتهدمة القبيحة المنظر . وبجانب كل هذا تجد أحياء منظمة على الطرق الحديثة .

نعم لم تزل القاهرة الحديثة الجميلة عروس الشرق تحتضن فى جوفها قرى توحى لمن ينظر إليها بأنها وجدت قبل أن توجد القاهرة .

وحين ترى العمارات الشاهقة والمبانى الحديثة والحدائق الغناء ، تقوم إلى جوارها الأكواخ المتهدمة والمنازل الخربة تتذكر ما قاله أحد المهندسين العالميين « أن هذا يشبه الجيش الذى صفت جنوده على خط واحد وألبس كل جندى لباس يختلف عن زميله فبدا منظر الجيش مضحكا » .

نعم بينما أنت تعجب بهذه الآيات الفنية فى منزل أنيق ساحر إذا بك تصطدم بهذه المناظر البشعة للشقاء البشرى فى المنزل المجاور له .

كل هذا فى انتظار قيام بلدية جديدة تشمل مصلحة التنظيم ومصلحة المجارى وتفتيش صحة مصر وتعيد تخطيط مدينة القاهرة على أساس جديد يليق بعاصمة الشرق . فهل آن الأوان لمطالبة الحكومة بذلك ياسكان القاهرة ! !

هذا أما مصلحة التنظيم بالقاهرة فتباشر الآن الأعمال البلدية بالمدينة وتشمل :

١ — تنظيم خطوط الشوارع ، وصرف رخص البناء وأشغال الطريق وفحص واجهات الأبنية الآيلة للسقوط ، ونزع ملكية العقارات اللازمة لتوسيع الشوارع أو فتح شوارع جديدة ، وتسمية الشوارع وتنمير المنازل وأعمال صيانة شواطئ النيل ، ومراقبة إنشاء المدافن .

٢ — إنشاء ورصف الشوارع ، وصيانة وغرس الأشجار على جوانبها و إنشاء وصيانة الحدائق العمومية .

٣ — تخطيط المدينة وتعديل الأرصفة ، وتحسين حركة المرور بالشوارع والميادين ، ومراقبة تنفيذ عقود الامتياز الممنوحة لشركات الترام والمياه والغاز والكهرباء وسواها .

٤ — كنس ورش شوارع القاهرة وتقوم بها مصلحة نظافة العاصمة تحت إشراف مصلحة التنظيم .

وقد وصلت ميزانية مصلحة التنظيم فى السنوات الأخيرة إلى أكثر من مليون جنيه مصرى .

مداخل القاهرة :

نود الآن دراسة مداخل القاهرة من ثلاثة جهات . أولا من جهة السكة الحديد . وثانياً من جهة الطرق الصحراوية والزراعية . وثالثاً من جهة الملاحة النهرية .

فأولا — من جهة السكة الحديد :

ليس هناك تناسق بين جمال القطارات الفاخرة التى تقطع المسافة بين الأسكندرية والقاهرة فى حوالى ثلاث ساعات ونصف ، و بين مداخل العاصمة . فالمسافر الذى جلس مدة هذه الساعات فى عربة من عربات البولمان الفاخرة ورأى الوادى بخضرته ونضارته وتمتع بجمال الطبيعة اليانع الجذاب ، يصطدم عند مدخل القاهرة ، و بعد اجتياز القطار لكوبرى ترعة الاسماعيلية بمناظر الأكواخ والعشش الحقيرة الواقعة على جانبى الخط فى قسم شبرا . ولا بد من إنشاء شارعين عريضين جميلين لا تقل عروضهما عن ٤٠ متراً بموازة هذا الخط من الجانبين مع إزالة هذه الأكواخ الحقيرة المطلة على مدخل المدينة .

ثم ماذا نقول عن مدخل القاهرة الذى يشاهده المسافر الآتى فى قطار الإكسبريس من الصعيد . فبعد اجتياز القطار لكوبرى امبابة ، يرى المسافر الذى تذوق طعم الفن المصرى البارع فى آثار الأقصر والكرنك ، وشاهد العظمة والجمال والأبهة والرونق الخلاب فى معابد مصر القديمة وفى مقابر وادى الملوك والملكات ثم استنشق بعد ذلك نسيم الوادى وشاهد جمال الحقول اليانعة وجلال النهر الجبّار — أقول ماذا يرى هذا المسافر بعد عبور كوبرى امبابة ؟

يرى منظرا تشمئز منه النفس ، يرى منازل مهدمة علتها أدخنة القطارات وغبّرت وجهها ، يرى حقارات تلو حقارات ، يرى منازل تطل على الخط من الخلف ودورات مياه قذرة تبدو لأعين المسافرين .

فيارب هل هذه هى العاصمة ؟ هل يليق أن تبقى كذلك مداخل القاهرة ؟

يجب حتما إزالة هذه الوصمة . يجب حتما فتح شارعين عريضين لا تقل عروضهما عن ٤٠ متراً بموازاة هذا الخط وعلى جانبيه ابتدأ من محطة مصر لغاية كوبرى امبابة .

يجب أن يشعر المسافر أنه يدخل عاصمة أقدم مملكة فى العالم ، يجب أن يشعر أنه يدخل عاصمة مصر أم الدنيا وأم المدنيات كلها .

وقل مثل هذا عن المسافر الآتى إلى القاهرة فى القطار من شبين القناطر فماذا يرى فى المرج وعين شمس والمطرية والحلمية والزيتون والقبة والدمرداش ؟

يجب إزالة العشش التى تتصادم مع عظمة هذه المواقع ، يجب فتح شوارع عريضة على جانبى هذا الخط أيضاً .

وقل مثل هذا عن خط حلوان ، يجب أزالة أكواخ مصر القديمة التى تقع على جانبى هذا الخط ، يجب فتح شارعين عريضين على جانبى الخط يمتدان حتى أثر النبى ودير الطين حتى يتقابلان بطريق السيارات الرئيسى المزمع مده بين القاهرة وحلون .

وثانياً — من جهة الطرق الزراعية والصحراوية :

أما عن مداخل القاهرة من جهة الطرق الزراعية والصحراوية فهناك تحسين ملموس فيها . فمدخل القاهرة من جهة طريق الأسكندرية الصحراوى وكذا من جهة طريق الفيوم الصحراوى حسن جميل جذاب بفضل توسيع شارع الأهرام الذى جعل عرضه ٤٠ متراً سنة ١٩٣٣ وجعل فى وسطه خط ترام مزدوج على جانبيه متنزهان بهما أفاريز عريضة يليهما طريقان لمرور السيارات والعربات . وعلى الجوانب أفاريز لمرور المشاة ، ثم بفصل انشاء النفق المار تحت خطوط سكة حديد وجه قبلى . فهذه التحسينات جعلت من مدخل القاهرة من هذه الجهة شيئاً يليق بالعاصمة و بعظمة الأهرامات .

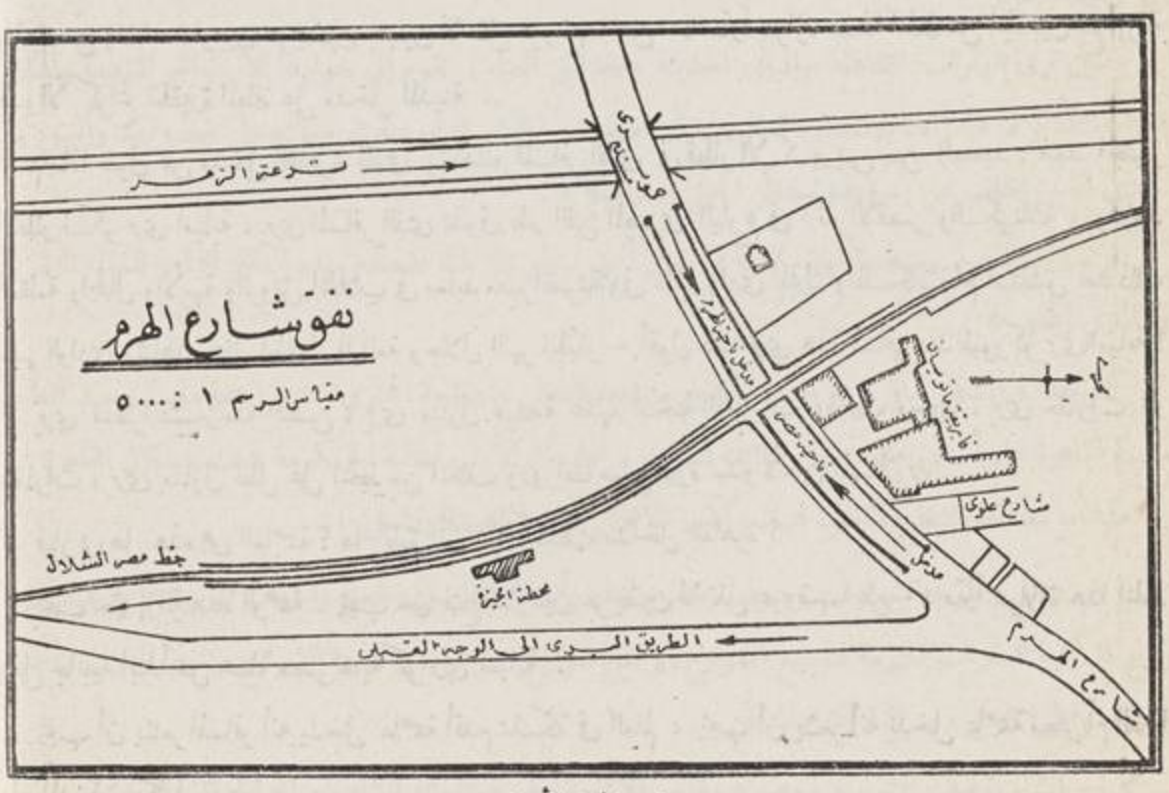

نفق شارع الأهرام

فبعد اجتياز الشارع الواقع إلى شمال لوكندة مينا هاوس وهو شارع ضيق يجب توسيعه لا يقع البصر إلا على جمال يلى جمالا. فهنا الأهرام، وهنا مينا هاوس وهنا فيلات أنيقة كأنه قدر لهذه الجهة أن تظل موطن العظمة والجمال منذ القدم!!.

أما مدخل العاصمة من جهة طريق السويس الصحراوى. فمدخل جميل جذاب حقاً والفضل فى ذلك لشركة مصر الجديدة التى أنشأت الشوارع العريضة النظيفة المنسقة تنسيقاً بديعاً فى مدخل هذه الضاحية الضاحكة.

وقل أيضاً مثل هذا عن مدخل القاهرة من جهة شبرا البلد فهو حسن بديع بفضل امتداد شارع شبرا الرئيسى لغاية قنطرة فم الترعة الإسماعيلية. ومتى تنفيذ مشروع حديقة شبرا البلد الجديدة حول قصر شبرا المشهور سيكون هذا المدخل من أبدع مداخل القاهرة وأفخمها.

وثالثاً — مرسى لجهة الملاحة النهرية:

أما سواحل القاهرة النهرية الحالية بروض الفرج وبولاق وأثر النبى فتحتاج إلى إنشاء موانئ بها أرصفة ومراسى للمراكب وأحواض وسوى ذلك كثير من الاصلاحات كاقامة ميادين أمامها لتسهيل حركة المرور وتفريغ البضائع وشحنها وما إلى ذلك من الأعمال الخاصة بالملاحة النهرية وبالموانئ التجارية.

مبنى لدار البلدية ودار المحافظة والبرلمان بالقاهرة:

لم تزل البلدية مجرد مشروع لم يحقق بعد وإن كانت جميع الظروف وجميع الأحوال تحتم انشائها سريعاً لمصلحة القاهرة والقاهريين ولا بد من التفكير من الآن فى مكان مناسب لاقامة دار البلدية حين إنشائها.

أما دار المحافظة الحالى وهى دار منصور باشا يكن القديمة الكائنة بميدان باب الخلق فجدير بالمدينة الحديثة أن تفكر فى نقلها إلى مكان يتفق مع مكانة العاصمة ودور تمثيلها أمام الأجانب.

هناك فى ميدان الخديوى اسماعيل حيث كانت سراى الإسماعيلية التى سكنها مختار باشا آخر ممثل للحكم التركى فى هذه البلاد والتى هدمت بعد احتلال الانجليز لمصر مباشرة، هناك أراضى للحكومة تليق مكاناً مناسباً لانشاء دار بلدية القاهرة بجوار وزارة الخارجية (سراى الأمير كمال الدين حسين سابقاً).

ولابد من كلمة صريحة عن ثكنات قصر النيل.

لم يعد هذا المكان مناسباً بأى حال من الأحوال لإقامة ثكنات للجنود لامن الوجهة العسكرية ولا من الوجهة الفنية ولا من وجهة تجميل المدينة الحديثة. لقد أنشأ سعيد باشا هذه الثكنات فى هذا المكان للاشراف على المواصلات النهرية ولحراسة مدخل المدينة ولحمايتها يوم كانت هذه الجهات خالية ليس فيها إلا أراضى زراعية وبساتين وكيمان وبرك. أما الآن فأين هى المصلحة فى إبقاء هذه الثكنات المتداعية المنخفضة فى مواجهة سراى الخارجية المصرية؟ أين هى المصلحة فى إبقاء هذه الثكنات التى تسد شارع الكورنيش المنشود على شواطئ النيل من حلوان إلى فم الترعة الإسماعيلية.

أين هى المصلحة فى إبقاء الجيوش وسط غوغاء المدينة وفى نقطة من أشد نقطها حساسية ، ومن أحوج ما تكون المدينة إليها لتنفس عن صدرها وتستنشق نسيم النيل .

هذا المكان جعلته الطبيعة للبرلمان . فهل لمصر بعد أن وقفت وقفتها التاريخية حين وصلت جيوش المحور إلى العلمين . هل لمصر بعد أن قامت بجميع تعهداتها المدونة والغير مدونة فى معاهدة الصداقة المبرمة بينها و بين إنجلترا بكل إخلاص وأمانة فى أحرج أيام عرفتها إنجلترا فى تاريخها الطويل . هل لمصر بعد هذا كله أن تطلب من حليفتها إخلاء ثكنات قصر النيل لهدمها و إقامة البرلمان المصرى مكانها وامتداد شارع الكورنيش هناك . الحق واضح لا يحتاج لدليل . فما أجمل الرجوع الى الحق . ولنا الأمل أن يتحقق هذا المشروع بأسرع ما يمكن بعد انتهاء المفاوضات الجارية الآن لإجلاء الجيوش الإنجليزية عن مصر والسودان .

مصر الجديدة .

كانت مدينة القاهرة حتى سنة ١٩٠٥ تمتد إلى العباسية فقط . فتأسست شركة تدعى شركة سكك حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس غرضها الأساسى إنشاء مدينة بالصحراء تدعى مصر الجديدة (هليو بوليس) تعيد ذكرى مدينة عين شمس الفرعونية القديمة وتحيى ما كان لهذه المدينة القدسية من عظمة وفخامة ، وتحقيقاً لذلك حصلت هذه الشركة على امتياز من الحكومة المصرية فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ لمدة ٧٠ سنة تنتهى فى ٢٢ مايو سنة ١٩٧٥ يسمح لها بالأعمال الآتية :

منظر بالطيارة لبعض شوارع وعمارات مصر الجديدة

١ — إنشاء واستغلال سكة حديد كهربائية تصل ما بين كوبرى الليمون والمدينة الجديدة وهو خط المترو المعروف الذى صار امتداده فيما بعد فى شارع عماد الدين لغاية تقابله بشارع فؤاد الأول ثم تقهقر حديثاً إلى شارع ألفى بك .

٢ — إنشاء واستغلال خط ترام يبدأ من المحطة النهائية لخط ترام العباسية وينتهى إلى مدينة مصر الجديدة .

٣ — وبتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٨ منحت الحكومة هذه الشركه امتيازاً آخر بإنشاء واستغلال خط ترام بين مدينة مصر الجديدة وضاحية سراى القبة وينتهى امتياز هذا الخط مع امتياز الخط الأول .

ويرجع الفضل فى إنشاء هذه الشركة إلى رجل من رجال المال البلجيكيين وهو البارون أمبان الذى لاحظ فى سنة ١٩٠٥ سرعة نمو مدينة القاهرة وسرعة ازدياد عدد سكانها فصمم على انتهاز الفرصة للقيام بمشروع اقتصادى مضمون الربح وعضده فى ذلك سعادة باغوص نوبار باشا . وكانت نتيجة عملهما قيام هذه الضاحية الضاحكة التى تفخر بها اليوم القاهرة الحديثة .

وبمقتضى المادة الثالثة من الاتفاق المعقود فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ باعت الحكومة للشركة ٥٩٥٢ فدانا بواحات عين شمس بسعر جنيه واحد للفدان بشرط تخصيص هذه الأراضى لبناء منازل للسكن ومساجد وكنائس وفنادق ومدارس وملاهى على أن يكون للشركة الحق فى شراء مساحة أخرى ضعف المساحة الأولى بشرط استعمال هذا الحق فى مدى السبع سنوات التالية لإمضاء العقد الأول وأن يكون قد تم إنشاء ١٠٠ منزل على الأقل على الأرض المبيعة أولاً . وقد استعملت الشركة حقها هذا وفعلا اشترت ١١٨٩٩ فداناً . ولكن الجزء المبنى فى مصر الجديدة لغاية الآن لا تزيد مساحته عن ألف فدان فقط ومساحة الشوارع المرصوفة فيها ٦٠٠ر٢٦٣ متراً مربعاً تصل عروض بعض شوارعها مقاسة بين واجهات المبانى المتقابلة إلى ١١٤ متراً كما هو الحال فى شارع فؤاد الأول .

وقد أقامت الشركة بهذه المدينة مبانى عربية الطراز جميلة ذات بواكى محمولة على أعمدة جرانيتية مصقولة بديعة الشكل . كما أقامت بها فنادق فاخرة مثل فندق هليو بوليس بالاس وبه ٥٠٠ غرفة وتعلوه قبة ارتفاعها ٤٠ متراً وهى تضارع بجمالها ورشاقتها أجمل قباب مساجد القاهرة . وهذا الفندق من تصميم جسبار المهندس البلجيكى . وأقامت بها كذلك كنيسة الكاتدرائية وهى من تصميم المهندس ألكسندر مارسيل وهى بيزنطية الطراز وفيها اقتباس كبير من كنيسة أياصوفيا باستانبول . كما أقامت بها جامعاً فخماً وكذا القصر الهندى محل إقامة البارون إمبان وهو من تصميم المهندس ألكسندر مارسيل كذلك . وهناك خلاف ذلك قصر نوبار باشا ومكاتب الشركة ودواوين البوستة والبوليس والفيلات وبعض منازل الإيراد وكلها ذات جمال وجاذبية . هذا خلاف المرافق العامة مثل شبكة المواسير الخاصة بتغذية المدينة بالمياه الصالحة للشرب من آبار الزيتون الأرتوازية . وشبكة الكهرباء والمجارى العمومية .

وبعد انتهاء الحرب العظمى سنة ١٩١٨ حدثت أزمة مساكن فى القاهرة ومصر الجديدة واشتدت وطأتها سنة ١٩٢١ فتم اتفاق بين الشركة والحكومه المصرية والبنك العقارى المصرى يتلخص فيما يلى :

يخصص مبلغ ٦٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى لبناء عمارات بمصر الجديدة منها ٢٠٠،٠٠٠ جنيه تدفعها الشركة و ٤٠٠،٠٠٠ جنيه يدفعها البنك العقارى بصفة قرض مضمون من الحكومة وفى مقابل ذلك تحصل الحكومة على ١٠٪ من قيمة الأراضى التى تباع مستقبلا وعليها أن تتكفل بعد الانتهاء من تشييد المبانى بمصاريف المنافع العامة بمصر الجديدة وصيانة وترميم الشوارع والأرصفة والحدائق العامة وإنارتها وتنظيفها .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من ٢١٠،٥٠٠ سهم قيمة كل منها ٢٥٠ فرنكا مدفوعة بالكامل خلاف ٦٠،٠٠٠ سهم لها حصة فى الربح و ١٢٧٤١ سنداً فئة ٥٪ سعر السند ٥٠٠ فرنك وقد بلغت أرباح الشركة الصافية أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ جنيه سنة ١٩٤٢ .

مطار ألماظة :

منذ بضع سنوات كانت ألماظة قطعة من الصحراء لا تمتاز عن سائر الرمال التى تحوطها فى شىء . أما اليوم فيقوم فيها مطار مدنى ومطار حربى على أرض مساحتها أكثر من ٨٠٠ فدان تنازلت عنها شركة مصر الجديدة للحكومة لأنها كانت ضمن الأراضى الممنوحة لها بمقتضى عقد الأمتياز المبرم فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ بينها وبين الحكومة . ومن هذا المطار تبدأ جميع خطوط الطيران الرئيسية بين مصر وأوروبا وفلسطين والعراق وشرق الأردن وأفريقيا الاستوائية وأفريقيا الجنوبية والهند وجزيرة جاوة الخ . . . ومن المنظور أن يكون هذا المطار ملتقى خطوط طيران العالم كله بعد الحرب الحاضرة .

أقسام بوليس القاهرة :

تقدر مساحة محافظة القاهرة الحالية بحوالى ٤٠،٠٠٠ فدان ويبلغ عدد سكانها اثنين مليون نسمة . وينقسم بوليس هذه المحافظة إلى ثلاث فرق (ا) و (ب) و (حـ) تضم ١٦ قسما تتراوح قوة البوليس فى كل منها بين ١٦٣ و ٥٢٩ رجلا . فالفرقة حرف (ا) ومركزها بقسم الأزبكية تشمل الأقسام الآتية :

١ ـ قسم الأزبكية وتتبعه نقطة القللى .

٢ ـ قسم الوايلى وتتبعه نقط السكاكينى وحدائق القبة والعادلى .

٣ ـ قسم شبرا وتتبعه نقط : العزب ومهمشة والرياح

٤ ـ قسم بولاق

٥ ـ قسم مصر الجديدة وتتبعه نقط : المطرية وعين شمس والزيتون وألماظة .

٦ ـ قسم روض الفرج وتتبعه نقطة الساحل .

أما الفرقة حرف (ب) ومركزها قسم عابدين فتشمل الأقسام الآتية :

١ ـ قسم عابدين وتتبعه نقطتا : الجزيرة والانتكخانة . ٢ ـ قسم الموسكى .

٣ ـ قسم السيدة زينب وتتبعه نقطتا : السلخانة والقصر العينى .

٤ ـ قسم مصر القديمة و تتبعه نقطتا : المنيل وفم الخليج .

٥ ـ قسم حلوان وتتبعه نقطتا : طرة والمعادى . ٦ ـ قسم الأهرام .

٧ ـ قسم مخالفات المرور .

أما الفرقة حرف (ج) ومركزها قسم الخليفة فتشمل الأقسام التالية :

١ ـ قسم الخليفة وتتبعه نقطة الإمام الشافعى . ٢ ـ قسم باب الشعرية وتتبعه نقطة الجامع الأحمر .

٣ ـ قسم الجمالية وتتبعه نقطتا: قايتباى والحسينية . ٤ ـ قسم الدرب الأحمر وتتبعه نقطتا : الحلمية والأزهر .

وتتألف قوة البوليس بهذه الأقسام و ببوليس حركة المرور والبلوكات السوارى وفرقة المطافى و بلوكات النظام من ٧٣٣١ رجلا منهم ٢٣٤ ضابطاً و ١١ كونستبلا أجنبياً و ٢٥١ صف ضابط و٦٩ صانعاً و٥٧٦٦ جندياً . و بين أفراد هذه القوة ٣١ بريطانياً و٤ من اليونانيين وفرنسى واحد وسويسرى وسورى . ومن المنظور الاستغناء عن خدمة الضباط الأجانب قريباً جداً .

وأكثر أقسام القاهرة سكاناً قسم السيدة زينب إذ يقيم فيه ٢٥٠٫٠٠٠ نفس . وأكثرها من حيث عدد المساكن المأهولة قسم بولاق . أما أكثرها ازدحاما بالسكان فقسم باب الشعرية حيث يخص الكيلومتر المربع ١٠٠٫٠٠٠ نفس تقريباً و يليه قسم الموسكى حيث يخص الكيلو متر المربع ٦٠٫٠٠٠ نفس تقريباً . أما فى مصر الجديدة وحلوان فلا يخص الكيلومتر المربع إلا ١٢٠٠ نفس تقريباً .

فرقة المطافى :

وتؤلف فرقة مطافى القاهرة من قومندان و٧ ضباط و٣٢ مهندساً وميكانيكياً و٥ كتاب و٦٧ صف ضابط ، و٦٦٧ جندياً و١٠ صناع . و بلغ عدد الحرائق التى أبلغت أنباؤها إلى القوة ٥٦٤ حريقاً سنة ١٩٤٤ . وكانت قيمة الممتلكات التى تعرضت لأخطار الحريق ١٫٩٢٨٫٠٥٥ جنيها مصرياً . ويقع مركز الإطفاء الرئيسى بالقاهرة بميدان الملكة فريدة بمبنى كان قديماً جزءاً من سراى والدة عباس باشا الأول و بملاصقته ديوان بوليس قسم الموسكى ، وفوقه نادى ضباط البوليس .

شياخات القاهرة :

١ - يشمل قسم الأزبكية الشياخات الآتية : التوفيقية والجيارة والزهار والظاهر والفجالة والقبيلة والقللى وقنطرة الدكة وكلوت بك ويبلغ عدد سكان هذا القسم حالياً حوالى ٥٠٫٠٠٠ نسمة .

٢ - ويشمل قسم باب الشعرية الشياخات الآتية : باب البحر وباب الشعرية وبركة الرطلى والبنهاوى والجامع الأحمر ودرب الأقماعية ودرب مصطفى ودرب النوبى والرملى وسيدى مدين والشنبكى والصوابى والطمار والعدوى ، والفاروقية والمنسى ويبلغ عدد سكانه حوالى ١٣٠٫٠٠٠ نفس .

٣ - ويشمل قسم بولاق الشياخات الآتيـة : أبو العلا والأحمدين وتاج الدول والترجمان وجزيرة امبابة وجزيرة ميت عقبة والجلادين والجوابر والحوتية وحوض الزهور والحظيرى ودرب الشيخ فراج ودرب نصر والسبتية وسنان باشا والسنديس وسوق العصر وشركس والشيخ على وعزبة عبد النعيم والعدوية وعشش النخل والفرنساوى والقلاية وكفر الشوام وكفر الشيخ إسماعيل وميت عقبة وميت كروك ، ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ٢٣٥٫٠٠٠ نفس .

٤ - ويشمل قسم الجماليـة الشياخات الآتية : باب الفتوح والبير قدار وبين السورين والجمالية والدراسة وخان الخليلى والخرنفش والخواص والسلطان برقوق والشعرانى والعطوف وقايتباى وقصر الشوك والكردى والمشهد الحسينى واليهود الربانيين واليهود القرائيين . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١١٠٫٠٠٠ نفس .

٥ - ويشمل قسم الخليفة الشياخات التالية : الامامين والبساتين والبقلى والتونسى والحطابة والحلمية والخليفة ودرب الحصر ودرب غزية والسيدة عائشة والصليبة وعرب اليسار والقادرية والمحجر . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٢٠٫٠٠٠ نسمة .

٦ - ويشمل قسم الدرب الأحمر الشياخات التالية : الأزهر وباب الوزير والباطنية وتحت الربع وحارة الروم والحمزاوى والدوادية والدرب الأحمر ودرب سعادة ودرب شغلان والسروجية وسوق السلاح والعمرى والغريب والغورية والقربية والمجاورين والمغربلين . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٢٠٫٠٠٠ نسمة .

٧ - ويشمل قسم السيدة زينب الشياخات الآتية : الإنشا والبغالة وجاردنستى والحنفى وخيرت والدرب الجديد ودرب الجاميز وزينهم والسباعين والسيدة زينب وسنقر وطيلون والعتريس والعينى والكبش . وعدد سكان هذا القسم حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة .

٨ - ويشمل قسم شبرا الشياخات الآتية : الأميرية والبراد وجسر شبرا والزاوية الحمراء والشرابية وشريف باشا والشماشرجى والعزب ومنية السيرج . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٧٥٫٠٠٠ نسمة .

٩ - ويشمل قسم روض الفرج الشياخات الآتية : ابن الرشيد وأسعد وبرهام وجزيرة بدران وروض الفرج

والساحل وطوسون وقصورة الشوام والمبيضة ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٧٠٫٠٠٠ نسمة .

١٠ — ويشمل قسم عابدين الشياخات التالية : الاسماعيلية وباب اللوق والبلاقسة وثروت باشا والجزيرة الجديدة وحارة السقايين وخرطة البرنسات والخرطة الجديدة والدقى والدواوين ورحبة عابدين والزمالك البحرية والزمالك القبلية والساحة والشيخ عبدالله وعبدالرحيم باشا صبرى ومجوزة الزمالك ومجوزة الصعايدة والغزالية ومجوزة الكفاروة وعزبة البرنسيسة فاطمه هانم وعزبة السرايات وغيط العدة والفوالة وقصر الدوبارة ومحطة بولاق الدكرور ومعروف ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٦٥٫٠٠٠ نسمة .

١١ — ويشمل قسم مصر الجديدة الشياخات التالية : الماظة والبستان وتل الحصن والحامية وخارجة المطرية والزيتون الشرقية والزيتون الغربية والزيتون القبلية وعرب الطوايلة والعزب وعزبة الجبل وعزبة النخل وعين شمس الشرقية وعين شمس الغربية وكفر فاروق والمطرية والمنتزه ومنشية البكرى . وجملة سكان هذا القسم حوالى ١٣٠٫٠٠٠ نسمة .

١٢ — ويشمل قسم مصر القديمة الشياخات التالية : أبو السعود والمدابغ وأثر النبى والأنور وعشش البارود والخوخة والقنايه ودير الطين والديورة والروضة وفم الخليج ودير النحاس والكفوره وساعى البحر وكوم غراب والمعادى والمنيل . وجملة سكان هذا القسم حوالى ٩٠٫٠٠٠ نسمة .

١٣ — ويشمل قسم الموسكى الشياخات التالية : درب الجنينة ودرب المهابيل والعشماوى وكوم الشيخ سلامه والمناصرة . وجملة سكان هذا القسم حوالى ٤٠٫٠٠٠ نسمة .

١٤ — ويشمل قسم الوايلى الشياخات التالية : بين الجنائن وجنائن الوايلية والحدائق وحدائق القبة والخاصة والدمرداش والزعفران والسرايات والسكاكينى والعباسية البحرية والعباسية الشرقية والعباسية الغربية والعباسية القبلية وغمرة والقبة البلد والقبيسى وكوبرى القبة والمحمدى ومنشية الصدر والوايلى الكبير . وجملة سكان هذا القسم حوالى ١٨٥٫٠٠٠ نسمة

القاهرة مدينة صناعية :

القاهرة مدينة صناعية من الدرجة الأولى فإلى جانب حركتها التجارية الكبرى نجد بها حركه صناعية عظيمة . فقد نمت فيها صناعة نسج القطن والحرير والصوف وغزلها ، كما نمت بها صناعة الفانلات والجوارب والچرسى والطرابيش وصياغة الذهب والفضة والأشرطة والعقادة وصباغة الخيوط والمنسوجات والسجاجيد والكليم والحبال والدوبارة . والملابس الجاهزة . وطحن الغلال . والأعجنة الغذائية . واستخراج الزيوت . وحفظ المنتجات الزراعية . والألبان ومنتجاتها . والمحور . والحلوى . والشكولاته . والمياه الغازية . ودباغة الجلود . وصناعة الأحذية . والصناعات

الجلدية والفراء . وأحذية الكاوتشوك . والصابون . وشمع الإضاءة . والهواء والغاز المضغوطين . والفحم الحيوانى . والمرايا والزجاج . وصناعة الكبريت . والكاوتشوك . والبلاط والموازيكو . والجبس والجير والطوب والأسمنت . والفخار والخزف . وصناعة الأحجار . وصناعة الأبواب والشبابيك . والجالونات والكبارى . والصفيح . والأسرة المعدنية . وقطع غيارات السيارات . والمواسير الزهر والأعمدة . والأثاث المعدنى والأدوات الصحية . والمسامير ودبابيس الإبرة . وشفرات الحلاقة . والموازين . والحنفيات . والأدوات الطبية . وقطع وابورات الطهى والكلوبات . والطلاء بالبطاريات . والأثاث الخشبى والكراسى الخيزران . ونجارة العمارات . وصناعة السجاير . وغاز الاستصباح . والفرش والمكانس . والروائح العطرية . والثلج . والطباعة . والأدوية الطبية . والأسمدة العضوية . والورنيش . والألوان . والبويات . والحصير . الخ الخ . . . وتتجه مصانع القاهرة نحو شبرا الخيمة وبهتيم فى الشمال ونحو كفر الزغارى فى الشرق ونحو كفر العلو فى الجنوب ونحو امبابه والدقى فى الغرب وجدير بالحكومة أن تفكر فى إنشاء مناطق صناعية و بيوت للعمال فى هذه الجهات .

القاهرة مدينة الجمعيات والمنشآت العلمية :

أهم الجمعيات و المنشآت العلمية بالقاهرة هى :

دار الكتب المصرية — معهد الموسيقى الشرقية — الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصائيات والتشريع — جمعية الحشرات المصرية — جمعية اتحاد الزراع المصريين — المجمع المصرى العلمى — الجمعية الجغرافية الملكية — جمعية محبى الفنون الجميلة — جمعية الآثار الإسلامية — جمعية الآثار القبطية — المجمع الفرنسى للآثار المصرية — جمعية الأسعاف — دار الحكمة — الجمعية الزراعية الملكية — الجمعية الكيماوية — مجمع فؤاد الأول للغة العربية — معهد الصحراء — الجمعية الطبية الملكية — جمعية المهندسين الملكية — جمعية المهندسين المعماريين — المجمع المصرى للثقافة العامة — جمعية الشبان المسلمين — جمعية الشبان المسيحيين . وخلاف ذلك من الأندية والجمعيات العلمية والرياضية .

القاهرة مدينة المتاحف

أهم متاحف القاهرة هى :

المتحف المصرى — دار الآثار العربية — المتحف القبطى — المتحف الحربى — المتحف الزراعى — المتحف الصحى — المتحف الجيولوجى — المتحف الجغرافى — متحف الفن الحديث — متحف السكه الحديد — متحف البريد — متحف الشمع — ضريح سعد زغلول باشا و بجواره بيت الأمة أو متحف سعد — متحف الحضارة المصرية — متحف جاير أندرسون باشا .

القاهرة مدينة المدارس والجامعات :

يؤخذ من إحصاء لوزارة المعارف العمومية أن عدد المدارس العليا بالقاهرة أربعة وهى :

الفنون الجميلة العليا بالزمالك . ودار العلوم بالمنيرة . والمعهد العالى للعلوم المالية والتجارية بشارع الإنشا . ومعهد التربية للبنين بالجيزة بالأورمان .

وأن معاهد التربية للبنات اثنان . معهد التربية للبنات بالزمالك . ومعهد التربية الفنية للمعلمات بشارع المطبعة الأهلية ببولاق .

وأن المدارس الثانوية للبنين خمسة عشرة وهى :

مدرسة الابراهيمية بجاردن ستى . مدرسة الأمير فاروق بروض الفرج . مدرسة التوفيقية بشبرا مدرسة الحلمية بالسيوفية . مدرسة الخديوى اسماعيل بشارع نوبار . مدرسة الخديوية بدرب الجماميز . مدرسة السعيدية بالجيزة . مدرسة القبة بحمامات القبة . مدرسة بنبا قادن بالحلمية . مدرسة حلوان الثانوية . مدرسة شبرا الثانوية بسراى طوسون باشا . مدرسة فاروق الأول بالعباسية . مدرسة فؤاد الأول بالعباسية . مدرسة مصر الجديدة الثانوية . المدرسه النموذجية الثانوية بحدائق القبه .

وأن المدارس الابتدائية للبنين ثمانية وعشرون وهى :

مدرسة الأمير فاروق بشبرا . مدرسة الأورمان بالجيزة . مدرسة الجالية . مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بدرب الجماميز . مدرسة الجيزة . مدرسة الزيتون . مدرسة السلحدار بباب الفتوح . مدرسة السيدة حنيفة عاصم السلحدار بشبرا . مدرسة الشيخ صالح بحارة السادات بدرب الجماميز . مدرسة الظاهر بكوبرى باغوص بالشرابية . مدرسة العباسية بشارع سليم عبده . مدرسة العقادين بشارع عمرو بن العاص . مدرسة القربية بشارع السلطان حسين . مدرسة المحمدية بالحلمية الجديدة . مدرسة المعادى . مدرسة المنيرة بشارع المبتديان . مدرسة الناصرية بشارع الانتكخانة . المدرسة النموذجية الابتدائية بحدائق القبة . مدرسة امبابة . مدرسة باب الشعرية بشارع أمير الجيوش الجوانى . مدرسة بنبا قادن بالسيوفية . مدرسة حلوان . مدرسة خليل أغا وتحسين الخطوط بشارع الأمير فاروق . مدرسة شبرا بشارع شبرا . مدرسة عابدين بشاع نوبار باشا . مدرسة عباس بشارع السبتية . مدرسة محمد على بشارع مراسينا . مدرسة مصر الجديدة . وقد أضيفت إليها حديثاً مدارساً أخرى .

وأن مدارس التعليم الفنى سبعة وهى :

مدرسة الفنون التطبيقيه بالجيزة . مدرسة النجارة والصناعات الزخرفية ببولاق . مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالجيزة . مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالظاهر . مدرسة الصناعات الميكانيكية ببولاق . مدرسة النسيج بالعباسية . مدرسة الصناعات الأولية بالعباسية .

وأن مدارس البنات الثانوية خمسة وهى :

الأميرة فوزية بشارع السبتية . الأميرة فوقية الجديدة بالجيزة . المدرسة السنية بالسيدة زينب . مدرسة حلوان الثانوية للبنات . كلية البنات بالزمالك .

وأن مدارس البنات الابتدائية اثنى عشرة وهى :

مدرسة الحسينية بشارع المعز لدين الله بالجمالية . مدرسة الأورمان بالجيزة . مدرسة البهية البرهانية بدرب الجماميز مدرسة الجيزة . مدرسة الحلمية الجديدة بشارع نور الظلام . مدرسة العباسية . مدرسة حلوان . مدرسة شبرا . مدرسة غمرة . مدرسة محمد على الملكية . مدرسة مصر الجديدة . مدرسة مصر القديمة .

وأن المدارس الخاصة ثمانية وهى :

مدرسة الثقافة النسوية بالجيزة . مدرسة الثقافة النسوية بحلمية الزيتون . مدرسة الثقافة النسوية بشارع الحوياتى مدرسة الفنون الطرزية الراقية بدرب الجماميز . مدرسة الفنون الطرزية بشارع خلاط بشبرا . مدرسة الفنون الطرزية بشارع الفلكى . مدرسة أم المحسنين بمصر القديمة .

وأن مدارس رياض الأطفال سبعة وهى :

روضة الأطفال بالحلمية . وبالعباسية . وبكوبرى القبة . وبقصر الدوبارة . وبشبرا . وبمصر الجديدة . وبالأورمان .

وأن مدارس المعلمات الأوليه سبعة هى :

مدرسة المعلمات بشبرا . وبالقبة . ومدرسة التربية النسوية بالعباسية . وبباب اللوق . وببولاق . وبحلوان ومدرسة المنيرة الراقية للبنات .

وأن مدارس المعلمين الأولية أربعة وهى :

مدرسة المعلمين الأولية بامبابة . مدرسة عبد العزيز للمعلمين الأولية بالحلمية الجديدة . مدرسة الادلاء والتراجمة بدار العلوم . معهد الجمعية المصرية لرعاية العميان بشارع المطرية بالزيتون .

وأن كليات جامعة فؤاد الأول ثمانية وهى :

كلية العلوم بسراى الزعفران بالعباسية . كلية الآداب بالجيزة . كلية الحقوق بالجيزة . كلية الطب بشارع قصر العينى . كلية الزراعة بالجيزة . كلية التجارة بالجيزة . كلية الطب البيطرى بالجيزة . كلية الهندسة بالجيزة .

ويبلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية بالقاهرة ١٩٫٨٢٦ تلميذاً

وعدد طلبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة ٨٫٢١١ طالباً وطالبة

وعدد الطالبات فى جميع مدارس البنات بالقاهرة حوالى ٧٫٠٠٠ طالبة

هـذا خلاف المدارس الأجنبية وهى المدارس الإنجليزية والمدارس الأمريكية والمدارس الفرنسية والمدارس الايطالية والمدارس اليونانية والمدارس الألمانية والمدارس الهولندية .

وهناك أيضاً مدارس اللغات الحية . وكلية البوليس والمدرسة الحربية .

أما مبانى هذه المدارس فقصور شامخة تزدان بها القاهرة وترفع بها لواء العلم عالياً خفاقاً .

الفصل العاشر

أهم معالم القاهرة على الشاطىء الغربى للنيل

الجيزة :

تعتبر الجيزة من أهم ضواحى القاهرة الحديثة . ويرجع تاريخها إلى عصر الفتح العربى . إذ أنه لما نزل عمرو بن العاص بالفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفاً من عدو يغشاهم من تلك الناحية .

ولما استقر به المقام أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه ، فكرهوا ذلك وقالوا : « هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله عز وجل وأقمنا به وما كنا بالذى نرغب عنه ونحن به منذ أشهر » . ثم بنوا هناك حصناً فى سنة ٢٢ هـ ليدفعوا به المغيرين من قبائل الصحراء الضاربة فيما وراء الأهرام ، ثم أمرهم عمرو بالخطط بها فنشأت هناك المدينة التى عرفت فى التاريخ باسم جيزة الفسطاط .

وكانت الجمعة تجمع فى مسجد همذان الذى عرف بالمسجد الأعظم وكان ملاصقاً للحصن ولكنه اندثر فى عهد ابن دقماق .

وقبل الفتح العربى لمصر ، كان المكان الذى نشأت فيه جيزة الفسطاط مدينة مصرية قديمة تواجه مدينة بابيلون . وكانت جزيرة الروضة تقع فى النيل بين هاتين المدينتين .

وكان بين جزيرة الروضة ومدينة بابيلون على الشاطىء الشرقى للنيل وبينها وبين المدينة المصرية القديمة التى قامت بدلها جيزة الفسطاط جسران من القوارب يربط بعضها إلى جانب بعض ورؤوسها فى وجه تيار النهر ، وتتصل بعضها ببعض من فوقها بألواح من الخشب .

وكان الروم قد خرّبوا هذين الجسرين أثناء حروب الفتح العربى لمنع جيوش العرب من اللحاق بهم فى جزيرة الروضة بعد فرارهم من حصن بابيلون ولكن عمرو بن العاص جعل من شروط الصلح أن يقوم مهندسو القبط على إصلاح الجسرين ، وبعد اصلاحهما تمكن العرب من جانب النيل الآخر وبسطوا سلطانهم على الضفتين معاً .

نهر النيل بين الجيزة والفسطاط :

وكان عرض النيل فيما بين الجيزة والفسطاط فى عصر الفتح العربى أضعاف عرضه الحالى .

وقيل إن عبور النهر فى هذا المكان فى العصور القديمة كان يحتاج لكثير من الاحتياط لاتساع النهر من جهة ولكثرة ما فيه من تماسيح من جهة أخرى ولكن منذ ظهرت جزيرة الروضة فى مجرى النيل فى العصر اليونانى

أو الرومانى ، سهل عبور النهر وساعد ذلك على نهضة الملاحة النهرية وتقدمها كما ساعد على تقدم التجارة .

وفى الواقع لم يكن عبور النيل من الموانع الحربية يوماً ما ، حتى أنه يبدو فى عصر الفتح العربى أن اجتياز النهر كان أمراً سهلا ممهداً لم يحل دون تقدم العرب وغزو أقليم الفيوم وسواه من أقاليم الوجه القبلى والوجه البحرى . وكذا كان الأمر فى عصر الفتح الفاطمى .

حدائق الحيوان :

يرجع إنشاء هذه الحدائق إلى عام ١٨٩٠ ، إذ بدأ العمل فيها فوق جزء من حدائق سراى الجيزة تبلغ مساحته حوالى ٥٠ فداناً ، ثم افتتحت للجمهور فى صيف العام التالى . وبذلك يكون قد مرّ على تأسيسها أكثر من نصف قرن من الزمان .

وهى أكبر معرض للحيوان الأفريقى ، وتعد فى طليعة معارض الحيوان فى العالم . وقد جلبت إليها مجموعة كبيرة من حيوان الشرق والأمريكتين فى عهد المغفور له الملك فؤاد .

ويبلغ عدد ما فيها طبقاً لاحصاء سنة ١٩٣٤ ، حوالى ٦٠٠ نوع من الحيوان ذى الثدى و٢٥٠٠ نوع من الطيور و٤٠٠ نوع من الزواحف ، عدا الأسماك .

وقد وسّعت أرجاء هذه الحدائق فى السنوات الأخيرة . فضم إليها جانب كبير من حديقة الأورمان ، ذات الأنواع المتعددة من النباتات الغريبة ، وبذلك أصبحت من أعظم المراجع لطلاب العلوم النباتية والحيوانية .

ومما يذكر أن جو مصر ، يعد من العوامل القوية فى المحافظة على الحيوان بحالته الطبيعية دون حاجة إلى استخدام وسائل التدفئة أو التبريد أو غيرها مما يتخذ فى أشهر حدائق العالم . وتشمل الحدائق قسم للزواحف وبها جبلاية بديعة وكوبرى معلق ومتحف للحيوان كما أن بها قسم للتسلية يشمل ركوب الفيل الهندى والجمل ذى السنامين وعربة السياسى وعربة الكهرباء والقوارب والكرسى ذى العجل .

كما أن هناك بوفيهات لبيع المرطبات وتصدح بها موسيقى مدرسة البوليس وبلوك الخفر فى أيام الآحاد والجمعة من كل أسبوع .

وأهم الحيوانات التى يمكن مشاهدتها بهذه الحدائق هى :

السباع والضباع و بنات آوى والقردة والنسانيس، والليمور ، والزراف والتياتل والغزال والجرنت والفيل والجاموس الخلوى والبجع والعنز والنسور والعقبان والطيور الأخرى والنعام والطاووس والطيور المختلفة .

جامعة فؤاد الأول :

أهم معالم مدينة القاهرة الحديثة بلا نزاع هى جامعة فؤاد الأول بالجيزة . ويرجع تاريخ هذه الجامعة إلى يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ حين اجتمع جماعة من المفكرين بمنزل سعد زغلول بك (المغفور له سعد زغلول باشا) وتبرعوا بمبلغ ٤٤٨٥ جنيها مصرياً لإنشاء جامعة أهلية مصرية .

وتألفت لجنة تحضيرية لهذا المشروع من حضرات :

سعد زغلول بك المستشار بالمحاكم الأهلية وكيلا للرئيس العام .

قاسم أمين بك المستشار بالمحاكم الأهلية سكرتيراً .

حسن سعيد بك وكيل البنك الألمانى الشرقى أميناً للصندوق . ثم حسن جمجوم بك ، ومصطفى الغمراوى بك ومحمد عثمان أباظة بك ، ومحمد راسم بك ، وحسين السيوفى باشا ، وأخنوخ فانوس أفندى ، وزكريا نامق أفندى ، ومحمود الشيشينى بك : أعضاء .

ولما تولى سعد زغلول بك نظارة المعارف العمومية فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ تنحى عن منصبه فحل محله قاسم أمين بك للرياسة المؤقتة .

وفى شهر يناير سنة ١٩٠٨ انتخب الأمير أحمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد الأول) رئيساً للجامعة المصرية . فانهالت التبرعات وتهافت أغنياء المصريين على تغذية هذا المشروع بالمال اللازم حتى بلغ الرصيد مبلغ ٢١٢١٠ جنيهاً مصرياً فى آخر ديسمبر سنة ١٩٠٨ وكان من أظهر المتبرعين الأولين حسن بك زايد الذى أوقف خمسين فداناً بعزبته بسراوة بالمنوفية على الجامعة المصرية . وتبعه عوض بك عريان فأوقف ٧٣ فداناً للجامعة . ثم تبرعت الأميرة فاطمة اسماعيل بقصرها الفخم فى الدقى (المتحف الزراعى الآن) و بستة أفدنة من الأرض لبناء دار الجامعة عليها (ديوان وزارة الزراعة الآن) كما تبرعت بحليها التى قدرت قيمتها بمبلغ ٢٢٠٠٠ جنيه .

ثم قررت وزارة الأوقاف منح الجامعة ٥٠٠٠ جنيه سنوياً من أموال الوقف الخيرى كما قررت الحكومة منحها ٢٠٠٠ جنيه سنوياً . وتفضل صاحب السمو الخديو عباس حلمى الثانى بجعل رياسة شرف الجامعة لولى العهد الأمير محمد عبد المنعم و بجعل الجامعة تحت رعايته السامية وافتتحها رسمياً فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ .

و بعد ذلك أوقف الأمير يوسف كمال ١٢٥ فداناً من أرضه بأبى صير على الجامعة مع منحها ٣٠٠ جنيه سنوياً ثم تبرع لها ثانياً بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩١٧ .

وأوقف أحمد بك الشريف ١٠٠ فدان من أرضه بمديرية الغربية على الجامعة .

وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ اجتمعت الجمعية العمومية بديوان الأوقاف تحت رياسة سمو الأمير أحمد فؤاد لعرض مشروع قانون الجامعة .

وقد أقرت الجمعية العمومية هذا القانون الذى جاء فى صدره أن الغرض من الجامعة هو ترقية مدارك المصريين وأخلاقهم ، على اختلاف أديانهم ، لنشر الآداب والعلوم .. ثم إرسال بعثات من الطلبة إلى جامعات أوربا ليكتسبوا معلومات وافية فى المواد التى يخصصها لهم مجلس الإدارة ويقوموا بتدريس هذه المواد بعد عودتهم باللغة العربية فى الجامعة المصرية .

وسافرت البعثة الأولى إلى أوربا فى ١٥ يوليو سنة ١٩٠٨ بين تهليل الأمة وفرحها .

وقد تفضل سمو الأمير أحمد فؤاد فجعل نفقات أحد أعضاء هذه البعثة وقدرها ألف جنيه تصرف على خمس سنوات على نفقته الخاصة . واقتدى به فى ذلك (صاحب المقام الرفيع) عزيز عزت باشا (عضو مجلس الوصاية سابقاً) ثم مدحت يكن باشا (رئيس ادارة بنك مصر سابقاً) .

وفى سبتمبر سنة ١٩٠٩ سافرت البعثة الثانية وكانت مؤلفة من سبعة أعضاء وتوالت بعد ذلك البعثات حتى بلغ عدد المبعوثين ٢٤ عضواً برز منهم :

معالى حسن باشا صادق وقد تخصص فى درس علم طبقات الأرض بجامعة لندن . والأستاذ أحمد بك ضيف وقد تخصص فى درس آداب اللغة الفرنسية بباريس . والدكتور طه حسين بك وقد تخصص فى التاريخ والعلوم الاجتماعية

وكان من حظ الجامعة المصرية أن كان أول العظماء الذين حاضروا فيها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق . وكان ذلك لمناسبة زيارته لمصر فألقى فى الجامعة محاضرة شيقة فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٠ .

وبعد أن سارت الجامعة شوطاً بعيداً فى طريق الفلاح ، قضت الظروف أن يتخلى سمو الأمير أحمد فؤاد عن الرياسة سنة ١٩١٤ فتولاها بعده المرحوم حسين رشدى باشا ولكن ذلك لم يمنع الأمير من موالاة رعاية الجامعة أميراً ثم سلطاناً ثم ملكا . فبفضله تحولت هذه الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية فى ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ وتولت وزارة المعارف العمومية أمر الجامعة الجديدة بعد أن تعهدت بجعل الجامعة القديمة نواة لقسم الآداب فى الجامعة الجديدة وصدر بذلك مرسوم بقانون عدل بقانون ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ الذى تنازل بموجبه مجلس إدارة الجامعة القديمة عن كل ما تمتلكه الجامعة المذكورة من منقول وعقار على شرط احترام تعهداتها مع أساتذتها وموظفيها وأن يكون أحد أعضائها عضواً فى مجلس ادارة كلية الآداب الجديدة .

وفى ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ احتفلت الأمة احتفالا رائعاً بوضع الحجر الأساسى للجامعة المصرية بعد أن أصبحت تابعة للحكومة على أرض تبلغ مساحتها ٩٠ فداناً بحدائق الأورمان بالجيزة منحتها الحكومة لها كما منحتها أرضاً

أخرى تجاه بناء الجامعة فى جزيرة الروضة تبلغ مساحتها ٤٤ فداناً أقامت عليها مستشفى فؤاد الأول و بعض مبانى كلية الطب . وفى سنة ١٩٣٢ افتتح المغفور له الملك فؤاد الأول مبانى الجامعة المصرية الجديدة .

وقد أصبح عدد كليات جامعة فؤاد الأول بالقاهرة الآن ثمانية وهى :

كلية الآداب وكلية العلوم وكلية الحقوق وكلية التجارة وكلية الطب البشرى وكلية الطب البيطرى وكلية الهندسة

وقد ضمت الكليات الأربع الأخيرة إلى الجامعة بموجب المرسوم رقم ٩١ الصادر بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٥.

و بعد أن كانت ميزانية الجامعة مبلغ ٥١٥ م و٧٣٦٥ ج سنة ١٩٠٨ وعدد طلبتها ٥٥٠ طالباً أصبحت ميزانيتها مبلغ ٧٠٠٩٦٩ ج سنة ١٩٣٦ وعدد طلبتها ٦٥٠٠ طالباً تقريباً . وكان عدد الذين حصلوا على اجازة الجامعة القديمة ١٣ طالباً : ثمانية منهم نالوا الدكتوراه وخمسة نالوا دبلوم العلوم الجنائية .

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد كان عدد المتخرجين فى الجامعة ١٦٦٠ طالباً منهم ١٦٣ فى الحقوق و٦١ فى الآداب و٢٧ فى كلية العلوم و٢٥٠ فى كلية الطب و٩٦ فى الهندسة و٢٠ فى الطب البيطرى و٨٨٠ فى كلية الزراعة و٢٣٥ فى كلية التجارة .

وفى يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ وضع صاحب الجلالة الملك فاروق حجر الأساس فى مدينة الجامعة ومساكن الطلبة وقد قدر لها من النفقات نحو ثلاثة أرباع مليون جنيه اكتتب منه إلى اليوم بمبلغ ٣٣٥٠٠٠ ج .

ولا تزال الحاجة ماسة إلى إقامة كوبرى يوصل شارع الجامعة بالجيزة بمستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة اختصاراً فى وقت الطلبة والأساتذة وربطاً لوحدات الجامعة ببعضها .

مبانى جامعة فؤاد الأول فى حدائق الأورمان :

يقع هذا البناء وسط حدائق الأورمان بالجيزة .

وتتصل صالة الاحتفالات من الجهة الشرقية بمبنى الإدارة بواسطة بهو فخم هو المدخل الرئيسى للجامعة ، أما المدخل الملكى فيقع بالجهة البحرية ويمكن الوصول إليه من شارع ثروت (شارع البرنسات سابقاً) .

وقد روعى عند دراسة مشروع مبنى الجامعة من جميع نواحيه إمكان مد شارع الجامعة ، الذى أنشئ خصيصاً لها عبر شارع الجيزة حتى نهر النيل ، حيث يقام على امتداده كوبرى جديد يصل مبانى الجامعة بالجيزة بمبانى مستشفى فؤاد الأول الجديدة بجزيرة الروضة فيسهل الاتصال بين جميع أجزاء الجامعة . ويشغل بناء صالة الاحتفالات بالجامعة ٣٥٠٠ متراً مسطحاً غير مبنى إدارة الجامعة المتصل به ومسطحه ١٦٠٠ متراً فيكون مسطح البناء جميعه ٥١٠٠ متر مسطح.

ويبلغ ارتفاع قمة القبة بالصالة نحو ٥٢ متراً عن سطح الأرض . وقد بلغت مجموع تكاليف إقامة الصالة والإدارة معاً نحو ٨٠٠٠٠ جنيه مصرى .

الفصل الحادى عشر

القاهرة فى خمسين عاما

يالها من تغييرات تلك التى طرأت على مدينة القاهرة فى الخمسين عاماً الماضية . فكم تغيرت الأحياء ، وكم تغير الجمهور وكم تغيرت العادات ؟

قارن المدينة الآن بما كانت عليه سنة ١٨٩٥ ، فأول ما تلاحظه هو الزيادة الهائلة فى عدد السكان ، فبعد أن كان عددهم ٥٨٩٫٥٧٣ نسمة حسب تعداد سنة ١٨٩٧ أصبح الآن حوالى مليونى نسمة . وهذا بالطبع معناه اتساع كبير فى مساحة المدينة الحديثة خصوصاً إذا ما لاحظنا أن المساكن الحديثة تتوفر فيها اشتراطات الصحة والراحة أكثر من مساكن المدينة القديمة وتحتاج لمساحة أكبر من الأرض. وعدد سكان المسكن الواحد فى المبانى الجديدة أقل بكثير من عدد سكان المسكن الواحد فى الأحياء الوطنية القديمة . ولكن يقابل ذلك من جهة أخرى زيادة عدد السكان فى الفدان الواحد فى الأحياء الحديثة عنها فى الأحياء الوطنية القديمة ، وذلك بسبب تعدد طبقات العمارات الحديثة، الشىء الذى لم يكن متوفراً فى المدينة القديمة ، إذ من المشكوك فيه أن كان هناك قديماً منزل واحد يزيد عدد أدواره عن الدور الأرضى وفوقه ثلاثة أدوار ، ولا تزال بعض هذه المنازل القديمة موجودة للآن يتعارض مظهرها الشرقى الخاص مع مظهر ناطحات السحاب الحديثة التى أقيمت بجوارها بغمرة وعلى ناصية شارع سليمان باشا وشارع قصر العينى وميدان مصطفى كامل باشا ، وفى بعض الأماكن الأخرى الواقعة فى الشوارع الخلفية المقابلة لثكنات قصر النيل . لذلك كان اتساع المدينة الحديثة كبيراً ولكنه ليس مفرطاً .

ومع أن الجمال الفنى لا يتوفر كثيراً فى مبانى عصر محمد على وإسماعيل ذات البواكى إلا أنها تحتفظ بطابعها الخاص وتعيد إلى الذاكرة هذه المناظر الجذابة التى تلمسها فى الريف الفرنسى ، والتى حاول إسماعيل باشا تقليدها حين شق شارع كلوت بك وشارع محمد على فيما بين ميدان باب الحديد والقلعة على خط مستقيم وزانهما على الجانبين بهذه البواكى الجليلة التى لا يزال معظمها باقياً إلى الآن .

ويجب هنا أن نقرر أن من مميزات المبانى القديمة على المبانى الحديثة المنشأة من الخرسانة المسلحة أن حوائط الأولى السميكة المبنية من الدبش والطوب الأحمر بسمك ٦٠ أو ٧٠ سنتمترا تمنع حرارة الشمس من اختراق طبقاتها وهكذا تحتفظ الغرف الداخلية صيفاً بجو رطب مستحب .

غير أن عيب هذه المبانى كان فى عدم توفير الاشتراطات الصحية فيها . فحتى سنة ١٩٠٩ حين نفذ المستر كاركت جيمس مشروع مجارى القاهرة ، كانت فضلات المنازل ومياهها العادمة تتجمع فى مجارير خاصة . وكانت هذه المجارير مرعى خصب لتفريخ الناموس .

فكانت القاهرة فى هـذا العهد تسبح فى مستنقع من القاذورات المتجمعة تحت سطح الأرض فى هذه المجارير . وكان منسوب المياه فى هذه المجارير يرتفع مع ارتفاع مياه فيضان النيل حتى يكاد يصل إلى سطح الشارع و ينخفض مع انخفاض مياه النهر .

وكثيراً ما كانت تطفح هذه المجارير على سطح الشارع فيضع الجمهور قوالباً من الطوب الأحمر يمر فوقها فى ميادين هامة من ميادين المدينة كما كان يحصل فى ميدان قنطرة الدكة وسواها .

فلما تم مشروع المجارى العامة وعولجت مزارع الناموس بطريقة الدكتور هالفورد روس اختفت هذه الحشرة المؤذية تماماً من منازل القاهرة .

وقد كان من نتائج إنشاء مشروع المجارى العمومية أيضاً أن أصبحت طبقات الأرض التى تقام فوقها أساسات منازل القاهرة أقل تشبعاً بالمياه الجوفية وأكثر تحملا للاثقال ولذا أمكن المدينة الحديثة أن ترتفع بمبانيها الجديدة طبقات عديدة وتبلغ بها ارتفاعات هائلة لم تكن متيسرة من قبل كما نشاهد فى عمارة عمرة مثلا أو فى عمارات بحرى بالاسماعيلية وميدان مصطفى كامل وسواها . وقد تكون عمارة شركة الشرق للتأمين على الحياة بميدان سليمان باشا أول تلك العمارات الشاهقة التى أقيمت بالقاهرة الحديثة ثم تبعها سواها مما ترتب عليه إدخال تغييرات هامة فى الحياة الاجتماعية بهذه العاصمة ، إذ أصبح عدد السكان فى الفدان الواحد بالأحياء التجارية الحديثة حوالى ٥٠٠ نسمة بينما كان لا يزيد عن ٢٥٠ نسمة فى الفدان الواحد فى الأحياء التجارية القديمة التى تبدو مزدحمة ازدحاماً هائلا بسكانها لتكدسهم فى مكان واحد ولعدم توزيعهم فى الأدوار العليا المختلفة كما فى المناطق الحديثة .

أضف إلى ذلك أن مدينة القاهرة كانت قبل خمسين عاما مدينة القصور الرحبة والسرايات الفسيحة ففى المسافة الواقعة بين سراى درب الجماميز حيث كانت وزارة المعارف العمومية قديماً وشارع محمد على كنت تجد سراى الحلمية تحيط بها الأراضى الواسعة المملوكة لوالدة الخديوى اسماعيل . و إلى شمال سراى عابدين العامرة ، كنت تجد سراى على باشا شريف فى الأرض المقابلة لمخازن أوروزدى باك عمر أفندى الآن . وكانت مساحة هذه السراى تكاد تساوى مساحة السراى الملكية العامرة . ثم كان لنوبار باشا سراى أخرى ولكنها أقل اتساعاً من هذه فى المكان المجاور لفندق ڤيكتوريا الآن بشارع ابراهيم باشا حيث كان متحف الشمع قبل نقله إلى محله الحالى بشارع مجلس النواب وحيث تجد الآن مشارب ومطاعم الجيش البريطانى المعروفة باسم « الأمبير » .

وفى جنوب ميدان الخديوى اسماعيل الحالى كنت تجد سراى الاسماعيلية تقوم بقدها الممشوق وسط أراضى مساحتها ثمانية فدادين تحيط بها أسوار ضخمة يبلغ ارتفاعها أربعة أمتار تقريبا . وكان يقيم فيها إذ ذاك ممثل السلطان التركى . وقد نزعت ملكيتها لما انضمت تركيا إلى الأعداء فى الحرب العظمى الماضية فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ . وقسمت أرض هذه السراى الآن وشق فى وسطها شارع سراى الاسماعيلية وهو يصل ما بين ميدان الخديوى

اسماعيل وميدان قصر الدوبارة . ولم يبق من هذه السراى الضخمة إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها وهو يقع الآن فى الجنوب الغربى من السور الخارجى القديم . وإلى جنوب سراى الاسماعيلية كنت تجد ثلاث سرايات مهمة . السراى الأولى كانت تقع بين دار السفارة البريطانية الحالية وفندق سميراميس وكانت تعرف باسم سراى الوالدة وقد هدمت حديثاً . والسراية الثانية والثالثة وكانتا تعرفان بسراى ابراهيم باشا والقصر العالى كانتا تطلان على النيل من الغرب وعلى شارع قصر العينى من الشرق وكان يضمهما سور واحد ضخم مرتفع . وقد هدم حوالى سنة ١٩٠٠ وقسمت أراضيهما و بيعت وأصبحت تعرف باسم جاردن ستى .

أما الجزيرة المعروفة اليوم باسم جزيرة الزمالك فكانت الجهة الجنوبية منها فى ذاك العهد مشغولة بقرية حقيرة يسكنها قوم من فقراء المزارعين ، غير أن اللورد كرومر لم يرقه منظر هؤلاء القوم الفقراء حينما كان يجلس فى شرفة دار الوكالة البريطانية المطلة على النيل ، فأمر بهدم قرية هؤلاء المساكين ونقلوا إلى امبابة حوالى سنة ١٨٩٧ حيث أعطيت لهم أرض جديدة عوضاً عن مساكنهم التى استولت عليها الحكومة . هذا مع العلم بأن الوكالة البريطانية نفسها كانت قبل هذا التاريخ بمدة قليلة تقيم فى شارع المغربى (شارع عدلى باشا الآن) فى المنزل الذى حول فيما بعد إلى « الترف كلوب » والذى هدم الآن وأقيمت مكانه عمارة بنك الكريدى ليونيه .

أما الجهة الشمالية من جزيرة الزمالك الحالية فكانت عبارة عن أراضى زراعية خالية من المساكن ، فلما أنشئت سراى الجزيرة سنة ١٨٦٨ فى مكانها المعروف الآن (سراى لطف الله) لنزول الامبراطورة أوچينى بمناسبة حضورها إلى مصر فى حفلات افتتاح قنال السويس ، قامت إلى شمالها عدة منازل صغيرة على شاطئ النيل . وكانت هذه المنازل تمتد من المكان الموجود به الآن كوبرى بولاق (كوبرى فؤاد الأول الآن) وتتجه إلى الشمال حيث تنتهى إلى المكان الموجود به الآن منزل صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا . وإلى شمال هذه المنازل كان يوجد معسكر الجيش المصرى ثم بعد ذلك تمتد الأراضى الزراعية إلى نهاية الجزيرة الشمالية .

أما على الشاطىء الغربى للنهر ابتدأ من موقع كوبرى الانجليز الحالى لغاية الجيزة فكنت تجد بالكاد سنة ١٨٩٥ منزلا أو منزلين ، كما كنت تجد عملية مياه الجيزة وبالقرب منها مبنى ديوان مديرية الجيزة و بعدها حدائق الأورمان وحدائق الحيوان ثم متحف الآثار المصرية . وكان قائماً فى سراى قديمة للخديو اسماعيل باشا تعرف باسم سراى الجيزة . وكانت حدائق الحيوان وحدائق الأورمان من ضمن حدائق هذه السراى . وترى للآن بعض طرقاتها المزخرفة بالزلط الملون و بعض أكشاكها الملكية و بعض الأشجار النادرة المنقولة من أجزاء بعيدة من الكرة الأرضية فى هذه الحدائق .

ومن ذاك الوقت تنمو هذه المنطقة نمواً سريعاً فإلى غرب حدائق الحيوان قامت أولا مدرسة الزراعة العليا وكانت هى المبنى الأول فى مبانى جامعة فؤاد الأول التى تشغل أكثر من ٩٠ فداناً من أرض هذه المنطقة الآن . وأول ناظر

تولى إدارة مدرسة الزراعة هذه هو المستر والس شقيق مدرس الزراعة بجامعة ادنبرج. وفى سنة ١٨٩٦ تولى نظارتها الدكتور ما كنزى أحد خريجى مدرسة المناجم القدماء وكان يساعده المستر البرت برنش فى تدريس الطب البيطرى والمسترجورج فودن الذى عين بعد ذلك أول سكرتير للجمعية الزراعية الملكية ، وكان يدرس علم الزراعة نظرياً وعملياً.

وفى سنة ١٩٠٢ تم بناء دار الآثار المصرية الحالية بقصر النيل ونقلت إليها الآثار التى كانت معروضة سابقاً بسراى الجيزة . ومكان هذه السراى الآن هو مخزن تراموای الجيزة بشارع المدارس . وقد بيعت سراى الجيزة والأراضى المحيطة بها إلى المسيو زرفودا كى ؛ غير أن المضاربات التى جاءت قبل أوانها قد أدت به إلى عسر مالى .

وفيما عدا قصر السلطان حسين ومبنى ديوان مصلحة المساحة الذى شيد سنة ١٨٩٩ مقابل مبنى مديرية الجيزة لم يكن حول شارع الجيزة سوى حقول زراعية من الجانبين . ولغاية سنة ١٨٩٦ لم يكن خط الترام الممتد من الجيزة إلى فندق مينا هاوس قد أنشىء بعد . وكان الوصول إلى الأهرام والعودة منه على ظهور الحمير يستغرق يوماً كاملاً .

أما إلى شمال القاهره فكانت الأراضى الزراعية لا تبعد كثيراً عن محطة كوبرى الليمون الحالية . وكان الطريق من هذه المحطة إلى العباسية محاط بحقول القمح والبرسيم والخضر . ولم تكن مدينة مصر الجديدة إذ ذاك إلا حلماً من أحلام المستقبل لأنه خلف ثكنات السوارى (البوليجون) والبرج رقم ٢ على طريق السويس القديم لم يكن هناك أى مبنى . وفى سنة ١٩٠١ كانت المسافة بين هذا البرج وعزبة الزيتون صحراء قاحلة ولم يكن فى هذه العزبة سنة ١٨٩٩ إلا بيوتاً معدودة وكذا كان الحال فى قرية المطرية . أما المسافة بين المطرية والمرج والخانكة فكانت من مجاهل الأرض. على أن أمتع الرياضيات البدنية سنة ١٨٩٦ كانت استكشاف هذه الأراضى على ظهر حمار مع أحد المكارية. وإذا تصادف وقابلك هناك فلاح ومعه قفص من الطماطم فكان يمكنك أن تشتريه منه بخمسة مليمات .

وكانت العربات التى تجرها الجياد أهم وسائل المواصلات فى القاهرة إذ ذاك ولكن امتطاء متون الحمير كان أمراً مرغوباً جداً خصوصاً عند الأجانب . وكم كان مدهشاً أن ترى مفتش الرى الإنجليزى يصل بحماره إلى الترف كلوب ثم يربطه فى أقرب شجرة بجوار النادى ويدخل بكل عظمة ووقار .

أما الرحلات خارج القاهرة فكانت تتم على متون الحمير أو الجمال . ولم يظهر الترام بشوارع القاهرة إلا سنة ١٨٩٥ وكم كان سرور الأهالى والأجانب عظيماً بركوب عرباته أو بالمرور تحت أسلاكه المعلقة فى الهواء . ومع ذلك ظلت مواقف حمير الأجرة فى معظم نواصى الشوارع . وكان أكبر هذه المواقف طراً بميدان الأوبرا حيث كنت ترى الجدال يدور باستمرار حول تقدير الأجرة للمرور بأسواق المدينة القديمة أو فى ضواحى القاهرة .

وكان الغلمان يطلقون على حميرهم أسماء مضحكة فيسمون أحد الحمير الذكور مثلا السيدة لنجترى ، كما كانوا يرفعون عن ظهورها السروج لراحتها فى المواقف ولعلاج جروحها إذا وجدت وكان فى إمكان هذه الدواب الشديدة

أن تقطع المسافة بين القاهرة والإهرام ذهابا و إيابا بدون أن يظهر عليها أى تعب لا هى ولا الغلام الذى يجرى خلفها .

وكان السائح إذا أراد زيارة أهرام سقارة فى ذاك العهد يركب القطار إلى البدرشين ، وعند وصوله إلى محطتها يحاط بجماهير لا تحصى من الغلمان أصحاب الحمير وكل يحاول أن يغريه بامتطاء دابته فهذا الحمار إسمه مارى اندرسون وذاك إسمه المستر جلادستون والثالث إسمه الرئيس جارفلد وهكذا و إذا ما اختار السائح حماره بطل النزاع والصراخ والكلام كأنه صدر إليهم أمر سحرى بالسكوت . وكان أجر الحمار من البدرشين إلى سقارة ذهابا و إيابا ريال واحد مع دفع بقشيش قليل للغلام .

وكانت تكاليف الحياة خارج القاهرة إذ ذاك رخيصة جداً إذ كان فى إمكانك شراء مائة بيضة فى الريف بخمسة قروش لا غير وكان اللبن يصل إلى باب دارك فى القاهرة نفسها بواسطة بائع اللبن الذى يحضر بقرته وخلفها عجلها الصغير ليحلبها أمامك بسهولة . وكانت البقرة أطوع لصاحبها من بنانه ولكن اللبن المحلوب بهذه الطريقة كان لا بد من غليه قبل شربه . وكان هناك بعض الخاصة الذين يحصلون على حليب أنظف من هذا من مدرسة الزراعة واستمر الحال كذلك إلى أن أقام مستر هاوى معملا للألبان المعقمة بحدائق القبة ولا يزال هذا المعمل موجوداً للآن .

خلجان القاهرة :

وكان بالقاهرة سنة ١٨٩٥ خليجان مشهوران ولكنهما اختفيا الآن . أما الأول فهو الخليج المصرى المشهور الذى كان يخرج من النيل عند مصر القديمة فى المكان المعروف اليوم باسم فم الخليج و يسير إلى ميدان السيدة زينب فميدان باب الخلق ثم يمر غربى المحافظة وغربى جامع الظاهر بالعباسية و يسير إلى الزيتون والمطرية و بعد ذلك يختفى فى بركة الحج . وسبق تكلمنا عنه وعن حفلات فتحه أيام الفيضان . وكانت مياه النيل تظل تجرى فيه طول مدة الفيضان حتى إذا ما بدأت أيام التحاريق ووقفت المياه عن جريانها جف الخليج وظل هكذا حتى يأتى الفيضان التالى . ولكن جفاف الخليج كان يحتاج لزمن طويل يتحول فى خلاله الخليج إلى مستنقع ومباءة للقاذورات تلقى فيه القطط والكلاب الميتة وتصب فيه مجارير المنازل المجاورة و يصبح بؤرة لنشر الأمراض والميكروبات بالمدينة . ولذا فرح أهالى القاهرة جميعاً لما اتفقت شركة الترام مع الحكومة المصرية على ردم هذا الخليج . وسيرت فى الشارع المستجد عربات الترام حوالى سنة ١٩٠١ .

أما الخليج الثانى فهو ترعة الاسماعلية التى كانت تخرج من النيل فى موقع الكنيسة الكاتدرائية الانجليزية الحالية بجوار مكاتب شركة ترام القاهرة ثم تسير بمحاذاة شارع الملكه نازلى الحالى حتى ميدان المحطة وتستمر إلى غمرة والمطرية وسواها . وقد ردم الجزء الأول من هذه الترعة بين الفم وغمرة . ونقل فمها الآن إلى شبرا الخيمة .

وعلى الجزء المردوم من هذه الترعة تقوم الآن المبانى التالية :

الكاتدرائية الإنجليزية ثم ديوان مصلحة المجارى الرئيسيه ثم حمام السباحة التابع لوزارة المعارف العمومية ثم محطة الهواء المضغوط التابعة لمصلحة المجارى بمعروف ثم جمعية الشبان المسلمين ثم مبنى مصلحة الكيمياء ثم مبنى جمعية الحشرات ثم مبنى جمعية الاقتصاد السياسى والاحصاء ثم جمعية الأسعاف ثم نادى الموسيقى الشرقى ثم مبنى مستشفى السكة الحديد ثم مصلحة التليفونات وملحقاتها ثم جمعية المهندسين الملكية ثم سوق الجملة للفاكهة والخضار ثم جمعية رعاية الأمهات والفتيات ثم محطة طلمبات مياه السطوح التابعة للمجارى ثم دار الهلال الأحمر ثم سجن الأجانب ثم ثكنات باب الحديد التابعة للجيش البريطانى ثم محطة كوبرى الليمون ثم خط المترو وخط سكة حديد المطرية من محطة كوبرى الليمون حتى كوبرى باغوص و بعد ذلك تجد للآن بقايا هذه الترعة بغمرة .

الحياة الاجتماعية :

كانت قاهرة سنة ١٨٩٥ لا تختلف فى العادات كثيراً عن القاهرة التى وصفها لين بول فى القرن السابق . أما الآن فقد اختفت كثير من معالم الحياة الاجتماعية القديمة فلم نعدنرى مواكب الأفراح التى كانت تسير بالمشاعل ليلاً فى طرقات المدينة ولا مواكب عربات العرائس التى كانت تحاط بالسواس والأصدقاء ، وكما اختفت مواكب الهوادج والجمال لنقل العرائس إلى منازل أزواجهن بين الهزيج والغناء .

ومن المظاهر التى اختفت أيضاً فى القاهرة الحديثة ، وكانت عنوان الغنى والثراء فى قاهرة القرون الماضية ، وجود الخصيان (الأغوات) الذين كانوا يجلسون أزواجاً على مقاعد خشبية خارج أبواب قصور كبار الأغنياء . واختفت كذلك مواكب السياس الذين كانوا يجرون أمام عربات كبار القوم لإفساح الطريق أمامها .

الملاهى :

وكانت أهم ملاهى القاهرة إذ ذاك هى دار الأوبرا ولكن موسمها كان محدوداً وقصيراً جداً لايزيد عن عشرة أسابيع ابتدأ من رأس السنة الميلادية .

ولم يكن هناك (كاباريهات) ولكن مقابل فندق شبرد كانت توجد (الكافيه اجبسيان) وكانت بها سيدة نمساوية ترأس فرقة موسيقية توقع أحياناً نغمات شجية . وعند ناصية الشارع كان « الألدرادو » ، وهوملهى للرقص الشرقى حيث كنت ترى رقص البطن . ولكن لأجل أن تتمتع حقيقة بهذا النوع من الرقص كان عليك أن تذهب ولو خلسة إلى قهوة من مقاهى شارع كلوت بك وهناك تجد هذا الرقص بكامل ما فيه من الاغراء الجنسى المكشوف .

وكان هناك مطاعم أخرى كثيرة أشهرها مطعم سانتى بحديقة الأزبكية كما كانت هناك مشارب كثيرة للبيرة منتشرة بميدان الأوبرا وبجوار شبرد وبحى الأزبكية بجوار الملاهى الفاجرة وبيوت الدعارة وكان السهر يطول جداً بهذه الأحياء حتى يخيل اليك أن قاهرة هذا العهد كانت لا تعرف معنى النوم .

القاهرة ملتقى السياح :

كانت القاهرة منذ خمسين عاماً بلاد السياحة بكل معانى الكلمة . فكان البعض يقصدها للاستشفاء والبعض لتجنب برد الشتاء فى أوربا والبعض لزيارة آثارها . وكانت أفواج السياح تصل فى شهر اكتوبر وتقوم إلى الأقصر واسوان فى شهر ديسمبر وتبقى هناك حتى شهر مارس ثم تبدأ فى العودة . وكان المستشفون يقصدون إلى فندق مينا هاوس أو فندق الحياة بحلوان أو إلى الأقصر أو أسوان رأساً ويبقون هناك أطول مدة ممكنة . وكانت بعض هذه الأفواج تستأجر الذهبيات لتقوم برحلة هادئة بطيئة فى النيل لغاية أسوان ثم تعود .

القاهرة بين حربين :

فى سنة ١٩١٤ قامت الحرب العظمى بأوربا فكانت القاهرة بحكم موقعها عند ملتقى طرق العالم تعج بالجيوش الأسترالية والنيوزيلندية والهندية التى جاءت لصد الجيش التركى عن قنال السويس ثم لفتح الدردنيل . وقد برز إذ ذاك إسم الجنرال اللنبى الذى عين فيما بعد مندوباً سامياً لإنجلترا فى مصر وعاصر الثورة المصرية سنة ١٩١٩ تحت زعامة زغلول باشا .

وفى سنة ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية بأوربا أيضاً ولكن نيرانها كادت تصل هذه المرة إلى الإسكندرية بعد وصول جنود الألمان إلى العلمين . وكانت القاهرة كعادتها ملتقى الطرق الجوية والبرية والبحرية ومقر قيادة الجيوش المحاربة المختلفة الأجناس فهنا تجد الأسترالى بجوار النيوزيلندى بجوار الهندى بجوار الأفريقى بجوار الفرنسى بجوار الكندى بجوار الأمريكى . وفى وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الجيوش الجرارة كانت الفتيات المجندات الجميلات يملأن شوارع القاهرة بهجة وترفيهاً وهن من كل جنسيات العالم تقريباً .

الفصل الثانى عشر

طرق المواصـــلات

السكك الحديدية :

القاهرة ملتقى سكك حديد القطر المصرى لتوسطها بين الوجه البحرى والوجه القبلى .

وأهم الخطوط التى تربط القاهرة بعواصم المديريات وبالمحافظات والضواحى هى :

١ — خط (القاهرة — الاسكندرية) عن طريق بنها وطنطا ودمنهور ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٥٦

٢ — خط (القاهرة — السويس) عن طريق بنها والزقازيق والاسماعيلية ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٦٨

٣ — خط (القاهرة — السويس) عن طريق الصحراء . وقد أنشىء مرتين المرة الأولى سنة ١٨٥٨ والمرة الثانية سنة ١٩٣٠

٤ — خط (القاهرة — بور سعيد) عن طريق بنها الزقازيق والاسماعيلية وقد تمت الوصلة بين الاسماعيلية وبور سعيد بواسطة مصلحة سكه حديد الحكومة المصرية سنة ١٩٠٤

٥ — خط (القاهرة — دمياط) عن طريق بلبيس والزقازيق والمنصورة ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٦٩

٦ — خط (القاهرة — الشلال) ويرجع تاريخ الجزء الأول منه من بولاق إلى الروضة إلى سنة ١٨٦٧ كما يرجع تاريخ الجزء الممتد من الواسطى إلى الفيوم وأبو كساه إلى سنة ١٨٦٩ ثم وصل الخط إلى الأقصر سنة ١٨٩٨ وامتد من هناك خط ضيق إلى الشلال ثم وسع سنة ١٩٢٦ . وقد تكلمنا عن هذه الخطوط بالتفصيل الوافى فى كتاب « منطقة قنال السويس » ص ٣٠٢ وما يليها .

السيارات :

ظهرت السيارات لأول مرة بالقاهرة سنة ١٩٠٣ وقد وصل عدد السيارات بها الآن إلى حوالى ٢٠٠٠٠ سيارة بين سيارات خاصة وأجرة ولورى وباس وخلاف ذلك . ويبلغ طول الشوارع المرصوفة بمدينة القاهرة الآن حوالى ألف كيلو متر تسير فوقها السيارات بخفة ورشاقة وسرعة هائلة .

أما أهم الطرق الرئيسية التى تربط القاهرة بعواصم المديريات وبالمحافظات فهى :

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية :

تم إنشاء هذا الطريق سنة ١٩٣٧ . ويبلغ طوله ١٨٦ كيلو مترا ومن هذا الطول ١٣٦ كيلو مترا رصفت بطريقة الخلط المحلى . ويبلغ عرض هذا الطريق ستة أمتار ومساحة الجزء المرصوف بالخلط المحلى بسمك ٥ سم ٨١٩٠٠٠ متر مربع . وقد قامت شركة شل برصف هذا الجزء نظير مبلغ ١١٦٠٠٠ جنيه مصرى واستغرق تمهيد هذا الجزء

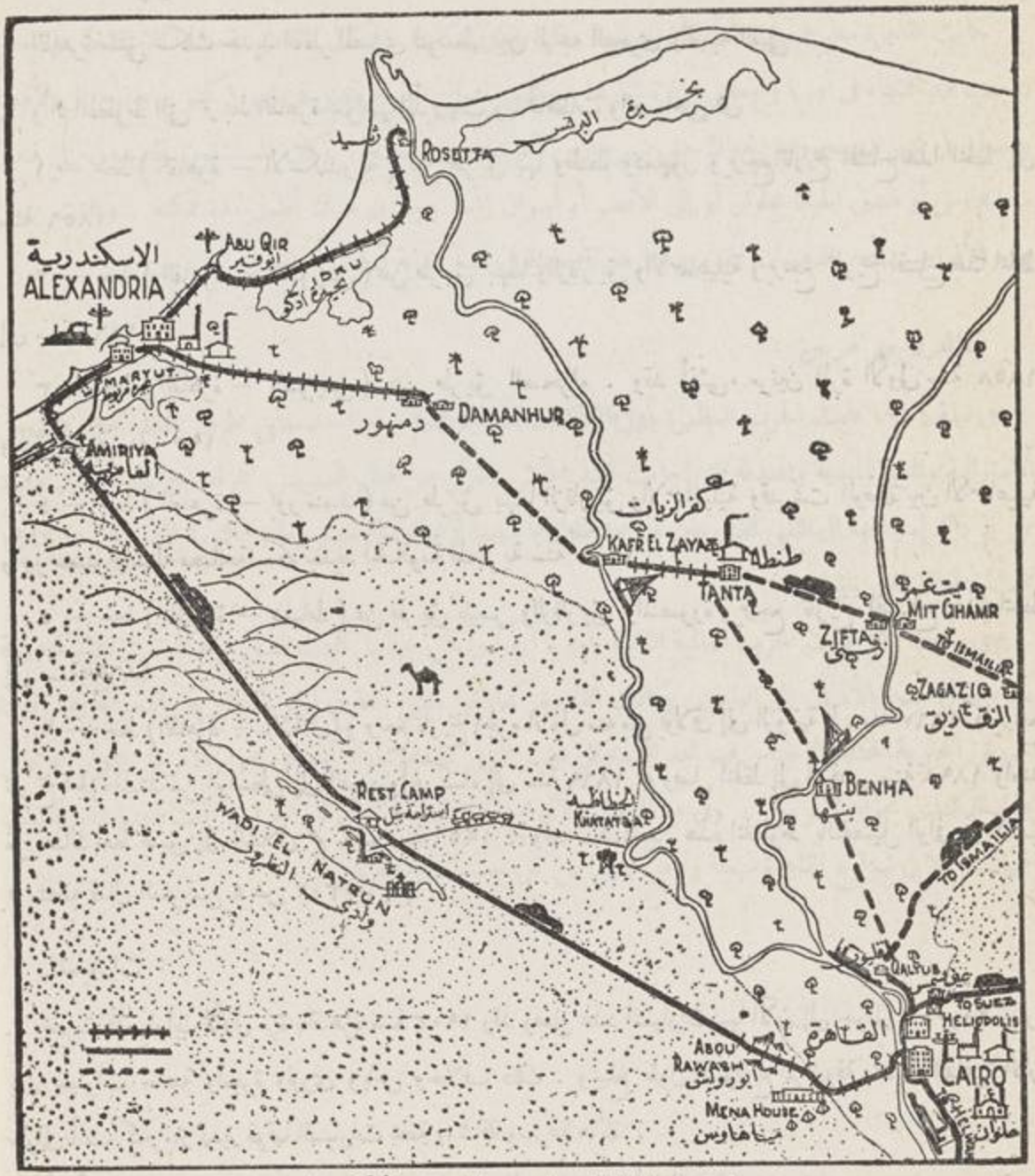

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية

ورصفه مدة ستة أشهر فقط . ويشبه هذا الطريق الآن بساطاً مفروشاً وسط الصحراء . ويبدأ بجوار فندق مينا هاوس ويسير وسط الصحراء حتى يصل إلى جبل أبو رواش بطول تسعة كيلو مترات تقريباً . وكان هذا الجزء مرصوفاً بطريقة المكدام الأسفلتى قبل سنة ١٩٣٥ . كما كان هناك نحو عشرة كيلو مترات أخرى مرصوفة بطريقة المكدام الأسفلتى أيضاً من الأسكندرية إلى العامرية . فلما نشبت الحرب بين إيطاليا والحبشة وطبقت عصبة الأمم العقوبات على إيطاليا وتحرّجت الحالة الدولية طلبت السلطات العسكرية من الحكومة المصرية امتداد هذا الطريق بين أبو رواش والعامرية لوصل القاهرة بالأسكندرية عن طريق الصحراء الغربية ونشط جماعة نادى السيارات وعلى رأسهم المسيو ناستور چانا كليس صاحب فكرة طريق السيارات الصحراوى وطالبوا الحكومة باتمام رصف هذا الطريق لمواجهة الاحتمالات الحربية من جهة ولتسهيل المواصلات المدنية بين عاصمتى القطر المصرى من جهة أخرى بواسطة طريق أقصر من الطريق الزراعى البطىء بنحو ٢٠ كيلو متراً

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية .
شهادة حية لمساهمة مصر مع حليفتها فى الحرب العالمية ضد المحور . فهذا طريق مصرى تمر عليه الدبابات الانجليزية !

ورست العملية على شركة شل ، فمدت الطريق من جبل أبو رواش على بعد تسعة كيلومترات شمالى مينا هاوس إلى وادى النطرون فى صحراء معظم عناصرها مكونة من الزلط الصغير الرملى بدون انحناءات أو التواءات تقريبا . وتجد فى هذه المنطقة الآن استراحة شركة شل البديعة حيث يمكنك تناول المرطبات وسط الصحراء وشرب المياه

المرشحة وتزويد سيارتك بالبنزين والزيوت وكافة الاحتياجات الضرورية وأنت بالقرب من أديرة وادى النطرون الأثرية ومن معامل شركة الملح والصودا التى تستخرج من بحيرات هذا الوادى مادة النطرون وتشحنها إلى الخطاطبة فالاسكندرية لادخالها فى صناعة المفرقعات الحربية وفى صناعة الصابون .

وبعد وادى النطرون يمتد الطريق فى وسط صحراء موحشة كثيرة التلال والمنحنيات والمرتفعات والمنخفضات حتى يصل إلى العامرية وإلى مشارف الاسكندرية .

وتمر بهذا الطريق يومياً فى الاتجاهين حوالى ٢٥٠ أو ٣٠٠ سيارة مدنية وحربية وتستهلك فى اجتيازه حوالى ٥٠٠ أو ٦٠٠ صفيحة بنزين وتربح الحكومة سنويا من ذلك ما يقدر بنحو مائة الف جنيه من الضرائب .

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والفيوم :

تم انشاء هذا الطريق فى شهر يونيو سنة ١٩٣١ وهو يبدأ من أهرام الجيزة ويمتد فى الصحراء الغربية جنوبا نحو كوم أوشيم بطول ٦٠ كيلومترا تقريباً وهذا الجزء مرصوف بالخرسانة الأسفلتية وله أساس من الحجر الجيرى ، وعرض هذا الطريق ستة أمتار .

وعند كوم أوشيم تجد مسلتين أقيمتا فى نهايته وهناك تجد حجراً نقش عليه تاريخ افتتاح الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله لهذا الطريق فى يونيو سنة ١٩٣١ .

أما باقى الطريق من كوم أوشيم إلى الفيوم فغير مرصوف وهو طريق زراعى عادى طوله حوالى ٢٤ كيلومترا . وتقطع السيارة هذا الطريق جميعه فى حوالى ساعتين .

وقبل الوصول إلى أوشيم تجد وسط الصحراء استراحة نادى الصيد الملكى وبحيرة فاروق وتبدو تائهة بين كثبان الرمال ضائعة وسط رقعة الصحراء . وتغذى هذه البحيرة ترعة أقيمت عليها السدود والبوابات وقد أنشئت حول البحيرة غابات وخططت هناك الطرق والممرات حتى غدت قطعة من النعيم تشهد بفضل الفاروق حتى على رمال الصحراء الذى جعل منها جنة فيحاء .

طريق السويس وطريق الاسماعيلية :

هذا أما طريق السويس الصحراوى وطريق القاهرة — الاسماعيلية فسبق لنا الكلام عنها فى كتاب « منطقة قنال السويس ص ٣٣٤ كما سبق تكلمنا عن خط السكة الحديد بين القاهرة والسويس فى ص ٣١٦ من نفس هذا الكتاب .

كبارى القاهرة :

اقتضت تطورات القاهرة واتساعها وانتشار مبانيها وقصورها على الشاطىء الغربى للنيل ثم اتصالها بعواصم المديريات بواسطة الطرق الزراعية والسكك الحديدية إنشاء الكبارى الآتية :

١ — كوبرى عباس الثانى — ويصل الجيزة بجزيرة الروضة ويعد رأس الطريقين الصحراويين إلى الاسكندرية وإلى الفيوم . وطول هذا الكوبرى ٥٣٥ متراً وعرضه بالمشايين ٢٠ متراً . وعليه شريط مزدوج للترام ، وله فتحة « صينية للفتح » تدار بالكهرباء .

وسبق تكلمنا عن هذا الكوبرى فى الجزء الثانى من كتاب القاهرة ص ٣٨٨ .

٢ — كوبرى الملك الصالح — يصل جزيرة الروضة بمصر القديمة . وهو مع كوبرى عباس الثانى يتمان الاتصال بين مصر القديمة والجيزة ويعتبران رأس الطرق الصحراوية والزراعية إلى الاسكندرية وإلى الفيوم والوجه القبلى .

طوله ٨٣ متراً وعرضه ١٥ متراً .

٣ — كوبرى محمد على — يصل الطرف الشمالى لجزيرة الروضة (قصر الأمير محمد على) بالقصر العينى بمصر القديمة

طوله ٦٧ متراً وعرضه ١٥ متراً .

وقد بنيت هذه الكبارى الثلاثة شركة السير وليم أرول ، وتم تسليمها للحكومة سنة ١٩٠٨ .

تمثال سعد زغلول باشا عند مدخل كوبرى الخديوى اسماعيل من جهة جزيرة الزمالك .

٤ — كوبرى الخديوى اسماعيل — يصل القاهرة بالجزيرة (جزيرة الزمالك) . وكان مكانه كوبرى قصر النيل الذى أنشىء فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٨٧٢ . وكان طوله ٤٠٦ أمتار وله فتحتان للملاحة كل منهما بعرض ٢٢ مترا . وكان عرضه ١٠٫٥ متر منها متران ونصف للافريزين . وكانت حمولته خفيفة تتناسب مع حركة المرور فى ذاك الوقت . وقامت بانشائه شركة فيف ليل الفرنسية . ولما أن زادت حركة المرور ازدياداً عظيما وزادت الأثقال عن الحد المقرر ولاحظت مصلحة الطرق والكبارى وجود اهتزازات عظيمة بالكوبرى بادرت بفحص الجزء المعدنى منه فاتضح لها أن الحديد قد تبلور وأصبح الكوبرى معرضاً لاختلال فجائى . وأخيراً قر الرأى على إزالة الكوبرى القديم وإنشاء آخر بدله .

وقد أزيل الكوبرى القديم فعلا فى أوائل سنة ١٩٣١ وأقيم الكوبرى الجديد فى موقعه بالضبط بمعرفة شركة دورمان لونج الإنجليزية تحت إشراف مصلحة الطرق والكبارى .

وقد افتتحه رسمياً جلالة الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٩٣٣ . وقد جعل طوله ٣٨٢ متراً خصص منها خمسة أمتار للافريزين على جانبيه عرض كل منهما متران ونصف . ويقوم الكوبرى على كتفين وسبع دعائم . وله فتحتان ملاحيتان كل منهما بسعة ٢٠ متراً ويتحرك بجهاز كهربائى أوتوماتيكى وباليد إذا اقتضى الحال .

أما حمولة الكوبرى ، فهى ثلاث قاطرات متحركة بجوار بعضها بحيث يبعد محور القاطرة عن محور الأخرى ثلاثة أمتار وتتكون القاطرة من آلة جر ثقيلة وزنها ٢٢ طناً ومن ثلاث عربات وزن كل منها ١٤ طناً . وقد بلغت النفقات النهائية حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ جنيه .

٥ — كوبرى الإنجليز — وهو الذى حل محل كوبرى الأعمى القديم ويصل الجزيرة بالجيزة وهو مع كوبرى قصر النيل (الخديو إسماعيل) يتمان الاتصال بين القاهرة والجيزة . ويعتبران أيضاً رأس الطرق الصحراوية والزراعيه إلى الإسكندرية والفيوم والوجه القبلى .

طوله ١٤٥ متراً وعرضه ١٩ مترا . وهو كوبرى دائر على صينية تحرك بالكهرباء

وقد بنته شركة كليفلاند الهندسية وفتح للمرور سنة ١٩١٤ .

٦ — كوبرى فؤاد الأول — ويصل بولاق بالجزيرة . طوله ٢٧٤ متراً وعرضه ٢٠ متراً . وعليه شريط مزدوج للترام . وله فتحة ترتفع بالكهرباء وهى مصنوعة على طراز كبارى شركة شرزر التى تدور وترتفع فى آن واحد .

٧ — كوبرى الزمالك — ويصل امبابة بالجزيرة . وهو مع كوبرى بولاق (فؤاد الأول) يتمان الاتصال بين بولاق وامبابة أى بين القاهرة والشاطىء الغربى للنيل . طوله ١٢٥ متراً وعرضه ١٦½ متراً . وهو كوبرى دائر على صينية تحرك بالكهرباء . وقد بنت الكوبريين السالف ذكرهما شركة ڤيف ليل وتم تسليمهما للحكومة سنة ١٩١٢ .

٨ — كوبرى روض الفرج — هذا الكوبرى عبارة عن ممر علوى يمر فوق خطوط السكة الحديدية الموصلة للوجه القبلى ويحمل شريط مزدوج للترام . طوله ٢٨٠ متراً وعرضه ١٣ متراً . وقد بنى بمعرفة الخواجات يوم ومار بنت المقاولين سنة ١٩١٣ على حساب شركة ترام مدينة القاهرة .

٩ — كوبرى شبرا « الأحدب » — ويصل ميدان المحطة بشارع شبرا . وهو ممر علوى يمر فوق خطوط السكة الحديدية الموصلة للوجه القبلى . وقد رفع من فوقه خطوط الترام بمناسبة إنشاء نفق شبرا الجديد . وأصبح مخصصاً لمرور المشاة والسيارات الخاصة فقط وذلك لتخفيف الضغط الهائل الذى كان يقع عليه .

١٠ — كوبرى امبابة — وقد أقيم محل الكوبرى القديم الذى بناه ديد وبيلى سنة ١٨٨٩ وافتتحه الخديو عباس حلمى الثانى فى ٥ مايو سنة ١٨٩٢ ، ودعم سنة ١٨٩٨ . وهو يحمل خطوط السكة الحديدية إلى الوجه القبلى ويصل مابين القاهرة وامبابة وطوله ٥٠٠ متر . وكان يجتازه خط مفرد . ولما تطورت حركة المواصلات نقل هذا الكوبرى إلى سمنود . وأقيم مكانه الكوبرى الحالى . وقد بنته شركة بوم ومربان فيما بين سنة ١٩١٣ و سنة ١٩٢٥ ووصلت النفقات إلى حوالى نصف مليون جنيه .

ويبلغ طوله ٤٨٦٫٢٠ متر وله ست فتحات طول كل منها ٧٠ متراً . ويجتازه خط حديدى مزدوج وله ممران جانبيان لمرور السيارات عرض كل منهما ٤٫٢٠ متر وله مشاياتان علويتان مخصصتان للمشاة عرض كل منهما ٣٫٧٥ متر .

محطات السكة الحديد بالقاهرة :

انتخب موقع محطة القاهرة الرئيسية أصلا بالقرب من فندق شبرد ومن ميدان الأزبكية حيث الفنادق الكبيرة. فأقيمت فى أول الأمر خارج أسوار المدينة عند « بوابة الحديد » وتم تشييدها وافتتاحها سنة ١٨٥٦ . وكان بها خمسة فروع من خطوط السكك الحديدية .

وقد حرقت هذه المحطة عند الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ بمناسبة انفجار بعض المفرقعات الحربية فى أحد مخازنها . وأعيد تشييد المحطة الحالية سنة ١٨٩١ على الطراز العربى الجميل الذى تراه اليوم . وأقيمت فيها البوابة الملكية صورة طبق الأصل من بوابة وكالة الغورى بشارع التبليطة بجوار الأزهر . وضمت إليها أرصفة خطوط سكك حديد وجه قبلى ، وتعتبر محطة القاهرة أكبر محطة للركاب بالقطر المصرى بل بالشرق الأدنى . وبها تسعة أرصفة يتخللها ما طوله ١٩٦٢ متراً من أشرطة السكك الحديدية . كما أن بها أربعة أكشاك للاشارات .

ويضم مبنى محطة القاهرة جميع مكاتب الادارة والاستغلال والحركة .

أما المظلة الهائلة الزجاجية الواقعة بين أجنحة المبنى فوق الأرصفة فيبلغ طولها ١٨٥ متراً وعرضها ٤٥ متراً ووزنها ١٣٠٠ طن . وقد تم تشييدها سنة ١٨٩٣ بمعرفة شركة « دايده » .

ويبلغ وزن الشخشيخة وحدها ٣٢٠ طناً وعرضها ٨ ١/٨ أمتار .

محطة كوبرى الليمون :

أنشئت هذه المحطة لتخفيف الضغط عن محطة القاهرة الرئيسية وجعلت فيها خطوط الضواحى إلى المطرية وخط القاهرة — السويس الصحراوى . وبها أربعة فروع من خطوط السكك الحديدية بأرصفتها .

محطة باب اللوق :

هذه محطة صغيرة أنيقة أنشئت حديثاً وسط شارع منصور على رأس خط السكة الحديد من باب اللوق إلى حلوان . وهى مجرد موقف بخط مزدوج على جانبى رصيف طويل .

الملاحة النهرية :

تؤدى الملاحة النهرية لمصر خدمات جليلة . فليس النقل بالنيل مكملا للنقل بالسكة الحديدية فقط ولكن الملاحة النهرية فى بلد زراعى كالقطر المصرى حيث وسائل النقل بالسكك الحديدية و بطرق السيارات البرية لا تكفى لسد حاجته ، تتحمل فى الواقع عبئاً كبيراً لضمان نقل محاصيل الوجهين القبلى والبحرى إلى القاهرة و إلى الموانئ البحرية ويمثل الطريق النهرى الطريق الطبيعى للمواصلات بمصر وهو طريق التجارة والأسفار منذ آلاف السنين .

وقد تكونت بالقاهرة شركات كثيرة للملاحة النهرية تسير أساطيلها غادية رائحة فى النهر بين القاهرة وأقاصى البلاد لنقل محاصيل الفلاح الزراعية ومنتجات البلاد الصناعية ولتسهيل سبل السياحة والسفريات والرحلات النهرية وسواء ذلك .

وقد أدت هذه الشركات للاقتصاد المصرى خدمات جليلة خصوصاً خلال الحرب الماضية حيث اتضح أن السكك الحديدية وباقى وسائل النقل الأخرى غير كافية لمواجهة جميع الطلبات الهامة أو الخاصة التى نشأت عن هذه الحالة الاستثنائية . فقامت الملاحة النهرية بتلبية الطلبات العادية للتجارة والزراعة والصناعة .

وترسو المراكب والسفن النهرية بالقاهرة فى ساحل روض الفرج أو فى ساحل أثر النبى أو فى ساحل بولاق . وهذه السواحل الثلاثة فى حاجة شديدة إلى الإصلاح والتمهيد والتوسيع والتحسين و إنشاء موانئ نهرية بها .

وهناك مراس أخرى لسفن السياحة بجزيرة الزمالك أو على الشاطىء الغربى للنيل .

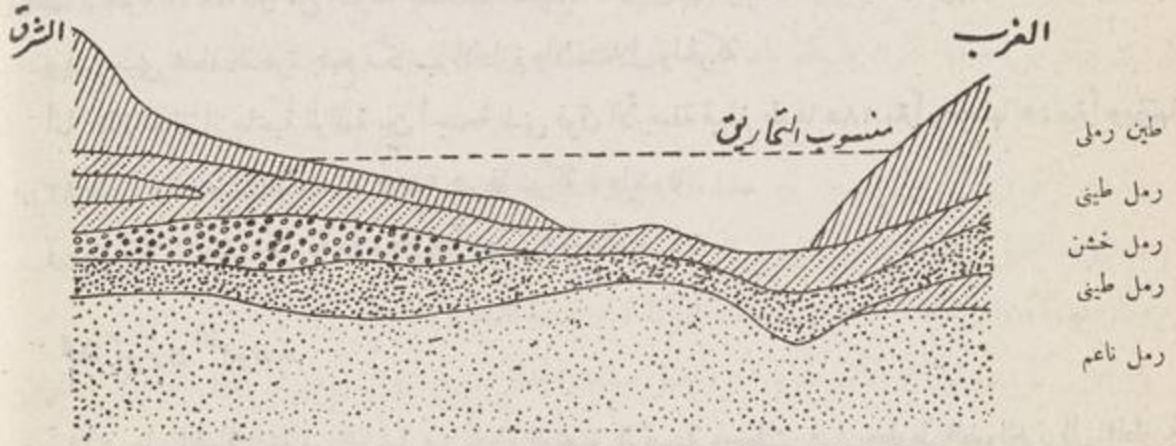

قطاع فى نهر النيل عند ساحل روض الفرج وترى فيه تكوين طبقات الأرض وعمق المياه فى زمن التحاريق . وتتبين بعض الصعوبات التى تلاقيها الملاحة النهرية بسبب عدم وجوم ميناء نهرية هناك .

فهرست

الجزء الثالث من كتاب « القـــاهرة »

صحيفة

مقدمة الكتاب بقلم المؤلف ٤٠٥

الفصل الأول — العصر الفاطمى من سنة (٣٥٨ — ٥٦٧) هـ — (٩٦٩ — ١١٧١) م : ٤٠٩
الفاطميون . نشأة القاهرة . انتخاب موقع الضاحية التى أنشأها جوهر . تخطيط المدينة . سور جوهر . أبواب قاهرة جوهر . القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى . أحياء القاهرة الفاطمية . أهم معالم القاهرة الفاطمية الباقية إلى اليوم : الجامع الأزهر . العناصر المعمارية وأصولها. مشروع المدينة الأزهرية . جامع الحاكم بأمر الله . باقى المساجد الفاطمية . سور بدر الجمالى . أبواب سور بدر الجمالى بالقاهرة . باب الفتوح . باب النصر . باب زويلة . الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى العصر الفاطمى .

الفصل الثانى — العصر الأيوبى من سنة (٥٦٧ — ٦٤٨) هـ — (١١٧١ — ١٢٥٠) م : ... ٤٣٥
الأيوبيون . أهم معالم القاهرة الأيوبية الباقية إلى الآن : سور صلاح الدين . السد العظيم . قلعة الجبل. بئر يوسف . المدارس الأيوبية . المستشفيات والخوانق الأيوبية . قلعة الروضة . قبة شجر الدر .

الفصل الثالث — عصر المماليك البحرية من سنة (٦٤٨ — ٧٨٤) هـ — (١٢٥٠ — ١٣٨٢) م . ٤٤٩
أهم الآثار التى شيدت فى عهد سلاطين دولة المماليك البحرية. المدرسة المعزية . المدرسة الظاهرية. جامع الظاهر . أرض اللوق . الجسر الأعظم وقناطر السباع . (ميدان السيدة زينب) . المدرسة والقبة والبيمارستان المنصورى (جامع قلاوون) . شبرا وبولاق . القاهرة فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون . بلدة بولاق . امتداد العمران بين باب الخلق والسيدة زينب . ميدان القلعة . المدرسة الناصرية . جامع الناصر محمد بالقلعة . الخانكة . أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . مدرسة السلطان حسن . جامع وخانقاه شيخو . مدرسة صرغتمش . القاهرة فى نهاية عصر المماليك البحرية .

الفصل الرابع — عصر المماليك الشراكسة من سنة (٧٨٤ — ٩٢٣) هـ — (١٣٨٢ — ١٥١٧) م ٤٦٥
أهم الآثار التى شيدت فى عهد دولة المماليك الشراكسة : مدرسة السلطان الظاهر برقوق . تربة برقوق . زاوية فرج بن برقوق أو الدهيشة . الملك المؤيد وجامع المؤيد . البيمارستان المؤيدى . الملك الأشرف برسباى والمدرسة الأشرفية . من برسباى إلى قايتباى . الملك الأشرف قايتباى وآثاره بالقاهرة . الأزبكية . آثار أخرى لقايتباى . حى قايتباى . القبة القداوية . حى القبة . بيت القاضى أو مقعد ماماى . من قايتباى إلى طومان باى . السلطان الغورى . خان الخليلى . آثار أخرى للغورى . تجارة الهند . نهاية المماليك .

الفصل الخامس — العصر التركى من سنة (٩٢٣ — ١٢١٣) هـ — (١٥١٧ — ١٧٩٨) م ... ٤٨٠
وصف القاهرة فى صدر العصر التركى . تجارة القاهرة فى صدر العصر التركى . الامتيازات الأجنبية. وصف القاهرة فى نهاية العصر التركى . الولاة الأتراك . المساجد التى جددت فى العصر التركى . الأسبلة . أهم الآثار التى شيدت بالقاهرة فى العصر التركى . على بك الكبير .

الفصل السادس — عصر الحملة الفرنسية من سنة (١٧٩٨ — ١٨٠١) م ٤٩٢
المجمع العلمى المصرى . ثورة القاهرة الأولى . نتائج الثورة . الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين . ثورة القاهرة الثانية . جلاء الفرنسيين عن مصر . وصف علماء الحملة للقاهرة . الوكالات وتجارة القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية . خريطة القاهرة التى رسمها علماء الحملة الفرنسية . جزيرة الزمالك.

صحيفة

الفصل السابع — عصر محمد على باشا من سنة (١٨٠٥ — ١٨٤٨) م ٥٠٥
مبايعة محمد على والياً على مصر . إصلاحات محمد على باشا . تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا . الخليج المصرى . الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الغربية للخليج . الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج . تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا . قناطر الخليج . وسائل الانتقال . طريق الأوفرلاندروت أو الطريق البرى . أهم المبانى التى أنشئت بالقاهرة فى عهد محمد على باشا القصور . قصر محمد على بشبرا الخيمة . قصر الجوهرة بالقلعة . قصر الحرم . دار المحفوظات . دار الضرب . الأسبلة . المدارس الحربية . مسجد محمد على بالقلعة . حصن محمد على فوق المقطم خلف القلعة . القناطر الخيرية .

الفصل الثامن — عصر اسماعيل باشا من سنة (١٨٦٣ — ١٨٧٩) م ٥٢٦
من محمد على إلى اسماعيل . تطورات القاهرة بين عهدى محمد على واسماعيل . العباسية . الوايلية والدمرداش والمحمدى والقبة . شبرا وروض الفرج . تخطيط القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل . مشروعات التخطيط والعمارة فى عصر اسماعيل . الاسماعيلية . الميادين التى أنشئت بالقاهرة فى عهد الخديو اسماعيل . الفجالة . شارعى كلوت بك ومحمد على . شارعى الموسكى والسكة الجديدة . حديقة الأزبكية . دار الأوبرا وشارع الأهرام . كوبرى قصر النيل . كوبرى الأسمى الآن (كوبرى الانجليز) . قصر عابدين . شركة مياه القاهرة . مآخذ عمليات المياه المتتالية فى القاهرة شركة غاز القاهرة . إسماعيل والتاريخ .

الفصل التاسع — المدينة الحديثة من سنة ١٨٧٩ إلى الآن ٥٤٣
عهد الملك فؤاد الأول . عهد الفاروق . تطورات القاهرة الحديثة . تخطيط الشوارع الحديثة . أنواع الشوارع . ميادين القاهرة . أحياء القاهرة . ميدان ابراهيم باشا . ميدان عابدين . ميدان الملكة فريدة . شارع المعز لدين الله . ميدان محمد على وميدان صلاح الدين . ميدان السيدة زينب . شارع الخليج المصرى . ميدان المحطة وميدان باب الحديد . نفق شبرا . شارع عماد الدين . شركة ترامواى القاهرة . مجارى القاهرة . مصلحة التنظيم . مداخل القاهرة من جهة السكة الحديد . من جهة الطرق الزراعية والصحراوية . من جهة الملاحة النهرية . مبنى لدار البلدية ودار المحافظة والبرلمان بالقاهرة . مصر الجديدة . مطار ألماظة . أقسام بوليس القاهرة . فرقة المطافى . شياخات القاهرة . القاهرة مدينة صناعية . القاهرة مدينة الجمعيات والمنشآت العلمية . القاهرة مدينة المتاحف . القاهرة مدينة المدارس والجامعات .

الفصل العاشر — أهم معالم القاهرة على الشاطىء الغربى للنيل ٥٧٩
الجيزة . نهر النيل بين الجيزة والفسطاط . حدائق الحيوان . جامعة فؤاد الأول . مبانى جامعة فؤاد الأول بحديقة الأورمان بالجيزة .

الفصل الحادى عشر — القاهرة فى خمسين عاما ٥٨٤
خلجان القاهرة . الحياة الاجتماعية . الملاهى . القاهرة ملتقى السياح . القاهرة بين حربين .

الفصل الثانى عشر — طرق المواصلات ٥٩١
السكك الحديدية . السيارات . طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية . طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والفيوم . طريق السويس وطرق الاسماعيلية . كبارى القاهرة محطات السكة الحديد بالقاهرة . محطة كوبرى الليمون . محطة باب اللوق . الملاحة النهرية . طرق الملاحة . عرض النيل أمام القاهرة . التماسيح فى منطقة القاهرة . التماسيح والملاحة النهرية .

انتهى الجزء الثالث من كتاب « القاهرة »

ويليه كتاب « مديرية الفيوم »

١٩٤٦/٤/١/١٦٩١

7821 - 1013
(52)

Date Due

Demco 38-297

BINDING SLIP

7821-10-3

Name of Library NYU.LIB.NEAR.EAST.4/23/69/J/

(PLEASE TYPE OR PRINT)

LETTERING FOR SPINE LB02

(FOLLOW EXACT ARRANGEMENT OF LINES)

FARAJ

AL-QAHIRAH

v.2

Call No.

DT
143
.F3
c.1

GLICK BOOKBINDING CORP.

Form 367C

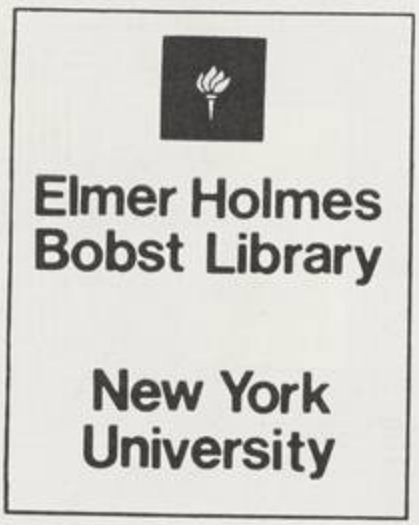
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University